يناير / ٢٠١٧ / العدد ١٥

الإيجابية والعمل الإيجابي في رسائل النور

- الأسس الشرعية لمنهج العمل الإيجابي البناء
- مصطلح الإيجابية في رسائل النور "دراسة وتحليل"
- التوجيه الإيجابي للأحاديث النبوية في رسائل النور
- الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في بناء عالم أفضل
- النظرة الإيجابية وأهميتها في تحصين الدعوة عند النورسي

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 8, Number 15 (January 2017)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Annual Subscriptions (2 issues)

Turkey:	TL 20
Individuals outside Turkey:	US$ 15
Institutions outside Turkey:	US$ 30

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 15

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛ أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛ أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: ١٥/ يناير ٢٠١٧

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١– التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير– يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢– تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد ..... أ.د. عمار جيدل ٣

الدراسات والبحوث

- محطات بارزة من التاريخ المعاصر وأثرها في حياة النورسي ومدرسته الفكرية ..... مصطفى أدردور ٩
- التّكامل الأخلاقي وأثره الإيجابي في إنشاء الشخصية الارتقائية معالم إنسان أحسن تقويم ..... د.عبد الرزاق بلعقروز ٢٩
- بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد في العصر الحديث ..... شكران واحدة ٤٩
- العدالة والسعادة مقاربة لمفهوم المجتمع الفاضل بين النورسي والفارابي والترمذي ..... د. خالد زَهْري ٧٩

ملف العدد : الإيجابية والعمل الإيجابي في رسائل النور

- الأسس الشرعية لمنهج العمل الإيجابي البناء ..... د. مأمون فريز جرار ١٠١
- مصطلح الإيجابية في رسائل النور ''دراسة وتحليل'' .. أ.د. نجيب علي عبدالله السودي ١١٥
- الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في بناء عالم أفضل من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي ..... الدكتور يوسف فاوزي ١٣٥
- التوجيه الإيجابي للأحاديث النبوية في رسائل النور ..... د. علي مصطفى ١٥١
- النظرة الإيجابية وأهميتها في تحصين الدعوة عند الأستاذ النورسي ..... ذ. عبد الهادي دحاني ١٦٧

الإصدارات

- قراءة في كتاب: سيرة بديع الزمان: بلسانه وأقلام تلامذته ١٨٩

- معلومات عن النشر في المجلة ١٩٢
- الإشتراك السنوي / Contents ١٩٣

• ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد الخامس عشر

أ.د. عمار جيدل

يقر القائمون على المجلة بفضل الأساتذة بعد الله على ما يختار للنشر فيها، فقد كانت المجلة سباقة لنشر كثير مما يتداول في الأوساط الجامعية والعامة من معارف عن رسائل النور، بدأت المجلة فكرة وترعرعت واستوى سوقها في ظل مباركة وعناية الباحثين الجادين في مختلف البلاد الشرقية والغربية، وقد كان لتلك العناية من المحامد ما لا يحصى عدًا، وزيادة في تثمين عنايتهم كنا ومازلنا نحترم آراء الباحثين والكتاب، فلا نضيق برأي حر يصدر عن وعي وعلم، فلكل وجهة نظره وتقديره لمعطيات دراسته، وبما أن الباحثين كسائر الخلق من جهة التأثّر بالحاضنة الفكرية والاجتماعية والثقافية، ذلك أنّها تحتضنهم في ربيع التحصيل ويحتضنونها في خريفه، فتغدو المعارف المستفادة منها كالبديهيات، أو نوع طبع مكتسب، فلا ضير من تلون بعض ما يكتب الإنسان بما اكتسبه منها، من هنا كنّا نلحّ على الباحثين على قراءة النص بمعطياته وبالكيفيات التي تحافظ على متنه ودلالاته وتجلياته، فمن هذا القبيل -على سبيل المثال لا الحصر- إيراد اسم سعيد الثالث في بعض البحوث علما أن الأستاذ النورسي لم يذكر ذلك إلا مرة واحدة (الشعاع الرابع عشر)، وقد أورده بغير القصد الذي أورده عليه بعض الباحثين، فهو فيه طلّق الدنيا، وهو عند مستعمليه كأنّه سعيد عهد الديمقراطيين.

ونصوص الأستاذ صدّاحة بهذا المعنى، ذلك أن الأستاذ النورسي لم يطلق هذا الاسم على نفسه الا في الشعاع الرابع عشر وبمفهوم مخالف تماما على ما يذكره الباحثون. إذ يصوّر الأستاذ الانقلاب الروحي الذي أظهر ماهية ''سعيد الجديد''، وهي مرحلة ''سعيد الثالث''، قال الأستاذ: ''والآن بدأت عندي تباشيرُ شبيهة بتلك الحالة، وأعتقد أنها إشارة إلى ظهور 'سعيد الثالث' الذي يكون تاركاً للدنيا كلياً''. ومثيل هذه المواقف ليست قليلة، نحبّذ الاستفادة من هذه الإشارة تيسيرًا للتحليل الموضوعي والنفع العلمي الرصين في القابل.

اشتمل العدد -كما هي العادة- على الدراسات والأبحاث وملف العدد، فقد حوت الدراسات على جملة من المقالات العلمية المتنوعة، استهلت بمقال ''محطات بارزة من التاريخ المعاصر وأثرها في حياة النورسي ومدرسته الفكرية'' للأستاذ مصطفى

أردردور، وهو بحث تاريخي يصول ويجول في وقفات مع أهم الأحداث والمعطيات التاريخية، وثنينا ببحث معرفي تنموي يتشوّف المساهمة في صناعة وعي يبعث على الحركية الإيجابية، تصدى لهذه المقاصد الأستاذ عبد الرزاق بلعقروز في مقاله الموسوم بـ ''التكامل الأخلاقي وأثره الإيجابي في إنشاء الشخصية الارتقائية معالم إنسان أحسن تقويم''، واشتمل العدد على بحث مفاهيمي تناول بالتحليل والدرس والتمحيص مفهوما كثر حوله اللغط والتشويه في العصر الحديث، فقد ركّزت الأستاذة شكران واحدة جهدها على دراسة هذا المفهوم من خلال رسائل النور بمقالها المعنون بـ ''بديع الزمان سعيد النورسي ومفهوم الجهاد في العصر الحديث''، كما عالج المقال الرابع للأستاذ خالد زهري مفهوما آخر من خلال مقاربات مقارنة بين تراث حكيمين ورسائل النور، وذلك في بحثه الموسوم بـ ''العدالة والسعادة مقاربة لمفهوم المجتمع الفاضل بين النورسي والفارابي والترمذي''.

آثرنا أن يكون ملف العدد من وحي عنوان المؤتمر العالمي لرسائل النور (الذي أجّل إلى اللاحق)، ذلك أنّنا لاحظنا تصورات متباينة للموضوع (العمل الإيجابي)، وقد ملنا إلى استصحاب الفكرة التي حامت حلوها البحوث، فكان عنوان الملف: ''الإيجابية والعمل الإيجابي في رسائل النور''، جمعا بين ما عرض لا ما طلب، استهل الملف بدراسة تأصيلية عنوانها ''الأسس الشرعية لمنهج العمل الإيجابي البناء'' للأستاذ مأمون فريز جرار، والمقال في لب لباب فكرة العمل الإيجابي في رسائل النور، أردفناها بدراسة في المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالموضوع المشار إليه، فكان مصطلح ''الإيجابية'' محور كثير من الأبحاث ومنها ''مصطلح الإيجابية في رسائل النور -دراسة وتحليل-'' للأستاذ نجيب علي عبد الله السودي، وفي سياق الإيجابية وأبعادها الوظيفية العملية المتجلية في شعاب الحياة الاجتماعية نشرنا مقال ''الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في بناء عالم أفضل من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي'' للأستاذ يوسف فاوزي، وفي إطار الفكرة نفسها ولكن في سياق البعد الوظيفي بأفق معرفي كان مقال ''التوجيه الإيجابي للأحاديث النبوية في رسائل النورسي'' للأستاذ علي مصطفى، وختمنا الملف بخدمة مقصد متعدد ينفع معرفيًا ودعويًا من خلال فكرة الإيجابية، وهو ما اشتمل عليه المقال المعنون بـ ''النظرة الإيجابية وأهميتها في تحصين الدعوة عند الأستاذ النورسي'' وهو للأستاذ عبد الهادي دحاني.

وتوقفنًا أخيرا عند قراءة في كتاب: سيرة بديع الزمان: بلسانه وأقلام تلامذته، وامتاز هذا المصنف بأنّه من أجمع وأقدم ما كتب عن حياة الأستاذ النورسي وأقربها صلة به، هي من شهود عصر، عرّفوا مشاهدة ومكابدة بدور رسائل النور الإيجابي وأثرها البنّاء في حياة الأمة والمجتمع وهي ثاوية على التعريف بما بذله الأستاذ وطلبته من جهد مضني في نشرها والعناية بها وتبليغها غضّة طرية للأجيال اللاحقة، هي أمانة السلف للخلف.

* * *

الدراسات والبحوث

محطات بارزة من التاريخ المعاصر وأثرها في حياة النورسي ومدرسته الفكرية

Notable Events in Contemporary History and Their Influence on Nursi's Life and His School of Thought

–ABSTRACT–

Mustafa Adardawr

The Secular Republic of Turkey is witnessing a large expansion of Muslim communities. The influence and effectiveness of these communities is increasing within the social and religious fabric of the country in recent decades. This resulted in a big controversy concerning the historical and intellectual roots of these movements. Questions are also raised about the contexts of emerging, developing methods and functioning mechanisms. Here the historical significance of "the Nur Community" comes as one of the most important social and religious phenomenon of the country. The roots of the community linked to a specific historical context began in the late Ottoman and continued during the Turkish Republic , Mustafa Kemal era since 1923, in addition to ,as the founder, the affect of Nursi's historical life stages that continued until his death in 1960. All events deeply affected the shaping of a vocation ,both in theory and practice to become one of the largest and most influential faith based religious community in the history of modern Turkey both on social and political levels.

– ملخص البحث –

مصطفى أدردور[1]

في ظل ما يميز تركيا، الجمهورية العلمانية، من غنى وتعدد في المشهد الديني الاسلامي، وما تشهده من امتداد وحضور قوي للتيارات الاسلامية وازدياد تأثيرها وفاعليتها داخل النسيجين الاجتماعي والديني خلال العقود الأخيرة، تُطرح إشكالية الأصول التاريخية والفكرية لهذا التيار الاسلامي وتثار الأسئلة حول سياقات نشأته، وسيرورات تطور مناهجه الفكرية والآليات العملية لاشتغاله. من هنا، تأتي الأهمية التاريخية للمدرسة النورية، كواحدة من أهم مكونات التيار الاسلامي وأكثرها حضورا وحيوية داخل المجتمع التركي، حيث ارتبط تشكلها وتطورها بسياقات تاريخية معينة بدأت معالمها الأولى منذ أواخر الدولة العثمانية واستمرت مع عهد الجمهورية

الكمالية منذ قيامها سنة ١٩٢٣م، فضلا عن محطات تاريخية شخصية طبعت حياة مؤسس المدرسة، الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي حتى وفاته عام ١٩٦٠. كلها أحداث ومحطات تفاعلت فأثرت في مسار هذه المدرسة وفي تطور منهجها، فكرا وممارسة، لتصبح واحدة من أكبر التيارات الدينية وأكثرها فاعلية وتأثيرا في تاريخ تركيا المعاصرة سواء على المستويين الاجتماعي أو السياسي.

توطئة:

في سياق انحسار الحضارة الإسلامية وتقدم الغرب الأوربي، وفي ظل توالي الأزمات السياسية والاقتصادية على عاصمة الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية) خلال القرن ١٩م، بزغت بين المسلمين رؤى ومناهج فكرية إصلاحية مُجددة توخت تحديد مكامن الخلل في جسم الأمة الإسلامية، وتقديم إجابات شافية وحلول عملية للخروج بالعالم الإسلامي من وضع الجمود الحضاري والفكري، في محاولة جادة لمسايرة الغرب الأوربي في تقدمه ونهضته على كافة الأصعدة والمجالات.

ولعل سعيد النورسي المعروف ببديع الزمان (١٨٧٧–١٩٦٠م)، يعد أحد أهم أقطاب هذا الفكر الاصلاحي التجديدي الإسلامي خلال هذه الفترة العصيبة من تاريخ العالم الإسلامي. إذ قدم أفكارا ورؤى إصلاحية شكلت منهجا فكريا للإصلاح عُرِف فيما بعد بـ ''الفكر النورسي'' أو ''المدرسة النورية''. وهو منهج توخى تحديد مكامن الخلل في جسم الأمة الإسلامية، والسعي للخروج بها من حالة الانحطاط والجمود الفكريين، واللحاق بركب الحضارة الغربية عبر جملة من المرتكزات، كان أبرز معالمها الاستفادة -قدر الامكان- من العلوم والتكنولوجيا الغربية في إطار الخصوصية الإسلامية، والسعي لبناء شخصية المسلم المثقف، وتقوية الوعي الذاتي لدى المسلمين كأساس لبناء المجتمع وتحريره من سيطرة الأفكار ''المادية'' والعلمانية و''اللادينية''، وجعله قادرا على مواجهة تحديات العصر الحديث.

إن بزوغ شخصية سعيد النورسي ومنهجه الفكري الاصلاحي، وريادة أفكاره وآرائه ''المستنيرة''، كانت ولا شك، وليدة محطات وأحداث تاريخية مفصلية، منها ما طبع مسار حياته الشخصية (علاقته بشيوخ الصوفية، السجون، المنافي...)، ومنها ما وسم واقع الدولة العثمانية والجمهورية الكمالية (الثورة الدستورية ١٩٠٨م، حرب التحرير، الحرب العالمية الأولى، إلغاء الخلافة وقيام الجمهورية الكمالية...)، وأخرى كان العالم الإسلامي مسرحا لأحداثها (الاستعمار، التغلغل الاقتصادي والامبريالي...) وهي كلها محطات وأحداث شكلت محكا واقعيا لشخصية النورسي، ولدت لديه -في

مناسبات عديدة-مخاضا فكريا وروحيا طوّر وصقل رؤاه وأفكاره، لتبلغ مرحلة من النضج الفكري والتربوي توجته ''رسائل النور''، والتي شكلت القاعدة الفكرية لمنهج النورسي ولـ ''مدرسة النور'' بعد وفاته، بشكل جعل منها أكبر مدرسة إسلامية وأكثرها فاعلية وتأثيرا في تاريخ تركيا المعاصرة.

أولا: نبذة عن حياة النورسي

ولد الشيخ سعيد النورسي في قرية نورس جنوب شرقي الأناضول -على الأرجح- سنة ١٨٧٧.[2] ينحدر من أسرة كردية بسيطة. تلقى العلوم الإسلامية منذ صغره، إذ كان يتنقل بين كتاتيب القرى المجاورة لقريته ''نورس'' للاستماع إلى مناقشات وحوارات الشيوخ والطلاب والمعلمين والاستزادة من العلوم الدينية. ارتحل في سن مبكرة طلبا للعلم إلى عدة قرى ومدن (أوراس، بتليس، دوغو بايزيد...)، وفيها تتلمذ على يد عدد من الشيوخ، كان أولهم أخوه الأكبر الملا عبد الله، والشيخ محمد الجيلاني، وعبد الرحمن تاغي، وأمين أفندي... ليصبح أحد أبرز علماء عصره، وأكثرهم تأثيرا في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية للمجتمع التركي المعاصر. لقب بـ ''بديع الزمان'' لذكائه ولعلمه الغزير وحكمته واطلاعه المعرفي الواسع، ولإبداعه في تفسير القرآن الكريم وفق منهج علمي رصين.

تبرز أهمية دراسة شخصية بديع الزمان سعيد النورسي في قيمة الرجل العلمية والفكرية كأحد مجددي ومصلحي الأمة الإسلامية خلال فترة مفصلية من تاريخ العالم الإسلامي عموما والدولة العثمانية على وجه الخصوص. فقد شكلت الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين فترة عصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية. طبعت بجمود فكري وقصور حضاري وتوال للهزائم والنكبات السياسية والعسكرية في ظل هيمنة غربية -أوربية- بكل أبعادها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، جسّدها تكالب الاستعمار واشتداد تنافس دوله على البلدان الإسلامية، وما اعتباره ''غزوًا فكريًا'' تجلى في انتشار الفلسفات ''المادية'' والوضعية بين المسلمين، لاسيما في أوساط النخب وفئة الشباب.

في ظل هذه الأوضاع، بزغت شخصية سعيد النورسي، الذي عاصر كل هذه الأحداث والتحولات، فاستصحب معطياتها في صياغة رؤية في التغيير، متفاعلا معها بمواقفه وآرائه ومشاركته الفعّالة في دفعها والتربية على مقاومتها، انبرى للرد على هذه الهجمات المستهدفة للدين الإسلامي؛ فوقف في وجه المخططات الاستعمارية، مستهدفا تقوية البعد الإيماني لدى المسلمين وبناء المجتمع من خلال التركيز على بناء الفرد. ولعل تأليفه لرسائل النور، يندرج ضمن هذه المساعي، إذ شكلت هذه الأخيرة

''متنا مرجعيا'' أو ''نصا معياريا'' لتشكّل أهم سعي ديني إسلامي أصيل وأكثره تأثيرا في تركيا المعاصرة وهي ''مدرسة النور'' أو ''المدرسة النورية''.

ثانيا: أهم المحطات التاريخية المعاصرة التي أثرت في حياة النورسي

يقودنا التأريخ لحياة بديع الزمان سعيد النورسي، بالضرورة المنهجية إلى التأكيد على أن حياة الرجل، كانت حافلة بالأحداث والتجارب والتحولات العميقة سواء على المستوى الشخصي/ الذاتي أو في ارتباطه بواقع الأمة الإسلامية والدولة العثمانية ووريثتها الجمهورية الكمالية.

وهي أحداث وتحولات لها آثارها على مسار حياته وتطوره ونضجه الفكري والروحي، ليصبح أحد أبرز علماء ومصلحي الأمة الإسلامية خلال القرن العشرين، وذلك بالنظر لما عرف به من منهج فكري ''رصين'' مستند إلى حقائق القرآن، وأفكاره المنيرة التي استهدفت تحديد مكامن الخلل في واقع الأمة الإسلامية، وتقديم إجابات وحلول للخروج بها من الانحطاط الفكري و ''الانسلاخ الديني'' والأخلاقي إلى حالة الرقي والازهار ومضاهاة الأمم الغربية، والوقوف في وجه المخططات الاستعمارية الغربية وأهدافها التخريبية.

بناء على كل هذا، فإنّ رصد أهم المحطات التاريخية ذات الوقع والتأثير الكبيرين على حياة النورسي وعلى معالم التحول في فكره ومنهجه ومدرسته، لن يستقيم إلا بتتبع أهم مراحل تطور شخصيته فكريا وروحيا في ارتباط وثيق دائما بواقع الأمة الإسلامية والدولة العثمانية والجمهورية الكمالية من بعدها، وهي المراحل التي أشار إليها النورسي في جل كتبه ومؤلفاته. إذ قسم هذا الأخير حياته إلى ثلاث مراحل عمرية رئيسية عكست هذا التطور الفكري والروحي في شخصه، وهي: سعيد القديم، سعيد الجديد، وسعيد الثالث. فما هي أهم المحطات التاريخية التي أثرت في حياة النورسي وحركته ومدرسته الفكرية؟ وما هي أهم معالم وخصوصيات المدرسة النورية خلال الفترة المعاصرة؟ وما خصوصيات منهج النورسي ومدرسته الفكرية؟

١. سعيد القديم: المشاركة السياسية والفاعلية الاجتماعية

في ظرفية الضعف التي ميزت الدولة العثمانية ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر، وأمام اشتداد التنافس الاستعماري على بلدان العالم الإسلامي، وما ارتبط بذلك من ''غزو فكري'' واقتصادي، رأى سعيد القديم أن حربا مُنظمة ماكرة تُشن على الإسلام من لدن ''الدوائر المادية'' والعلمانية وأجهزة القوى الاستعمارية، تريد النيل من عقيدته وتقتلع جذورها من نفس المسلمين وعقولهم.[3] لذا، وسعيا منه للوقوف في وجه هذه المخططات الاستعمارية، وفي سبيل إنقاذ الإسلام من ''التيارات المادية''،

قرر سعيد القديم الانخراط في السياسة ونهج مسلك المشاركة السياسية الفعلية والفاعلة بغية التأسيس ''لمقاومة إسلامية'' ضد المخططات الغربية المستهدفة للإسلام، فتعاون مع السياسيين ورجالات الخلافة العثمانية.[4]

أدرك سعيد القديم طبيعة الصراع الحضاري والفكري الذي تمر به الأمة الإسلامية، فخطط لمواجهة المعترك ورد الشبهات المعاصرة عن الإسلام بالمنطق العقلي القرآني.[5] وفي هذا الصدد، كان لمقولة وزير المستعمرات البريطاني وليم جلادستون التالية ''مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكُمهم حُكما حقيقيا، فلنسعَ إلى نزعه منهم''[6] تأثير قوي في نفس النورسي، إذ هزت هذه المقولة كيانه، فرأى أن العالم الإسلامي يتعرض لهجوم غربي يستهدف إخضاع المسلمين وتقويض عقيدتهم، ليتحول إلى التركيز على القرآن الكريم وتبيان حقائقه الايمانية، وذلك من خلال توظيف كل العلوم على تنوّعها كمدارج للوصول إلى إدراك معاني القران الكريم وإثبات حقائقه.[7] وقد بين النورسي ذلك في قوله: ''لأبرهننّ للعالم بأن القرآن شمسٌ معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها''.[8] وسعيا لتحقيق هذا الهدف، قرر النورسي إنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول باسم ''مدرسة الزهراء'' لخدمة القرآن على منوال جامعة الأزهر في مصر. ولتحقيق فكرته هذه، شدّ الرحال إلى إسطنبول وبقي هناك سنة ونصف السنة محاولا إقناع المسؤولين العثمانيين بفكرته،[9] غير أنه لم يوفق في مسعاه.

لم يكن سعيد القديم منفصلا ومنقطعا عن واقع العالم الإسلامي، بل كان عالما مرتبطا -فكريا وروحيا ووجدانيا- بأحداث أمته وبنكباتها وأزماتها، فقد وضع قضايا المسلمين في بؤرة شعوره ووجدانه وفي قلب اهتماماته أكثر من اهتمامه بأموره الفردية ومعاناته الشخصية. لقد كان لأوضاع الأمة المتأزمة تأثير عميق في شخص سعيد القديم، فكان يجيب عندما يُسأل عما يعانيه من آلام نتيجة المحن والمصائب والمعاناة التي يتعرض لها بقوله: ''إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني. إنني أشعر بأن الطعنات التي وُجهت للعالم الإسلامي وُجهت إلى قلبي أولا، لهذا تروني مسحوق الفؤاد...''[10]

لقد حاول النورسي بكافة السبل المتاحة له إخراج الأمة الإسلامية من حال الضعف والركود، متشبثا بكلّ ما بلغه جهده بالرغم من اختلال ميزان القوى لصالح القوى الاستعمارية الأوربية، فكان الرجل في ظل هذا الوضاع البائس يواجه الصعاب بنظرة متفائلة بمستقبل الإسلام والعالم الإسلامي، فكان يردد: ''ستشرق شمس الحقيقة يوما، أفَيظل العالم في ظلام إلى الأبد!''.[11]

شكل إعلان المشروطية الثانية[12] سنة ١٩٠٨م محطة تاريخية بارزة في حياة سعيد القديم، إذ اعتبرت في نظره انقلابا إيجابيا نحو الحرية، مما دفعه للانخراط الكلي في الشأن السياسي والاجتماعي. فقد رأى فيها المدخل الأساسي لتقدم العالم الإسلامي، وأن مفتاح حظ الإسلام وسعادته ورقيه موجود في المشروطية المشروعة والحرية التي اعتبرها ضمن نطاق الشريعة،[13] فصرف جل همه إلى الدعاية لها وبذل كل الجهود للمساهمة في إحقاقها وإنجاحها، سواء من خلال إلقاء الخطب أمام العلماء وطلاب الشريعة،[14] أو من خلال المقالات المتعددة والتي أبرز فيها مفهوم الحرية في الإسلام، وكذلك من خلال الرسائل والبرقيات الموجهة إلى العشائر الكردية في شرق البلاد يحثهم فيها على التشبث بالمشروطية والحرية، وكان مما تضمنته هذه البرقيات: ''إن المسألة التي سمعتموها وهي المشروطية والقانون الأساسي فما هي إلا العدالة الحقة والشورى الشرعية. تلقوها بقبول حسن. اسعوا للحفاظ عليها، لأن سعادتنا الدنيوية في المشروطية...''[15] هذا، فضلا عن دوره في تهدئة الجنود العاصين (تمرد الجند) في حادث مارت (١٣ أبريل ١٩٠٩م)[16] وارجاعهم إلى الطاعة.

كان تحمس سعيد القديم للمشروطية نابعا من منطلقين أساسيين:

أولهما: إيمانه واعتقاده بأن المشروطية وسيلة لبعث الماضي الإسلامي واستعادة الأمة الإسلامية قوتها، إذ ربطها وقرنها بالحرية والشورى كمبدأ إسلامي في الحكم وسياسة الأمة، فنظر إليها -وما ينبثق عنها من حرية وحقوق فردية وجماعية- في نطاق الشريعة الإسلامية، فكان يقول: ''إن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطية المشروعة''.[17] وعلى هذا الأساس، نادى سعيد القديم بضرورة تقييد هذه الحرية بأحكام الشرع حتى لا تتحول إلى استبداد مطلق، فكان يردد مرارا: ''قيدوا الحرية بآداب الشرع''.[18]

وثانيهما: اقتناعه بأن المشروطية أداة لتحقيق مبدأ سيادة القانون وتحقيق العدالة الاجتماعية وسيادة الأمة، وعبر عن ذلك بقوله: ''إن روح المشروطية أن تكون القوة في القانون، والأمر والنهي في يد الحق والمرء خادما... إذ المشروطية هي حاكمية الأمة، والحكومة ليست إلا خادما''.[19] لكل هذا، كان سعيد القديم يوصي الأمة بالتشبث بالحرية والاسترشاد بها وعدم القضاء عليها بالسفاهة والاهمال في الدين،[20] معتقدا بوجود مؤامرات وأياد خفية تحاول أن تستفيد من هذه المشروطية خدمة لأغراض مناهضة للإسلام، فكان ينادي: ''يا أبناء الوطن! لا تفسروا الحرية تفسيرا سيئا كي لا تفلت من أيديكم، ولا تخنقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر. ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها''.[21]

كان إيمان سعيد القديم بالمشروطية وبأهميتها، سببا في تعاونه وتعامله مع حكومة الاتحاد والترقي. فعلى الرغم من تباين خلفيته الفكرية والدينية مع إيديولوجية حركة الاتحاد والترقي، مال النورسي إلى حكومتهم ووقف منهم موقف تقدير وإعجاب والتزام وطاعة،[22] إذ جمعتهما الدعوة إلى الحرية ومقاومة نظم ''الحكم الاستبدادي'' للسلطان عبد الحميد الثاني. لكن ما فتئ أن ساءت هذه العلاقة بعدما رأى النورسي ''انحرافهم عن الدين'' ومعارضتهم للإسلام، وكذلك بسبب استبداد حكومتهم في ممارستها السياسية واصلاحاتها العلمانية التغريبية. هذا فضلا عن نزعتهم القومية التي سببت -حسب النورسي- الفرقة والانقسام بين رعايا الدولة العثمانية، فوصفهم بـ: ''الحكومة الظالمة التي ليس فيها من الحرية إلا لفظها.''[23] وعلى إثر معارضته تلك، قُدم النورسي للمحكمة العسكرية العرفية بتهمة التآمر والسعي للإطاحة بحكومة الاتحاد والترقي في أحداث ١٣ أبريل ١٩٠٩م. وبعده مباشرة، انضم سعيد القديم إلى جمعية الاتحاد المحمدي[24] التي استهدفت الدفاع عن الشريعة الإسلامية في وجه إصلاحات حكومة الاتحاد والترقي العلمانية، وعبّر عن ذلك بقوله: ''فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه... ولستُ من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس.''[25]

ركّز بديع الزمان خلال العهد الأخير من عمر الدولة العثمانية على إصلاح الأوضاع الداخلية للدولة من خلال النشاط السياسي الفعّال، لم تقتصر جهوده تلك على محاولة الإصلاح فقط، بل شملت المشاركة العسكرية في الدفاع عن كيان الدولة ضد الاعتداءات الخارجية. ففي سنة ١٩١٤م، وبعد دخول الامبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المركز، وبالرغم من معارضته للاتحاد والترقي، فإنّ سعيد القديم شارك في هذه الحرب كواعظ في الجيش العثماني سنة ١٩١٤م وكقائد لفرقة المتطوعين ''الأنصار'' ابتداء من ١٩١٥م على جبهة القوقاز، وخلالها وقع النورسي أسيرا بأيدي الجيش الروسي سنة ١٩١٦م.

كان لواقع الأسر الذي عاشه النورسي، وما صاحبه من أوقات عصيبة تجرع فيها قساوة الغربة ومحن السجن، تأثير كبير في حياة وشخصية سعيد القديم، إذ جعله يوثر العزلة ويستغرق في التأمل والتفكير والعبادة، سعيا لمقاومة مختلف الضغوط النفسية التي واجهته، لكن معاناته وآلامه تلك انقلبت إلى ''صحوة روحية ومدد قرآني'' على حد تعبير النورسي، فوصف حاله قائلا: ''كان الأرق يصيبني كثيرا في تلك الليالي الحالكة السواد المتسربلة بأحزان الغربة القاتمة، حيث لا يسمع إلا الخرير الحزين لنهر

الفولغا، والأصوات الرقيقة لقطرات الأمطار، ولوعة الفراق في صفير الرياح.. كل ذلك أيقظني -مؤقتا- من نوم الغفلة العميق...''[26]

قام النورسى فى فترة الأسر، التى دامت أكثر من سنتين، بمراجعة ذاتية لمسار حياته وتقييم عام لأحوال العالم الإسلامى الذى كان يرزح تحت نير الاستعمار، وتلفّه كل مظاهر الضعف والجمود والفرقة والتخلّف، مما عمّق من حزنه وألمه، فلم يجد بديلا عن هذه المعاناة إلا في العبادة والتأمل في آيات ومعاني القرآن الكريم. ومن جهة ثانية، كان لمشاركته في معارك الحرب العالمية الأولى، وما قاساه من آلام ومعاناة ومظالم خلالها، أثر قوي على شخصيته وروحه، فكان يتألم كثيرا من هول المظالم والقتل الذي يرتكبه الروس في حق المسلمين، فوصف أهوال الحرب بقوله: ''رغم أنني لم أكن أعد نفسي شيخا بعد، ولكن من يرى الحرب العالمية يشيخ، حيث يشيب من هول أيامها الولدان...''[27] لقد كان لواقع الأسر المرير وظروف الحرب المهولة، دور كبير في انقلاب النورسي الفكري والروحي وذلك بمجرد عودته من الأسر لاسطنبول سنة ١٩١٩م.

٢. سعيد الجديد: الانسحاب السياسي والعودة للذات

شكلت الفترة التي أعقبت فرار النورسي من الأسر وعودته إلى اسطنبول مرحلة المخاض الفكري والروحي لظهور سعيد الجديد. فالأزمات المتكررة للأمة الإسلامية وتجاربه المريرة في السياسة والحرب والأسر، إضافة إلى -ما رآه النورسي- استمرارا للمؤامرات على الإسلام والمسلمين، ولدت لديه صحوة روحية ونفسية حملت معها نفرة وامتعاضا من الحياة الدنيوية، وبلورت لديه قناعة ملحة بضرورة التخلي عن العلوم الفلسفية لأنّها لوثت روحه وأصبحت عائقا أمام سموه المعنوي،[28] وبأنها سببت له أمراضا قلبية وأفسدت روحه، وقد عبر عن ذلك بقوله: ''فما كان من سعيد الجديد إلا القيام بتمخيض فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة.''[29] وتجسيدا لهذا التحول، جعل النورسي من القرآن الكريم الملاذ الوحيد ليتخلص من تأثيرات العلوم الفلسفية والدنيوية.

في خضم هذا الانقلاب الروحي والفكري، قرر سعيد الجديد الانسحاب الكلي من عالم السياسة، وأن يحمل على كاهله مهمة الدعوة للإيمان والقرآن بعدما أدرك أن مسلك العلوم الفلسفية والدنيوية لا يبرز حقيقة الإسلام مثل مسلك القرآن الكريم، فكان تأثيره في منع ظهور أعداء الدين ومجابهة مؤامراتهم دون حدّ الفصل وقطع الهزل، من هنا، وابتداء من سنة ١٩٢١م، آثر النورسي الخلوة والعزلة والاسترشاد بالقرآن الكريم. يقول في المكتوب الثامن والعشرين: ''فالقرآن هو أسمى مرشد...

وأقدس أستاذ على الاطلاق... ومنذ ذلك اليوم أقبلتُ على القرآن واعتصمتُ به واستمددتُ منه.''[30] بهذا، كان التحوّل نحو سعيد الجديد مؤشرا لانقلاب فكري وروحي عميقين لدى النورسي انعكست معالمه في اعتزاله الحياة الاجتماعية وانسحابه من الشأن السياسي وتوجهه توجها كليا إلى ''الجهاد المعنوي'' لمقارعة -ما اعتبره- مشاريع الضلال والزندقة والالحاد التي عصفت بالبلاد والعباد عشية سقوط نظام الخلافة وقيام الجمهورية الكمالية، فسلك مسلك التفكر وخدمة القرآن. يقول في المكتوب الثالث عشر: ''إن خدمة القرآن هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بل أنستني حتى التفكر فيها.''[31]

بمجرد إعلان قيام الجمهورية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، دشنت النخبة الكمالية مشروعا ''تحديثيا'' جديدا قائما على التغريب والعلمنة، استهدف فصل تركيا عن ماضيها الإسلامي وعن العالم المسلم،[32] فألغيت الخلافة الإسلامية (٣ مارس ١٩٢٤م) ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية والمحاكم الشرعية، وألغي تدريس الدين ومدارس القرآن الكريم، وتم حظر الزوايا والتكايا الصوفية، وألغيت القوانين الإسلامية واستعيض عنها بالقانون المدني السويسري...

كل هذه الاجراءات، كان لها وقع قوي على شخص سعيد الجديد، إذ عمقت لديه شعور الإحباط الشديد على حال ومآل الأمة الإسلامية، فرأى فيها (الاصلاحات) تجسيدا لمحاربة الإسلام وسعيا لاقتلاعه من الجذور.

قال النورسي: ''وُضعت هذه القوانين واتخذت القرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الايمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمن.''[33] عزّزت هذه التحولات لدى النورسي القناعة في عدم جدوى مسلك السياسة في مواجهة تيار العلمنة و ''الالحاد''، كما قوت لديه شعور فقدان الأمل في رجال السياسة والفكر، واقتنع في المقابل أن صيانة العقيدة الإسلامية المهدّدة من قبل الحداثة العلمانية والأفكار الغربية هي ذات أولوية قصوى على مؤانسة طقوس الأخويات والطرق الصوفية،[34] وبالتالي فإنّ إصلاح الأوضاع يحتاج إلى مسلك جديد تكون قاعدته الأساسية بناء جيل قرآني مسلح بعقيدة إيمانية سليمة راسخة.

كانت علاقة النورسي بالكماليين إبان حرب التحرير (١٩١٩ -١٩٢٢م) علاقة جيدة يطبعها الود والاحترام، إذ دعّم من خلال رسائله وفتاويه[35] الحركة الوطنية في جهادها ضد الحلفاء. وسعيا منها لكسب ود وتأييد الشيخ النورسي، بالنظر الى مكانته المرموقة بين العلماء وداخل المجتمع التركي، حاولت الحكومة الجمهورية في بداية عهدها إغرائه بالمناصب والامتيازات لقبول العمل معهم، لكنه قابل كل ذلك بالرفض معبرا:

''إن سعيد الجديد يريد أن يعمل للحياة الأخروية، ولا يستطيع العمل معكم كما لن يتدخل في أموركم''.[36] كما أنه لاقى ترحيبا رسميا كبيرا أثناء زيارتيه للجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة، الأولى في ٩ نونبر ١٩٢٢م والثانية سنة ١٩٢٣م. لكن هاتين الزيارتين، وما نتج عنهما من مشاهدة النورسي لما اعتبره مظاهرا للانحلال والتقصير في أمور الدين، جعله ينتقد الكماليين وينقلب إلى معارضتهم. يقول في معرض زيارته الثانية بعد مشاهدته لفرح المسلمين وابتهاجهم لاندحار اليونان: ''إلا أنني أبصرت خلال موجة الفرح هذه، زندقة رهيبة تدب بخُبث ومكر، وتتسلل مفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها.''[37] لكل هذا، عاتب النورسي مصطفى كمال أتاتورك متهما إياه بالحاق الضرر بالأمة والوطن والعالم الإسلامي وبمحاربة الإسلام ومحاولة استئصاله على أمل نيل رضا -من يعتبرهم النورسي- أعداء الدين، فأفهمه: ''إن القيام بإزالة الشعائر الإسلامية ابتغاء الحصول على شهرة لدى أعداء الإسلام دمار وأي دمار لهذه الأمة وفساد للبلاد والعباد، فإن كان لابد من انقلاب فليكن بالاستناد الى القرآن وجعله دستورا للدولة الحديثة.''[38]

إن انتقاد سعيد الجديد لتوجهات الحكومة الكمالية، ومعارضته لإجراءاتها التحديثية العلمانية واتهامه لها بمحاربة الإسلام، عرّضته لمضايقات ومحن كثيرة، تراوحت بين المحاكمات العسكرية المتعددة والسجون والمنافي والاقامات الجبرية وكل أصناف التعذيب الجسدي والنفسي والمعنوي لفترة ناهزت ٢٨ سنة. فقد اعتبر الكماليون النورسي وطلابه (على غرار الطرق الصوفية والحركات الدينية الأخرى) ممثلي ''الرجعية الدينية'' التي تهدد أركان النظام العلماني الناشئ. لكن بالرغم من كل ما لاقاه، لم يتبع سعيد الجديد طريق المواجهة المباشرة مع السلطة، وذلك لإيمانه بالمنهج السلمي في التغيير وتقديرا منه للمعطيات على أرض الواقع''.[39]

لم تنل هذه المحن والمصائب من عزيمة سعيد الجديد، ولم تشكل عائقا يحول دون هدفه المتمثل في خدمة القرآن وإنقاذ الايمان، بل على العكس من ذلك، رأى فيها ''تكليفا ربانيا'' وتهييئا لشخصه لأجل خدمة القرآن الكريم. قال في هذا الصدد: ''إن حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس... ولّد لدي قناعة تامة... من أنّه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده.''[40] ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله: ''إن المضايقات... والعنت الذي أرزح تحته ظلما، إنما هو لدفعي بيد عناية خفية رحيمة إلى حصر النظر في أسرار القرآن دون سواها.''[41] فقد قاوم النورسي كل محنه ونكباته بشجاعة وحزم، فسعى إلى التركيز على ''رسائل النور'' ونشرها قدر الامكان لمجابهة -ما اعتبره- زندقة وإلحادا يهددان عقيدة المسلمين، ولإنقاذ الايمان وتقويته عبر

الاعتصام بحبل القرآن الكريم، فكان يقول: ''إن جميع مضايقاتهم واستبداداتهم تصبح كالحطب لإشعال نار الهمّة والغيرة لتزيد أنوار القرآن سطوعا.''[42]

بفضل منهجه الدعوي البنّاء، جعل سعيد الجديد من سجونه مدارس تربوية يوسفية،[43] ومن منافيه ''مدارس نورية'' خدمة رسائل النور. فقد فتحت له السجون ميادين عمل جديدة لتربية وتهذيب المساجين ليُخرّج منهم جيلا من خيرة طلاب النور مستعدين لخدمة القرآن ونشر رسائل النور، قال النورسي: ''...اعتراني حزن وألم شديدان.. حتى أغاثتني العناية الربانية فحوّلت ذلك السجن الرهيب إلى مدرسة نورية، فحقا إن السجن مدرسة يوسفية، وبدأت رسائل النور بالانتشار والتوسع...''[44] وهذا يبرز مدى نجاح النورسي في استغلال كل الفرص الممكنة، -بما فيها السجون والنكبات والمنافي-، في خدمة القرآن ونشر دعوته وأفكاره. لقد حول السجون إلى فضاءات لتحقيق عدة فوائد وثمرات لصالح دعوته، حددها في الحصول على غنائم معنوية كثيرة واستفادة المساجين من رسائل النور، وقراءة رسائل النور في الأوساط الرسمية العليا.[45]

من هنا، فقد شكلت كل سجون ومنافي ''الاضطهاد الكمالي'' لحظة مفصلية مأثرة في مسار حياة النورسي، إذ مثلت بالنسبة إليه مرحلة ''العودة إلى الذات'' والتركيز على إصلاح ذات المسلم من الداخل عبر مسلك التأمل والتفكر كوسيلة من الوسائل التربوية لاستنبات الإيمان في القلوب من منطلق ''تفكرُ ساعةٍ خير من عبادة سنة''،[46] وذلك إيمانا منه أن إصلاح المجتمع وصلاح أمره لا يتم إلا من خلال إصلاح الذات/ الفرد. وفي هذا الصدد يقول الباحث التركي هاكان ياووز: ''إن الظروف السائدة المتمثلة في الاضطهاد الكمالي أجبرت النورسي على الانتقال من رسالة الإصلاح الإسلامي الخارجي إلى رسالة إصلاحية تأملية داخلية''.[47] ففي أقبية السجون وعزلة المنافي، عكف النورسي على دراسة القرآن الكريم وبيان إعجازه وحقائقه الايمانية، فأبدع في فهم وتفسير معاني القرآن ١٣٠ رسالة عرفت بـ ''رسائل النور''، والتي سجل فيها النورسي كل الأحداث التي مر بها ودوّن فيها خواطره الإيمانية ومعاناته النفسية والروحية ونظراته وتحليلاته للأحداث التي عاصرها.

٣. سعيد الثالث: العودة للسياسة

شكّلت مرحلة الانتقال الديمقراطي، باعتماد التعددية الحزبية في تركيا سنة ١٩٥٠م، منعطفا هاما في مسار وحياة النورسي وطلاّب النور. إذ تميزت المرحلة بنوع من الانفتاح الديمقراطي خُفّفت معه بعض القيود التي كانت مفروضة على الحركات الدينية بما فيها المدرسة النورية. وَفَّرَ هذا التحوّل السياسي أجواء ملائمة لعهد

''الإحياء الديني'' برز معه النشاط الديني إلى السطح مرة أخرى. كما كان هذا الانفتاح عاملا أساسيا في تحوّل النورسي إلى سعيد الثالث، وهو تحوّل انعكس في انقلاب جوهري في فكره وآرائه من خلال عودته إلى السياسة، لكن بشكل غير مباشر هذه المرة، من خلال دعمه للحزب الديمقراطي بزعامة عدنان مندريس ضدا على حزب الشعب الجمهوري الكمالي.

شكّلت مرحلة سعيد الثالث إذن، عودة غير مباشرة للنورسي إلى المجال السياسي، حيث عبّر فيها عن أفكار تبدو مناقضة لأفكاره السابقة، لاسيما ما يتعلق بموقفه من المشاركة السياسية. فقد أعرب سعيد الثالث عن اعتقاده بأن الأحزاب السياسية تشكل ركائز الحياة الديمقراطية، وجادل بأن الدستورية البرلمانية وسيادة القانون هي أفضل بيئة لتجديد الإسلام.[48] ولذلك، لم يتردد في دعم الحزب الديمقراطي وتقديم النصيحة والإرشاد لأعضائه، وذلك حتى يَحُول دون عودة حزب الشعب الجمهوري الكمالي للسلطة. ففي سياق محاربة حكومة الحزب الديمقراطي للمد الشيوعي خلال خمسينيات القرن الماضي، وباستغلال تسامح الحكومة مع الإسلام والتدين، وجه النورسي اهتمامه نحو الأحداث السياسية فحاول إرشاد الحكومة الجديدة من خلال الرسائل الخاصة[49] وتقديم النصيحة لهم. بل وأكثر من ذلك فقد صوّت النورسي للحزب الديمقراطي سنة ١٩٥٧م وحثّ طلابه على التصويت له. إذ رأى في الديمقراطيين قوة تساعد طلاب النور في كفاحهم ضد الشيوعية و ''الالحاد''. ففي رسالة كتبها النورسي سنة ١٩٥٧م قال: ''...بالنظر لعدم القدرة على إنشاء حزب المحمديين، فعلى النوريين دعم الحزب الديمقراطي، بالنظر للأهمية التي يوليها هذا الأخير للإسلام.''[50]

إن انقلاب النورسي إلى سعيد الثالث وعودته إلى الشأن السياسي، لا يعكس - البتة- اقتناعا ذاتيا عند النورسي بنجاعة العمل السياسي في تحقيق التغيير المنشود الذي سطرته رسائل النور، كما لا يشكل مراجعة فكرية تصحيحية لموقفه السابق حول أهمية مسلك السياسة في خدمة الدين والقرآن، بل يفسَّر بأن النورسي رأى في هذا التوجه الجديد، في ظل الظروف السياسية والاجتماعية المستجدة وقتذاك ''أهون الشرين''.[51] ومن جهة ثانية، فإنّ النورسي نجح في استغلال جو الانفتاح الديمقراطي وتساهل الحكومة مع الأنشطة الدينية لصالح حركته ورسائل النور. فمع رفع الاضطهاد عن النورسي، انتقلت جماعة النور بالدعوة للإسلام من مستوى البلاغ الشفهي إلى مستوى المطبوعات،[52] فظهر مع بداية عقد الخمسينيات جيل جديد من طلاب النور شرعوا في طباعة رسائل ومؤلفات النورسي بالأحرف اللاتينية الجديدة ونشرها في كل

بقاع تركيا خاصة في مدينتي اسطنبول وأنقرة، مما أدى إلى انتشار هذه الرسائل وتعاظم عدد الطلاب والقراء، لتصبح إحدى أهم الحركات الدينية وأكثرها انتشارا وتأثيرا في تركيا المعاصرة من خلال ما تملكه من مجلات وجرائد ودور النشر...

ثالثا: المدرسة النورية: الفكر والمنهج

١. المدرسة الفكرية النورية

لم يكن حدث وفاة النورسي سنة ١٩٦٠م ليحول دون انتشار رسائل النور وامتداد المدرسة النورية. بل بالعكس من ذلك، عززت -بعد وفاة النورسي- قوتها ومكانتها ابتداء من عقد الستينيات، واكتسبت قوة أكبر في المشهدين الاجتماعي والديني لتركيا المعاصرة، بل وتجاوز حضورها وتأثيرها حدود تركيا فوصل إلى آسيا الوسطى وألمانيا وعدد من الدول الأوربية.[53] ففي سبيل تحقيق مشروعها المتمثل في توحيد المسلمين لتقودهم إلى المصادر الأصلية للإسلام من خلال رسائل النور، ومن أجل مواجهة الإصلاحات العلمانية للجمهورية الكمالية من جهة، والمد الشيوعي وتيارات ''الالحاد'' و'' اللادينية'' داخل المجتمع التركي من جهة ثانية، أطّر طلاب النور أنفسهم بطريقة منظمة ومحكمة جدا في جميع مناطق تركيا، وعزّزوا حضورهم داخل المؤسسات العلمية بالبلاد لاسيما في مدارس الأئمة والخطباء وفي المعاهد الإسلامية العليا.[54] كما واصلوا العمل بقوة على نشر وتوزيع رسائل النور في كل أرجاء تركيا.

تعتبر المدرسة النورية أو جماعة النور، مدرسة دينية تجديدية ذات بعد فكري تربوي، فهي كغيرها من مدارس التجديد التي حاولت الإجابة على سؤال يتعلق بأسباب تخلف المسلمين وتقدم غيرهم، إذ تستهدف بناء مجتمع جديد على أسس إسلامية متينة من خلال العودة الى الأصول النقية للإسلام ممثلة في القرآن والسنة. فبالنظر إلى حجم تأثيرها في الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية داخل المجتمع التركي، فهي تعد من أبرز المدارس التربوية المؤثرة في تركيا، وذلك بانتساب كثير من كبار المثقفين من ذوي المستويات العلمية والثقافية العالية خصوصا أساتذة الكليات ومؤسسات التعليم العالي وأصحاب مشاريع التجارة الصغيرة ومن الحرفيين والمهنيين وموظفي الخدمة المدنية.[55]

إن حفاظ مدرسة النور على زخمها وتأثيرها القوي داخل المشهدين الديني والاجتماعي في تركيا المعاصرة، يرجع في المقام الأول إلى الارتباط الوثيق لطلاب النور برسائل النور التي شكلت النواة الفكرية والأخلاقية لتشكل المدرسة. فقد تحول طلاب النور بعد وفاة الشيخ المؤسس إلى ما أسماه الباحث هاكان ياووز ''مجتمعات نصية''[56] متمحورة حول رسائل النور كـ ''متن مرجعي'' يشكل الإطار الفكري

والعملي الذي يرسم ويأطر عمل وأنشطة طلاب النور في تحقيق أهدافهم الساعية إلى خدمة الإسلام. فقد انتظمت هذه المجتمعات النصية في حلقات دراسية تسمى[57] ''Dershane'' قصد قراءة وتفسير نصوص النورسي بشكل ساهم في تشكيل وعي سياسي واجتماعي إسلامي مشترك[58] أفرز ولادة المدرسة النورية بشكلها المعروف حاليا. لقد أعطت أفكار النورسي معنى وغاية للحياة الفردية لدى أتباعه ووفرت لهم الموارد والدينامية والأرضية الفكرية للتحوّل لمدرسة اجتماعية ودينية رائدة.

لكن المدرسة، وابتداء من عقد السبعينات، وعلى امتداد عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، شهدت سلسلة من الانقسامات الداخلية في صفوفها، وارتبطت هذه الظاهرة داخل مدرسة النور بثلاثة عوامل رئيسية:

أ. مسألة المشاركة السياسية: عرفت المدرسة ابتداء من عقد السبعينيات انقساما داخليا ارتبط باختلاف وجهات النظر في مسألة دعم الأحزاب السياسية. فقد اتجه بعض الأعضاء البارزين فيها إلى دعم أحزاب محافظة ممثلة في حزب السلامة الوطني.[59]

(حتى إن بعضهم دخل البرلمان نوابا عن الحزب المذكور)، وهو التوجه الذي عارضه بعض الأعضاء الآخرين في مدرسة النور. لكن ما لبثت أن انفصلت عن الحزب بسبب الخلافات السياسية والايديولوجية مع زعيم الحزب، نجم الدين أربكان، فتحولوا بعدها إلى دعم أحد أحزاب يمين الوسط، حزب العدالة بقيادة سليمان ديميريل.

ب. التحرر الديمقراطي والاقتصادي والسياسي: في ظل الانفتاح والتحرر الذي شهدته تركيا في عهد تورغوت أوزال[60] سواء أثناء رئاسته للحكومة أو رئاسته للجمهورية – في الميادين الاقتصادية والسياسية، أبدى بعض المثقفين النوريين عزمهم الانخراط القوي في مشاريع النشر والصحف والمجلات، وهو ما واجه معارضة قوية من بعض النوريين الآخرين بدعوى أن رسائل النور ليست بحاجة إلى محرك ثان من أجل نشرها كمجلة أو جريدة بغية توضيح وتفسير رسائل النورسي،[61] فأفضى هذا الاختلاف في الرؤى إلى ثاني انقسام داخلي وسط النور. وعليه، نظمت كل جماعة من جماعات النور جرائدها ومجلاتها الخاصة وسعت لخلق مجتمع القراء الخاص بها، إذ أن اتساع فرص الطباعة ووسائل الاعلام سمحت للجماعات المختلفة بتحويل المجلات والجرائد إلى مساحات خطابية جديدة[62] للتوعية وتعبئة المواطنين الأتراك.

ج. الارتباط بـ ''النص المرجعي'': أدى تشكّل واتّساع مساحات الفرص الجديدة في السوق والتعليم والسياسة إلى استمرار الانقسام والتعددية داخل مدرسة النور. فقد

عمقت كل مجموعة -عن غير قصد- الانقسام أبعد مما كان في السابق. فالتغييرات الاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي شهدتها تركيا في ظل التحرر الاقتصادي والاعلامي حفّزت نحو مزيد من التفسيرات لنصوص النورسي،[63] وهو ما كان يعني مزيدا من الانقسامات داخل المدرسة. فالارتباط بالنص من هذا المنطلق، يشكّل أحد مصادر التعددية والتجزئة في مدرسة النور، فهو يجلب قراءات وتفسيرات مختلفة ومتباينة، ويخلق بالتالي فضاءات لتشكيل جماعات جديدة على أساس قراءات أخرى مختلفة[64] لرسائل النور، وذلك بسبب اختلاف هذه الجماعات في فهم بعض أقوال النورسي، والتباين في تأويل بعض آرائه ومواقفه.

إن أول ما يثير أي متتبع لواقع الحركات الدينية في تركيا المعاصرة، ولاسيما المدرسة النورية، يلاحظ ميزة التعددية والتجزئة التي تطبعها، إذ يعرف المشهد الديني التركي في وقتنا الراهن العديد من الجماعات التي انبثقت وخرجت من صلب مدرسة النور، وكلها جماعات، وإن اشتركت في أصل المنشأ وفي ارتباطها بمتن مرجعي واحد وهو رسائل النور، إلا أنها تختلف من حيث قراءاتها وتفسيراتها لهذا المتن، مما ينعكس جليا باختلاف وتباين آرائها بشأن الواقع الاجتماعي والسياسي التركي وسبل وآليات الاصلاح والتغيير فيه.

رابعا: منهج المدرسة النورية

حددت رسائل النور منهجها بوصفها مدرسة دينية تستهدف العودة الى الإسلام والقرآن باعتماد أسلوب ''الجهاد المعنوي'' أو ''جهاد الكلمة''، وذلك من خلال محاربة ما تعتبره بدعا وخرافات زحفت على حياة المسلمين، والابتعاد عن العنف ونبذ الفوضى وانتهاج أسلوب الدعوة في المدارس والجوامع والمؤسسات وليس الانقلاب على الدولة.[65] فقد ارتكز منهج النورسي، في خدمة الدين ومواجهة ما يراه ''إلحادا'' ومن يعتبرهم ضالين، على سلاح إظهار حقائق الدين بالاعتماد كليا على القرآن الكريم وتربية أجيال المسلمين تربية دينية صحيحة. فقد بين أهمية رسائل النور بقوله: ''إن مهمة رسائل النور الأساسية هي خدمة القرآن الكريم والوقوف بحزم أمام الكفر المطلق.''[66] إن طبيعة المرحلة فرضت -حسب النورسي- ضرورة بناء منظور معرفي جديد موافق لتطور الحياة المعاصرة وذلك من أجل مواجهة الشبهات ضد الإسلام. ومن هذا المنطلق، قام النورسي بتأليف رسائل النور لدحض الشبهات وإثبات حقائق الايمان بأسلوب عصري قريب إلى روح العصر.[67] وتحقيقا لهذا، تنظر المدرسة إلى التحول الذاتي والتقوى الفردية كمدخل أساس لتحرر المجتمع من الخلود إلى الأرض والخضوع للهيمنة، وهو يتفق إلى حد كبير مع الانسحاب

الشخصي للنورسي من النشاط الخارجي إلى الانسحاب الداخلي والتأمل في الإسلام[68] إبان انقلابه إلى سعيد الجديد.

كرد فعل على الثورة الثقافية الكمالية، ركزت مدرسة النور كمدرسة إسلامية ذات بعد فكري تربوي على الداخل، من خلال تنقية الذات وتقوية الوعي الذاتي للفرد وتربية النفس وتطهيرها من مظاهر السلبية والانحراف والرهبانية، وهي التربية التي ينبغي أن تقوم على أساس تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن خلال إعادة النظر في مناهج العلوم الإسلامية لتحصين الفرد المسلم من تأثيرات الحضارة المادية والأفكار العلمانية.

كل هذه المساعي والغايات يجب أن تتحقق، من منظور المدرسة النورية، بطريقة سلمية هادئة دون أن يتطلب ذلك مظاهرات في الخارج ولا مواجهة مع السلطة. وتجسيدا لهذا المنهج الدعوي الذي يميز المدرسة النورية عن باقي التيارات الإسلامية الأخرى، يسلك طلاب النور في مساعيهم لنشر رسائل النور منهج ''الخدمة الايجابي'' كقاعدة عملية مرتكزة على الصدق والاستقامة والاخلاص في العمل والصبر والمجاهدة في تقوية الايمان ودفع الشبهات. قال النورسي: ''إن رسائل النور ومنهجها الايجابي هو المجاهدة بصبر وصمت في حفظ وتقوية الايمان بالله وغيرها من حقائق الدين بالطرق السلمية -لا سيما- الكلمة المكتوبة وعدم الانخراط في السياسة...''[69]

سعى النورسي من خلال رسائل النور، للبرهنة على توافق كل من العلم والعقلانية مع الإسلام،[70] فدعا إلى ضرورة التوفيق بين الايمان والعقل وضرورات التنمية والتطور البنّاء، حيث قال في هذا الصدد: ''يتحدد المستقبل من خلال العقل والعلم. فتفسير القرآن الكريم يتناول المشاكل في ضوء العقل والعلم وهو ما سيشكل المستقبل.''[71] أما ما يخص موقف المدرسة النورية من السياسة، فرغم تباين موقف الجماعات النورية المختلفة حول قضية المشاركة السياسية، فهي ترفض جميعها استخدام الدين لأغراض سياسية، لكنها تشدد على الحاجة إلى السياسة لخدمة الدين، فبالنسبة لها فإنّ جميع مجالات الحياة العامة والخاصة يجب أن تكون متمحورة حول إطار الإسلام.[72]

الخاتمة:

كانت رؤى وأفكار النورسي ومنهجه الاصلاحي التجديدي وليدة مسار معاناة أحاطت بشخص النورسي وفي علاقته بجهات عديدة، تعرض فيها لشتى أنواع القمع والاضطهاد والسجون والمنافي. كما كانت محكومة بظروف سياسية واجتماعية وحضارية ارتبطت بواقع الضعف الذي عرفته الأمة الإسلامية والتحولات السياسية

التي طبعت العهد الأخير من عمر الدولة العثمانية، فشكلت كل هذه الظروف دافعا قويا للنورسي للتفكير في مسالك جديدة لحمل لواء الدفاع عن الإسلام أمام مختلف التحديات، والسعي لإخراج المسلمين من حالة الانتكاسة والهزيمة وقيادتهم للنهوض الحضاري والثقافي، وذلك بوضع منهج دعوي بأبعاد تربوية فكرية خُطت أسسه ومعالمه في ''رسائل النور''. هذه الأخيرة التي شكلت ''متنا مرجعيا'' ارتبط به طلاب النورسي بعد وفاته، فسعوا لخدمتها بكل الوسائل والسبل، لتمثل أرضية فكرية لتشكُل أبرز مدرسة إسلامية وأكثرها تأثيرا واقتدرا على استيعاب التطورات الحاصلة داخل النسيج الاجتماعي والسياسي التركي المعاصر وهي ''المدرسة النورية'' أو ''جماعة النور''.

المراجع المعتمدة:

- بديع الزمان سعيد النورسي، ''صيقل الإسلام: السانحات''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢.
- بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢.
- بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، اللمعات''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.
- بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، المكتوبات''، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.
- رضا هلال، ''السيف والهلال: تركيا من أتاتورك إلى أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي''، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.
- شكران واحدة، ''الإسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي''، ترجمة محمد فاضل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- فكرت رفيق السيد، ''سعيد النورسي والفكر السياسي التركي المعاصر: ١٩٦٠ – ١٩٧٣''، مجلة دراسات اقليمية، الموصل، السنة الثالثة، العدد الخامس، يونيو ٢٠٠٦، ص. ٥١-٧٧.
- محمد الصمدي، ''تجديد التصوف عند بديع الزمان النورسي وأثره في تحقيق العدالة الانسانية''، المؤتمر العالمي الثامن للنورسي، اسطنبول ٢٠٠٧.
- هدى درويش، ''الإسلاميون وتركيا العلمانية''، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- Angel Rabasa and F. Stephen Larrabee, the Rise of political Islam in Turkey, National defense Research institute, RAND Corporation, 2008.
- Hakan Yavuz, Islamic political identity in turkey, Oxford university press, New York, 2003.
- Mehmet Ali Ağaoğulları, L'islam dans la vie politique de la Turquie, publication de la faculté des sciences politiques de l'université d'Ankara, N. 517, 1982.
- Thierry Zarcone, "soufisme et confréries en turque au XXe siècle", Communication présentée au Colloque international Le rôle su Soufisme et des confréries musulmanes dans l'islam contemporain, Une alternative à l'islam politique? Turin, 20-21-22 novembre 2002.

* * *

الهوامش:

[1] باحث في تاريخ تركيا المعاصر، المغرب.

[2] هناك اختلاف واسع بين الباحثين حول تاريخ مولد النورسي ما بين سنوات: ١٨٧٣ -١٨٧٧، لكن الكاتبة شكران واحدة تشير إلى أنه ليس هناك معلومات مؤكدة عن التاريخ الحقيقي لمولده، وأن معظم المصادر المتاحة تتفق على أنه ولد سنة ١٨٧٧. انظر: شكران واحدة، ''الاسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي''، ترجمة محمد فاضل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧. ص ١٥.

[3] محمد الصمدي، '' تجديد التصوف عند بديع الزمان النورسي وأثره في تحقيق العدالة الانسانية''، المؤتمر العالمي الثامن لبديع الزمان لنورسي، اسطنبول ٢٠٠٧.

[4] فكرت رفيق السيد، ''سعيد النورسي والفكر السياسي التركي المعاصر: ١٩٦٠–١٩٧٣''، مجلة دراسات اقليمية، الموصل، السنة الثالثة، العدد الخامس، يونيو ٢٠٠٦، ص. ٥٩.

[5] محمد الصمدي، المرجع السابق، ص. ٦٧٥.

[6] بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢، ص. ٦٥.

[7] نفسه، ص. ٦٥.

[8] نفسه، ص. ٦٦.

[9] نفسه، ص . ٦٩.

[10] نفسه، ص. ١٣٧.

[11] بديع الزمان سعيد النورسي، ''صيقل الاسلام: السانحات''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢، ص. ٣٦٦.

[12] يقصد بها المرسوم الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني في ٢٤ يوليوز ١٩٠٨م، والقاضي بإعادة العمل بمقتضيات الدستور العثماني الذي أصدره سنة ١٨٧٦م بعد تعطيله قرابة ثلاثين عاما، وبناء عليه أعيد العمل بالنظام البرلماني.

[13] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ٨٣.

[14] كان أبرزها خطابه المسمى ''خطاب إلى الحرية'' في اسطنبول، وألقاه بعد أيام قليلة من إعلان المشروطية. وفيه بين العلاقة الحقيقية بين حقائق الشريعة والمشروطية.

[15] النورسي، ''صيقل الاسلام: السانحات''،...، ص. ٤٤١.

[16] يقصد به حدث تمرد وعصيان وحدات من الجيش العثماني المؤيدة لجمعية الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني، والذي انتهى بخلعه يوم ٢٧ أبريل ١٩٠٩م.

[17] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ٨٢.

[18] النورسي، ''صيقل الاسلام: السانحات''، ...، ص. ٤٤٣.

[19] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية،...، ص. ٨١.

[20] نفسه، ص. ٨٥.

[21] نفسه، ص. ٨١.

[22] نفسه، ص. ٨٩.

[23] نفسه، ص. ١٠٩.

[24] جمعية تأسست بتاريخ ٥ أبريل ١٩٠٩م من طرف مجموعة من علماء ومشايخ الدولة العثمانية، كان هدفها الدفاع عن الشريعة الاسلامية المحمدية والاحتكام اليها. تصدت لحكومة الاتحاد والترقي منتقدة إجراءاتها المخالفة للشريعة. حُلت من قبل الحكومة في يوليوز ١٩٠٩م.

[25] النورسي، ''صيقل الاسلام: السانحات''، ...، ص. ٤٤٥.

[26] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ١٣٢.

[27] نفسه، ص. ١٣٢.

[28] بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، اللمعات''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، ص. ٣٦٧.

[29] نفسه، ص. ١٧٦.

[30] بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، المكتوبات''، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١، ص.٤٥٩.

[31] نفسه، ص. ٥٩.

[32] Angel Rabasa and F. Stephen Larrabee, *the Rise of political Islam in Turkey*, National defense Research institute, RAND Corporation, 2008, p. 33

[33] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ٢١٦.

[34] Thierry Zarcone, "soufisme et confréries en turque au XXe siècle", Communication présentée au Colloque international Le rôle su Soufisme et des confréries musulmanes dans l'islam contemporain, Une alternative à l'islam politique? Turin, 20-21-22 novembre 2002

[35] نشير هنا إلى فتواه الشهيرة المؤيدة للحركة الوطنية بقيادة مصطفى كمال ردا على الفتوى الصادرة من المشيخة الاسلامية في اسطنبول ضد حركة التحرير.

[36] شكران واحدة، الاسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي، ترجمة محمد فاضل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص. ٢٦٥.

[37] النورسي، ''كليات رسائل النور، اللمعات''، ...، ص. ٢٦٧.

[38] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ١٨٨.

[39] هدى درويش، ''الإسلاميون وتركيا العلمانية''، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص. ١٤٨-١٤٩.

[40] النورسي، ''كليات رسائل النور، المكتوبات''، ...، ص. ٤٨٤.

[41] نفسه، ص. ٤٨٤.

[42] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ... ، ص. ٢١٨.

[43] نسبة للنبي يوسف عليه السلام. في هذا الصدد، يقسم النورسي مراحل سجنه إلى ثلاث مدراس يوسفية على الشكل التالي: الأولى (سجن اسكي شهر: ٢٥ أبريل ١٩٣٥ إلى ٢٧ مارس ١٩٣٦) الثانية (سجن دنيزلي: من ٢٠ شتنبر ١٩٤٣ إلى ١٥ يونيو ١٩٤٤) والثالثة (سجن أفيون: من ٢٨ يناير ١٩٤٨ إلى ٢٠ شتنبر ١٩٤٩).

[44] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ٣٢٧.

[45] نفسه، ص. ٣٨٥.

[46] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ... ، ص. ١٧٥.

[47] Hakan Yavuz , *Islamic political identity in turkey*, Oxford university press, New York, 2003, p. 33

[48] Yavuz, *Ibid*, p. 33

[49] نذكر في هذا السياق رسالته إلى أعضاء الحكومة ورسالة التهنئة التي بعثها إلى رئيس الجمهورية جلال بايار سنة ١٩٥٠م. للاطلاع على مضمون الرسالة انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، ''كليات رسائل النور، الملاحق: في فقه دعور النور''، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩، ص. ٣٣٣.

[50] Mehmet Ali Ağaoğulları, *L'islam dans la vie politique de la Turquie*, publication de la faculté des sciences politiques de l'université d'Ankara, N. 517, 1982, p. 216

[51] شكران واحدة، المرجع السابق، ص. ٤٥١.

[52] Yavuz, *Ibid*, p. 33

[53] Ağaoğulları, *Ibid*, p. 185

[54] *Ibid*, p. 188

[55] Yavuz, *Ibid*, p.177

[56] *Ibid*, p.162

[57] هي حلقات دراسية تتم في شقق ومنازل خاصة ، يتجمع فيها طلاب النور لقراءات كتابات النورسي بصوت مسموع ومناقشتها.

[58] *Ibid*, p.162

[59] تأسس حزب السلامة الوطني في ١١ أكتوبر ١٩٧٢م كثاني حزب سياسي إسلامي في تاريخ تركيا، بعد حل حزب النظام الوطني، وذلك على يد جماعة من المقربين من نجم الدين أربكان، وأصبح هذا الأخير رئيسا للحزب ابتداء من ١٩٧٣ حتى حَله عقب الانقلاب العسكري لسنة ١٩٨٠م.

[60] تولى تورغوت أوزال رئاسة الحكومة ما بين (١٩٨٣ – ١٩٨٩م) ورئاسة الجمهورية ما بين (١٩٨٩ – ١٩٩٣م).

[61] *Ibid*, p.171

[62] *Ibid*, p.171

[63] *Ibid*, p.170

[64] *Ibid*, p.171

[65] رضا هلال، ''السيف والهلال: تركيا من أتاتورك إلى أربكان، الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي''، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص. ١٠٥.

[66] النورسي، ''كليات رسائل النور، سيرة ذاتية''، ...، ص. ٣٩٠.

[67] الصمدي، المرجع السابق، ص ٦٧٦ – ٦٧٧.

[68] Yavuz, *Ibid*, p. 56

[69] شكران واحدة، المرجع السابق، ص. ٤٧٩.

[70] Angel Rabasa and F. Stephen Larrabee, *the Rise of political Islam in Turkey*, National defense Research institute, RAND Corporation, 2008, p. 15

[71] Yavuz, *Ibid*, p. 152

[72] Ağaoğulları, *Ibid*, p.187

التّكامل الأخلاقي وأثره الإيجابي في إنشاء الشخصية الارتقائية معالم إنسان أحسن تقويم

Moral Perfectedness and its Positive Effects in the Building of Progressive Personalities: The Characteristic Traits of the Mature Human Being

ABSTRACT

Dr. 'Abd al-Razzaq Bal'aqruz

This paper aims to broadly study the impact of moral perfection on the human personality. One of the justifications for the study lies in the need to revive the relationship between knowledge and ethics. This relationship is arguably in a bad state at present. Further, the study elaborates on central concepts related to the subject matter. These concepts are: moral integrity/rigour and the concept of ascending personality. It also explains the approach shown via the pillars of moral integrity, namely: Religious belonging and its principles: the principle of testimony (shahadah), the principle of trust (amanah), the principle of purification of the self (tazkiyah), and second, the most perfect man's philosophy and its dimensions, which are: innate nature (Fitra) and freedom and their effects on religious, cognitive, personal and moral aspects of Man.

Finally, the conclusion implies the importance of reviving stories of role models with perfect ethics embedded in our heritage, so as to restore our ethical inheritance and include them in our educational curricula.

ملخص البحث

د.عبد الرزاق بلعقروز[1]

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر التَّكامل الأخلاقي على الشَّخصية الإنسانية في مستواها الارتقائي، ولأجل ذلك عرضنا مبررات الدراسة حيث تناولنا مبررات الموضوع، وهي الحاجة إلى إعادة الصّلة (التي تكاد تضمحل) الممزقة بين المعرفة والأخلاق، وتناولنا المفاهيم المركزية التي تدور حولها الورقة البحثية: مفهوم التّكامل الأخلاقي ومفهوم الشَّخصية الارتقائية، ثم تناولنا أركان منهاج التَّكامل الأخلاقي، وهي: أولا.الانتساب الإيماني ومبادؤه: مبدأ الشهادة، مبدأ الأمانة، مبدأ التَّزكية،

وثانيا.فلسفة إنسان أحسن تقويم وأبعادها الإيجابية على شخصية الإنسان، التي اجتمعت متكاملة في قوة الفطرة وقيمة الحرية وانعكاساتهما على المجال الإيماني والمعرفي والذّاتي والأخلاقي، وخاتمة استنتاجية تضمنت بيان أهمية الالتفات إلى النماذج المتكاملة أخلاقيا في تراثنا الإسلامي والإنساني، كي يتم استخراجها أو استنباطها وتشغيلها في البرامج التَّعليمية والحوارات الفكرية والإرشادية.

أولا. مُفتتح

يروم مسعانا في هذه الورقة البحثية دراسة أهمية التَّكامل الأخلاقي ما بين العلم والعمل، أو المعرفة والأخلاق؛ وبيان الأثر الإيجابي لهما على إثبات الشخصية وتكامل أبعادها وتجديد فعلها، لأنّ العلم أوالمعرفة مهما بلغت مبلغا واسعا؛ فإنها ستكون قاصرة، إذا ما كانت منفصلة عن السُّلوك الفعلي، وإذا ما انبنت الشَّخصية على التَّكامل الأخلاقي بين العلم والعمل، فإن الذّات تتجدّد وتتحرك وتنمو، وينتهي الصّراع والتقابل بين النّظر والعمل؛ من هنا، فإنّنا نقول مع ''محمد إقبال ''أن إثبات الذّات، لا يجد أصله في برهان عقلي، وإنّما في دمعة السَّحر، أو بلغة الإمام بديع الزمان النورسي: أن إحياء النُّموذج الإنساني الذي يرتكز على فلسفة ''أحسن تقويم''؛ موقوف حصوله على الإنتساب الإيماني والتّكامل الأخلاقي، لأن الانتساب إلى الإيمان يعود بهوية الإنسانية إلى حقيقتها الأخلاقية المفقودة، وجوهرتها الصَّافية، التي تتشتّتُ بمجرد التنكّر لهذه القيمة العليا أي الإنتساب الإيماني. أما التّكامل الأخلاقي، فمبناه على التَّسليم، بأن الإنسان جيء به إلى هذا العالم، لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدّعاء، لأن منتهى إرادة المعرفة هي الوصول إلى الله، والتسليم له، والتوكل عليه. والتكامل الأخلاقي ينبني بدوره على الإنتساب الإيماني، فهوالذي يجعل القيم الروحية تتكامل مع القيم الحيوية والقيم الفردية مع القيم الجماعية، والأشواق الروحية مع الحاجات المادية، كي يكون لائقا بالأمانة الإلهية وخليفا أمينا على الأرض.

إنّ إثبات الشخصية، ونقلها من الفتور إلى الحركة، أو نقل السُّلوك من العبث إلى المعنى، ومن الصفة الإعتيادية إلى الصفة الإرتقائية؛ يجد قوتها الجوهرية في التَّكامل الأخلاقي بين الإيمان والفعل، أو بلغة الحكماء في الإقتران بين العقل النّظري والعقل العملي، وفق منهج أخلاقي يتخذ من الأسس الدّينية الإسلامية نبراسا له؛ فينتج عن ذلك، أن إثبات الشَّخصية وبنائها، لا يكون وفق الطريقة النّفسية الغربية التي تجعل من ثنائية اللّذة والألم معايير فاصلة في المفاضلة بين الأفعال؛ فالخير هو ما يجلب لذّة، والشر ما يجلب ألما؛ كلا! لأن رؤية التَّكامل الأخلاقي ترى بأنّ الصواب هو أن ليست

هناك أفعال تجلب اللذّة وأخرى تجلب الألم، بل هناك أفعال تَكتب للشَّخصية البقاء، وأفعال أخرى تكتب لها الفناء، وبالتالي أن العالم لا يُدْرَكُ بالعقل والتَّصور فقط، وإنّما بالفعل أيضا، فالبقاء والفناء ليستا مقولتان منحصرتان في العالم الدُّنيوي؛ بل إلى العالم الأخروي أقوى وأرقى؛ المكان الذي يجزى فيه الإنسان الجزاء الأوفى.

وبناء على هذا المُفتتح، فإننا سنطرح الأسئلة الآتية:

ما هو مفهوم التكامل الأخلاقي، والشخصية الإرتقائية؟ كيف ينكعس التَّكامل الأخلاقي على جوانب الشَّخصية إيجابيا كي تكون الثَّمرة هي الشخصية الإرتقائية التي تتوحد وتتكامل فيها الأشواق الروحية والحاجات المادية؟ ماهو منهاج التّكامل الأخلاقي الذي يكون السبيلَ الأقومَ لهذه الغايات؟ كيف يمكن الاستئناس بالشَّخصيات المتكاملة أخلاقيا من أجل استحضارها كشواهد مُثلى في برامج التّربية والتّعليم الحاضرين؟

ثانيا. مبررات الموضوع

إن لفت النّظر إلى التَّكامل الأخلاقي وبيان أثره على الشخصية الإرتقائية، بخاصة في ظلّ التَّحديات الأخلاقية، التي أضحت تعكس روابط مبتورة، بين الإيمان والعمل، أو بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح، يجد مبرراته في المحّددات الآتية:

- الطابع التكاملي لبنية الإسلام الكلية كمقوم صميمي، وليس الطابع الإنفصالي أو التّجزيئي للحياة الإنسانية، فإذا كانت بعض الديانات مثل المسيحية، تختزل الإنسان، في البعد الروحي، وفي مقابلها الحداثة الغربية، تختزله في المحّدد المادي، فإن روح الإسلام منهجيا، تعترف أولا بالإزدواجية المبدئية للعالم والحياة، أو الوجود المتزامن للمادة والروح على حدّ سواء، ومتضمّن هذا أنَّ ''الإسلام، تسمية لمنهج أكثر من كونه حلا جاهزا، ويعني المركّب الذي يؤلف بين المبادئ المتعارضة... من أجل مستقبل الإنسان ونشاطه العملي، يُعنى الإسلام بالدعوة إلى خلق إنسان متّسق مع روحه وبدنه، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسّساته الإجتماعية والإقتصادية على هذا الإتساق ولا تنتهكه. إنَّ الإسلام هو وينبغي أن يظل كذلك، البحث الدّائم عبر التاريخ عن حالة التَّوازن الجُواني، والبرَّاني، هذا هو هدف الإسلام اليوم، وهو واجبه التاريخي المقدّر له في المستقبل''.[2] وجلي، بعد هذا، أن التكامل الأخلاقي هو أداة منهجية، لتحقيق هذا التوازن بين الضّمير والطّبيعة، وإنعكاساتها على تركيبة الشخصية الإنسانية في جوانبها الرُّوحية، والعلمية، والإبداعية، والإجتماعية.

- لأن نجاح الشَّخصية المسلمة اليوم، وحضورها في المجتمعات المسلمة، والمجتعات الإنسانية، متوقفة على التَّكامل الأخلاقي، من أجل إثبات ذاتها، ذلك أن

إثبات هذه الذّات، لا يكون نظري خالص، وإنما عملي أيضا، فالعمل هو الذي يوقد السّراج في قلب الإنسان، وينير بَعْدَها، قلبه وعقله وسُلوكه، والقصد بالعمل في هذا المقام، العمل الأخلاقي المحكوم بالنية وإدراك القيمة الأخلاقية المتعالية، فهو عمل أخلاقي متكامل، ومن النّاحية الإجرائية، فإن منظومة التّعليم، التي تبني الإنسان المسلم، وبسبب أنها متأثرة بالنُّموذج الغربي في التّعليم، وتابعة له ثقافيا،[3] قد حذفت مفردات متصلة بالمجال التّداولي الإسلامي، في حين أنّ لهاالدّور البنائي في منظومة التَّعليم، التي تنجز التّكامل الأخلاقي ''فكانت أن غابت عن برامجنا التّربوية الحديثة مفاهيم وأحكام تربوية مبثوثة في نصوصنا الدّينية الأساسية... ولنذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، مفاهيم ''الحكمة'' و''التدبّر'' و''التفكّر'' و''التذكّر'' و''الاعتبار'' و''التطهُّر'' و''النّور'' و''الظّلمة'' و''الهُدى'' و''الظّلال '' و''البصيرة'' و''الكن'' و''الوقر'' و''الغشاوة'' و''البصيرة'' و''الرؤية الملكوتية'' و''أولو الألباب'' و''أولوا الأبصار'' و''الصّراط'' و''الميزان''.[4] وهذه الآلية العلمانية في أصلها، ليست حلا، بقدر ما هي عقبة، منعقبات الارتفاع إلى الإنسان الكوثر، والشخصية الإرتقائية، لأن إعادة الوصل بين المعرفة والاخلاق في البرامج التّعليمية يسهم في ما يلي:

- بناء الشخصية المتخلقة الناجحة في الحياة الدنيا والآخرة.
- بناء المجتمع المتخلّق المتماسك القوي البنيان.
- بناء الحضارة الأخلاقية المتقدمة والمحصّنة.
- بناء دولة قوية ومستقرة يوثق بها ويعتمد عليها ويلتف حولها المجتمع''.[5]

- لكي نقدم، نحن كمسلمين، إسهامنا في التوجّهات العالمية اليوم، نحو التعليم بالقيم، أو عدم اقتصار، التعليم، على تلقين المعرفة وإكساب المهارة، ذلك أن التعليم الموجه بالقيم ''يتّجه في مضمونه وطرق تعليمه إلى غرس قيم الحب والتسامح والعدل وكل الفضائل النّبيلة، سواء أكانت فضائل فردية أم وطنية أم إنسانية عامة. ولقد أصبح هذا، النوع من التّعليم أكثر قبولا في العالم المعاصر، تحت وطأة العولمة، وثقافة الإستهلاك، وانتشار الروح الفردية والعنف...ومظاهر عدم التسامح بين الشعوب''.[6] وإنّه ليبدو، أن الدين في طليعة المنابع الأصلية، للتَّعليم الموجّه بالقيم، لكن الدين، مفهوما هنا، بالمعنى الوجودي، والأخلاقي، الذي يأخذ بيد الإنسان، من صحراء التّخريب والعدم، والشر والسّلبية والإنفعال، إلى الظّلال الوارفة، أو إلىجهة الإيجاد والوجود والخير والإيجابية والفعل ''لأن الإنسان، جيء به إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء فيه موجّه إلى العلم ومُتَعَلَّقُ بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد. فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها

وروحها هو معرفة الله تعالى كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا''.[7] ولقد أدرك عالم النّفس الألماني، إريك فروم، مدى عمق أزمة الإنسان المعاصر، الذي أضحى إنسانا متمركزا حول عالم الأشياء، وأن الحاجة عاجلة، لخلق إنسان جديد، وقبل هذا عنده، لابد من تغيير منظومة القيم الأخلاقية، أي تغييرات في ''توجّه شخصية الإنسان كظهور أخلاق جديدة واتخاذ موقف جديد تجاه الطّبيعة...لا يمكن إقامة مجتمع جديد إلا إذا حدث، أثناء تطوير هذا المجتمع، عملية تطوير لإنسان جديد، أو بعبارة أكثر تواضعا إلاّ إذا حدث تغيير أساسي في بناء شخصية الإنسان المعاصر''.[8]

- ولأن التّكامل الأخلاقي، إن هو إلا استعادة للصّورة الإيجابية، والتكاملية للإنسان، وهي صورة إنسان ''أحسن تقويم''، صورة الكمال الفطري، التي خلق الله الإنسان عليها، والتعبير القرآني، ''أحسن تقويم'' كما يقول كمال الدين كاشفي، في القرن التاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد، يفسره بقوله ''أن الله خلق الإنسان، جاعلا منه أكمل شكل وأتم صورة لتجلّيه، وأرحب مسرح وأعم مقام لولايته، وذلك من أجل أن يصبح حامل لواء الأمانة الإلهية ومعناها الذي لا ينضب، ثم أنه يقرن بين ''أسفل سافلين'' وعالم النوازع الطّبيعية والاستهتار الخلقي. فحمل الإنسان ومن ثمة سمة المثال الإلهي، إذ هو طبيعة إليه على ما في الحديث الشريف: ''خلق الله آدم على صورته'' لكنه في الوقت نفسه انحدر من مستوى كماله الفطري، فهو لا يقوى على نسيانه''.[9] وليس هذا الإنحدار، مخصوصا فقط، بالإنسان المسلم، بل هو أكثر وأوسع امتدادا لدى إنسان الحداثة الغربية راهنا، الذي لم تخطر له، فكرة أو فعلا إلاّ وفعله، وهذا، الفعل لا يأبه له إن كان متعدّيا للحدود أو متجاوزا للقيم الأخلاقية المقدّسة، مما جعله إنسانا أبتر، وكان من المفروض أن يكون إنسانا كوثرا، والمقصود، بالإنسان الأبتر، ''ذلك الذي لا يستثمر من قواه، ولا يحقّق من إمكاناته إلا قدرا ضئيلا، إمّا لتعطّل بعض قدراته واستعداداته أو لصرفها كلها في وجهة مخصوصة... أما الإنسان الكوثر، فهو بخلاف الإنسان الأبتر، لا يكتفي بأن يستثمر كل قواه وملكاته، إحساسا ووجدانا، خيالا وعقلا، ذاكرة وإرادة، ويحقق مختلف إمكاناته ومكنونانه إلى أقصاهما، بحيث يتاح له أن يتقلّب في أطوار سلوكية مختلفة، وينهض بوظائف عملية متعدّة، كل ذلك يورّث القدرة على أن يحقق التكامل لذاته''.[10]

ولا شك أن هذه المبررات، تدفع بالعقل المسلم، إلى البحث عن علل العطالة الأصلية، التي تمنع من الإنطلاق، والحركة، والإنجاز، ووعي هذهالعلل من منظورنا، تتواجد بين شقوق هذا الإنفصال بين العلم والعمل، أو المعرفة والأخلاق، حيث أن

الدّين، أصبح منحصرا ضمن دائرة الإعتقادات الشاملة، ولا يتّصل بالعلوم الإنسانية والإجتماعية، التي اختزلت الإنسان، في جوانب لا تتعدى السَّقف الحيوي، ولأن نظام إنتاج الحقيقة الغربي، لا يعي الأبعاد المعنوية ودوها في إصلاح الإنسان، فقد عطّل هذه الأبعاد، ومكّن للنّموذج المادي في العلوم الإجتماعية، بخاصة العلوم النّفسية، الأكثر قربا من الأحوال الشعورية المتديّنة، لكنه أضحى بلغة، إريك فروم وهم عقيم، لأن الناس اليوم باتت تعرف عن ذاتها الكثير، مما أخفاه النُّموذج المعرفي الوضعي، وهذه المعرفة الجديدة التي تعد انتكاسا لنموذج الحداثة الغربي يمكن لنا استئناسا بتحليلات إريك فروم جمعها في ما يأتي:

- أن إشباع كل ما يعني الناس من رغبات، بغير قيود، لا يوصل للحياة الطّيبة، وليس هو السبيل إلى السعادة، ولا حتى للمنفعة القصوى.

- إن حلمنا بأن نكون السادة الأحرار لحياتنا قد انتهى، وذلك عندما بدأنا نتنبه إلى أنّنا جميعا قد أصبحنا مجرّد تروس في الآلة البيروقراطية، وأن الصناعة والحكومة وأجهزتها الإعلامية هي التي تشكّل مشاعرنا وأفكارنا وأذواقنا وتتلاعب بها كما تريد".[11] وهذه الوصفات الكئيبة، تحفّز المسلم اليوم، اكثر لكي يبادر إلى إنشاء فلسفة أخلاقية إسلامية، للإنسانية التي انتهت إلى دروب مظلمة، في أفكارها، وسلوكها، حيث أضحى الفكر فاقدا للبوصلة، والسلوك فاقدُ للمعيارية المتعالية، وإن جوهر هذه الفلسفة الإسلامية الجديدة، هي الإنتساب إلى الإيمان، وتحويل هذا الإنساب الإيماني، من يقينيات إعتقادية مجرّدة، إلى سلوكات حيّة مجسّدة، تستوعب مجالات الحياة برمتها، وترتفع إلى موجبات الإمانة، التي كلّف الله بها الإنسان رعاية وتفعيلا وفق مقتضيات ما توجبه الأمة من مسؤوليات وتحديات.

ثالثا. التّكامل الأخلاقي والشخصية الإرتقائية: المفهوم والأبعاد

ليس الغرض من الوقوف على دلالة الكلمتين الواردتين في عنوان البحث، مجرد العودة إلى المعجم واستخراج الدلالات، فما أكثر من يسلك هذا المسلك، وإنما غرضنا، الإشارة إلى المعنى الثقيل للتَّكامل الأخلاقي، وثمرته التي هي الشَّخصية الإرتقائية، فالتَّكامل في صميمه رؤية، والشَّخصية الإرتقائية، ثمرة لهذه الرُّؤية، مع اليقين، بأن هذه الشَّخصية ذات أفق إنساني، بمعنى أنّ علاجها يكون بتكميل الصورة الذّاتية للإنسان المسلم، من أجل أخْلقة ذاته، وتكميل الصورة الخارجية للإنسان ككل من أجل أخلقة غيره. وبيان ذلك يكون وفق الآتي:

١.التّكامل الأخلاقي:

التّكامل الأخلاقي مفهوما مركبا، وليس بسيطا، بمعنى أن المقتضى المنهجي،

يتطلّب منا أن نبسط دلالات تتناسب ومجال التكامل الأخلاقي، وفق العرض الفكري والمنهجي الآتي:

التَّكامل الأخلاقي بمعنى اعتبار الأخلاق في ماهية الإنسان:

يجرى الإعتقاد الراسخ، أن الصفة الأصلية والمحدد الجوهري لماهية الإنسان هي العقل، ومحمول هذا العقل يتعدد بتعدد مجالات التَّداول التي ترسم مفهومه، لكن الدّلالة الأقوى رسوخا، هي العقل بالمعنى المنطقي يونانيا، والعقل بالمعنى الرياضي حداثيا، وكأن الإنسان يجد مفاتيح ذاته في التعقل والتفكير الرياضي، لكن التكامل الأخلاقي، لا يساير هذا التعريف للإنسان، لأنه ناقص يحتاج إلى تكميل، وهذا التَّكميل ليس شيئا إضافيا، وإنّما هو ضروري ضرورة التعقل، وهكذا، فإن التَّكميل الأخلاقي ضمن هذا المستوى من الدلالة، يرى بأن الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان لا ينحصر في العقلانية مفهومة بالمعنى المنطقي والرياضي، وإنما الأخلاقية هي الحد الفاصل الجذري بينهما، ''فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلا عن افق البهيمة؛ ...إنها الأصل الذي تتفرع عليه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك، والعقلانية التي تستحق أن تنسب إليه ينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي''.[12] وبهذا المنطلق، فإن التكامل الأخلاقي يدخل في نسيج الإنسان الذاتي، كمحدد ماهوي وليس كمحدّد عرضي.

التّكامل الأخلاقي بمعنى الإثر الإيجابي للعمل على العلم:

إن ثنائية النّظر والعمل، ليست ثنائية من صميم الرؤية الإسلامية، وإنما نبتت في الثقافة اليونانية التي تتحكم في أنساقها الرؤية المثالية إلى العالم، لكن لما انتقلت هذه الثنائية إلى الفضاء الثقافي الإسلامي، أدخل عليها العلماء المسلمون تعديلا مهما، هو اعتبار الفاعليات الإنسانية مهما كانت أعمالا، حيث أنشأوا قسمة جديدة هي: ثنائية أفعال القلوب وأفعال الجوارح، والعلاقة بينهما متبادلة التأثير والتأثر، فالعمل يجدد نور السراج الموجود في القلب، وتبعا لهذا تتجدّد الملكات العقلية والنفسية والجسمية في الإنسان، فما يورثه العمل من أثر على العقل لا يورثه العلم النّظري مهما كانت مستويات إحكامه، وعندما نتأمل في الآية القرآنية الآتية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نجدها تتكرر بصيغتها أو معناها في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة، كأنّما تؤكد لنا ضرورة توحيد أمرين اعتاد الناس على الفصل بينهما. إن هذه الآية تعبّر عن الفرق بين الدين ''الإيمان'' وبين الأخلاق (عمل الصالحات) كما تأمر في الوقت نفسه بضرورة أن يسير الإثنان معا. كذلك يكشف لنا القرآن عن علاقة أخرى عكسية بين الأخلاق والدّين، فيوجه نظرنا إلى أن الممارسة الأخلاقية قد تكون حافزا قويا

على التديّن: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾،[آل عمران:٩٢] فمعنى الآية هنا لا يقول ''آمن لتصبح خيّرا'' وإنما على العكس يقول ''افعل الخير تصبح مؤمنا'' وفي هذه النقطة نرى إجابة على سؤال: كيف يمكن للإنسان أن يقوي إيمانه؟ والإجابة هي ''افعل الخير تجد الله أمامك''.[13] والقصد من هذا، الأثر الإيجابي للفعل على العقل والذّات، وبالتالي فالتكامل الأخلاقي يجد في الوحدة بين العلم والعمل، مفتاحا أفضل للإرتفاع إلى نموذج الشخصية الإرتقائية.

التكامل الأخلاقي بمعنى توجيه المعارف بالقيم الأخلاقية:

هذه الدّلالة للتكامل الأخلاقي، تعني أن منظومات التعليم، باعتبارها مؤسسات حضارية، يتكامل فيها البعد المعرفي والبعد الأخلاقي الذي يرتفع بالطالب من كونه حائزا على المعرفة، إلى كونه يحوز الأخلاقية في سلوكه، إنه بلغة إسماعيل راجي الفاروقي، النّسيج الأخلاقي الذي هو أقوى من غيره ضمن مؤسسات التعليم، وأقوى مؤسسة تعليمية ضمن هذا النسيج هي الجامعة، فالجامعة ''مؤسسة تختلف عن باقي المؤسسات فهي مؤسسة غير عادية قائمة على الفضيلة وحدها. وكل حياتها وطاقتها مكرسة من أجل الفضيلة. وإنّ هدفها هو أن تجعل من الفضيلة طبيعة ثانية لكل الأشخاص المتصلين بها... ومن هنا، كانت المعاملات النّبيلة والأخلاق الفاضلة هي أسلوب حياة المسلم المميّز، فكونك عضوا في الجامعة الإسلامية يعني أنّك تنتمي إلى صحبة تلاميد النبي ﷺ... وبالتالي فالتربية الإسلامية تقوم على مبدئين أساسين هما: تنمية العقل، وتنمية الإرادة''.[14]

ومشروعية هذا التّكامل، إنهاء التقطيب الذي دخل إلينا من تجربة الحداثة الغربية، التي حولت الجامعات إلى مؤسسات حقوقية، وأفرغتها من الدور الإصلاحي، والتهذيبي، والتوجيهي، بينما كان لعلمائنا في الحضارة الإسلامية بخاصة رجال الأخلاق منهم، وعي أكثر عمقا بأهمية الأخلاق في التّعليم، ومن أن العلم ثمرته الخشية من الله والقرب إليه، وكل علم لا يؤدي إلى هذه الغاية فهو علم غير نافع.

٢.الشّخصية الارتقائية:

يتعدد تعريف الشَّخصية بتعدد الرؤى المعرفية الكامنة خلفها، وتعدد التَّخصصات العلمية التي تتخذ من الشَّخصية موضوعا لها، وليس هذا، مقصودنا في هذا المقام، فيكفي أن نقول'' أن الشخصية بشكل عام هي ما يميّز سلوك الفرد عن الآخر... أو تعريف الفيلسوف سينيك Seneque (٤ ق.م-٦٥م) الذي قال: ''ليست الشخصية شيئا فطريا. إذ يتعيّن على الفرد أن ينجز وحده شخصه وهويته''.[15] وهذه اللفتة الأخيرة،

التي تؤكد أن الشخصية مسار يُكتسب، وصفات تُبنى في الذّات الإنسانية، تنسجم مع مقصودنا في الشخصية الإرتقائية، التي هي نتاج جهد ومكابدة وفعل عسير، وليست نتاج جهد خفيف، أو سلوك إعتيادي مكرور. ويحدر التنويه، هنا، أننا سنفرّق بين الشَّخصية الإعتيادية؛ والشَّخصية الإرتقائية التي هي ثمرة التَّكامل الأخلاقي، وبيان ذلك كالآتي:

الشَّخصية الإعتيادية، أكثر اتصالا بمجرى الحاجات الإنسانية والدوافع الغريزية، وبالتالي، فهي تتوفر على الصفات الإعتيادية التي نجدها عند الإنسان المسلم المتدين، من إيمان بالإعتقادات الاساسية، والتزام بالقيم الموجهة، وتأسيا بالنموذج النبوي في التعبّد لله، والمكاسب الإيجابية للشخصية الإعتيادية أنّها:

- تخرج الوجود من دائرة العبث إلى دائرة المعنى.
- أنها تخرج السلوك من اعتبار الشَّكل إلى اعتبار المضمون.
- أنها تنقل الحياة من من الوصف الآلي إلى الوصف الإرادي.[16]
- أنها فردية، قد لا تمتد إلى تخليق كافة الأنشطة الإنسانية: العلمية والعملية.

لكن على قيمة هذا النموذج المتدين في الحياة، فهو، وإن أدرك أهمية الارتفاع من حظوظه الحيوانية، إلى أفق الإيمان، إلا أنه ناقص من منظور التكامل الأخلاقي، وهذا ما يدفع بنا، إلى كتابة مواصفات الشخصية الإرتقائية التي تتجلىَّ في صورتها الإنجازية التكامل بين العلم والعمل، ذلك أن ''الإسلام لم يقف عند حد عقد النية، بل ربط الأخلاقية بالقيام بالعمل بالفعل، فبعد أن بيّن أن لا قوام لأخلاقية أي فعل ما لم يكن مبنيا على نيّة صالحة، أرشد الإنسان على طول الطّريق من النية إلى الفعل، من عالم الوعي الشخصي بالزّمان والمكان، إلى حومة العمل ومعترك صنع التاريخ. فالقيم أو الإرادة الإلهية لا تقف عند حد امتلاك الإنسان النية الصالحة تجاهها، بل يتعيّن على الإنسان تجسيدها في أرض الواقع، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي خلقه الله لتفعيل تلك القيم وتلك الإرادة بحرية، ولوجه الله تعالى. ويتعين عليه من ثم أن يحرّك الموجودات، ويعيد تشكيل الطّبيعة، ليجسد فيها البعد الأخلاقي، وفق المثال الرباني الذي عرفه بالوحي الإلهي المنزّل''.[17] وواضح أن الشخصية الإرتقائية، تلبس لبوس الطاقة الروحية، أي لباس قيمي إبداعي يثمر نتيجتين أساسيتين؛''إحداهما أن الجهد الإرتقائي يصدر عن الروح... وثانيها أن الجهد الإرتقائي يتجلىّ في العمل بالقيم... ولا يعمل بالقيم إلا الفطرة التي هي عبارة عن قيم عملية ذات أصل روحي في مقابل الغريزة التي عبارة عن وقائع سلوكية ذات أصل مادي...والقيم الفطرية تمتاز عن

سواها بكونها لا تكتفي بتسديد الفعل، وإنّما تتعدّى ذلك إلى بثروح المبادرة فيه، وإمداده بأسباب الإبداع... أي أن صميم الفطرة مجموعة من القيم التي تورث الإنسان القدرة على الإبداع، كما يجوز أن نعرف الإبداع بكونه إحداث شيء غير مسبوق بواسطة القيم الفطرية''.[18]

وواضح، بعد هذا، مدلول الشخصية الإرتقائية، التي ازدوج فيها المعنى القيمي بالمعنى الإبداعي، ما فتح النّظر، على أهمية الفعل الارتقائي الذي يخترق السائد والمألوف، ويسعى لأن يفعل في الزمان والمكان وفق المثال الإلهي، وبالتالي، فإن التكامل الأخلاقي ليس مجرد منهج نظري، وإنما هو دافعلية إيمانية مبدعة، وحافزية لكي يتحقق الإنسان المسلم بالطهارة وأن يصبح إنسانا ناضجا في هذا العالم،[19] وعلماء التّحليل النّفسي الغربيين، حللوا عميقا النتائج السلبية لظاهرة الخواء الدّيني بالمعنى الذي يكون فيه الدين، عامرا، وحافزا ورافعا، وفي المقابل أدركوا الأدوار الإيجابية للدّين من جهة تجديد الحياة، وإبعادها عن أنماط الروتين والآلية، وذلك في صورة الأديان الجديدة التي حلّت محل القديمة، لكنها كانت تغلف غاياتها الجهنمية بأغلفة من الجلال وعلى رأسها الفاشية والستالينية، من هنا، يذهب فروم ''أن غياب عنصر الإثارة وافتقار ثقافتنا العصرية للشعائرية على علاقة كبيرة بخوائنا الدّيني... إن الهدف من الحياة التي توافق طبيعة الإنسان في حالة وجوده، هو أن يكون قادرا على الحب، قادرا على استخدام عقله، وقادرا أيضا على أن يكون موضوعيا متواضعا كي يبقى على تواصل مع الواقع خارج ذاته، داخل ذاته، بدون أن يفضي ذلك التّشوه. هذا النّوع من الصلة مع العالم هو المصدر الأعظم للطّاقة ماوراء المنتجة من قبل كيمياء الجسد''.[20] ونظرا للمآلات الضيقة للقطع الغربي مع الدين في التفكير والسلوك، والارتكاز على الطبيعة الإنسانية المنفصلة عن الغيب، فقد ولت تلك الأفكار التي تصف الدين بالعداء للحياة، و ''بدأ نوع من المصالحة الواضحة والصريحة بين الدين وعلم النفس في الغرب وفي العالم الإسلامي... وما تبقى هناك، هو إشكالية تعريف التديُّن الصحيح، المعتدل أو الناضج''.[21]

رابعا. منهاج التّكامل الأخلاقي

إن التكامل الأخلاقي كمهج في تطبيق الوجود المتزامن للإنسان في تكوينيته المادية والروحية في مجالات الحياة، يتأسس على مبادئ، تقدم الإطار الكلي أو الرؤية إلى العالم التي تمنح المعنى والوضوح وتبيّن الغايات وتخلق الفاعلية في الوعي والسُّلوك، ومن دون هذه الرؤية الحضارية، فإن الدّافعية للإنجاز وللإعمار تخبو وتخمد، وبالتالي، فإنّ هذه الرؤية ''هي الجذور والتّربة والمنبع الذي يمثّل القوة

الدّافعة العقدية التي تحدّد طبيعة القوة الوجدانية المحرّكة للإنسان وللمجتمع، والتي تحدّد توجهاتهم وفاعلياتهم، وترسم وجهة مسيرتهم في الحياة، ومدى قوة هذه المسيرة الإنسانية وفاعليتها الإعمارية الحضارية في الوجود والتاريخ، ولذلك كلّما كانت هذه الرؤية واضحة جلية وإيجابية وسهلة الفهم والتمثّل والإدراك، وكلّما كانت بعيدة عن التناقض وعن الخرافية والأوهام وكلّما كانت بعيدة عن السّفسطة والتّعقيد...كلّما مثّلت بهذه الرؤية قوة ضميرية عقدية تربوية فاعلة محركة للفرد والمجتمع، ومفعلة لمنهجية فكر المجتمع وكل ما لدى الفرد والمجتمع من أدوات الفعل والحركة وضوابطها؛ المتمثلة في مبادئ منهجية فكره، وما تنطوي عليه هذه المنهجية من مفاهيم وقيم وضوابط''.[22]

ولأن صورة منهاج التكامل الأخلاقي، الذي يثمر الشّخصية الإرتقائية، من صورة الرؤية الحضارية القرآنية، فماهي المبادئ التي تشكل عناصر هذا المنهاج؟ وما هي حقيقة العلاقة بين هذه العناصر؟

١. الانتساب الإيماني:

ثمة ثلاثة رؤى إلى العالم سائدة وممكنة؛ ثمة الرؤية المادية التي تجد في المادة نموذجها التفسيري، وثمة الرؤية الدينية التي تجد في الروح أو الضمير نموذجها التفسيري أيضا، وثمة الرؤية الإسلامية، ''والإسلام هو الإسم الذي يطلق على الوحدة بين الروح والمادة، وهو الصيغة السامية للإنسان نفسه. إن الحياة الإنسانية تكتمل فقط عندما تشمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشري، وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين الاحتياجات البيولوجية للإنسان ولإنكار المذهب المادي لتطلعات الإنسان المادية''.[23]

والتّكامل الأخلاقي يجد أصله التأسيسي بناء على هذه الفلسفة ثنائية القطب، في الإنتساب إلى الإيمان التّوحيدي ''ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده. أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب؛ وقيمة المادة لا يعتد بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة''،[24] وهنا، ندرك أن قيمة الإنسان يستمدها، لا من جسده أو جماعاته التي ينتمي إليها، وإنما قيمة الإنسان ترتفع بقدر، ما يستجيب وبحرية للتكاليف الربانية، وباستجابته للتكاليف الربانية يكون إنسانا منتسبا، ولائقا بمقام

التّكريم، لأن الذات الإلهية ''هي مصدر الخيرية لكل ما في الوجود، مالم يضع الإنسان تلك الغاية المطلقة الأسمى في الحسبان، فإنّ كل عُرى سلسلة العلاقات والغايات تتفكّك وتفقد وظيفتها. فالأساس القيمي لكل تلك الحلقات والسّلاسل العلاقية هو ارتباطها بالقيمة المطلقة العليا''.[25] إنها النسغ الإيماني الذي يستمد منه الإنسان قيمته، ويتغذى على أشعة شمسه المتدفقة، ''فيتحول هذا الإنسان الذي لا أهمية له، إلى مرتبة أسمى من المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلا للخطاب الإلهي، وينال شرفا يؤهله للضّيافة الربانية الحقّة''.[26] وما يجب أن نشير إليه ضمن مقام الإنتساب الإيماني، العناصر التي تدخل في البناء التكويني لانتساب الإنسان إلى الإيمان، الانتساب الذي يجعله صورة من صورة الصنعة الربانية، والمرآة الصّمدانية، وهذه العناصر هي الآتية:

- **مبدأ الشهادة:** ''يقوم هذا المبدأ في تقرير أن الشهادة بمختلف معانيها تجعل الإنسان يستعيد فطرته، محصّلا حقيقة هويته ومعنى وجوده، بدءا بشهادة الإنسان في العالمين: الغيبي والمرئي التي يقر فيها بوحدانية الله وشهادة الخالق على هذه الشهادة، وانتهاء بالشهادة على الذّات والشهادة على الآخرين''.[27] وواضح أن الشهادة هنا، مفهوم إتساعي شامل، يبدأ بالشهادة الأصلية، إلى الشهادة الفرعية في عالم الإنسان.

- **مبدا الأمانة:** يقوم هذا المبدأ في تقرير أن الأمانة بمختلف وجوهها تجعل الإنسان يتجرّد من روح التملّك، متحملا كافة مسؤولياته التي يوجبها كمال عقله... لأن كل الموجودات في العالم الإئتماني عبارة عن أمانات لدى الإنسان''.[28] ولا يخفى على الناظر في أحوال الإنسان الحديث، الذي سلبته الأشياء أصالته وإطلاقيته، وأضحى إنسانا يجد هويته في التمّلك والاستهلاك، وبرزت جهود نفسية، تهدف إلى شق دروب جديدة في الحياة، عنوانها الأعم هو ''أن الهدف من الحياة هو مزيد من تحقيق كينونتنا، وليس الاستزادة من ملكيتنا''.[29]

- **مبدأ التّزكية**: ''يقوم هذا المبدأ في تقرير أن التّزكية بمختلف مراتبها خيار لا ثاني له يجعل الإنسان يجاهد نفسه للتحقق بالقيم الأخلاقية والمعاني الروحية المنزلة، ابتغاء لمرضاةالخالق جل جلاله، وحفظا لأفضلية الإنسان في الوجود، وتصديا لجديد التحدّيات والأزمات في القيم الإنسانية داخل عالم يزداد ضيقا ولا ينفك يتغيّر بوتيرة تزداد سرعة''.[30] ويتبين لنا، من خلال هذا المبدأ، أن التزكية لا تقتصر فقط، على اكتساب المناعة ضد إرادة التملك، وإنما تفجير المكنونات الروحية في الإنسان، وربط التقدّم المعنوي، جنبا إلى جنب، مع التقدّم المادي، وإنسان التزكية، يرتقي من تزكية نفسه، إلى الارتقاء الروحي بغيره، وهنا سر انتقال التزكية من دائرة الفردية إلى دائرة

الإصلاحية التكاملية الخيّرة، فإنسان الإنتساب الإيماني ''إن سألته وجدته بصيرا بالطريق إلى الله سبحانه، وإن أجاب أجابك بالوصف عن طريق سلكه، وعن آفات قد رفضها، وعن مكابدة قد جاهدها، وعن درجات في القرب من الله سبحانه وتعالى قد ارتقى إليها، فدل المريدين على ابتدائه، وما عرض له من القواطع، وبأيّ شيء قطعها، وأنّه لم يصل إلى السرور والراحة إلا بعد المكابدة والمجاهدة، لأنّ يتحمّلوا مثل ما لقي حتى يُفضوا إلى الغنى والراحة والسُّرور''.[31] وهذا البعد الإصلاحي لإنسان التّزكية يتطلّب أيضا، تطوير علوم نفسية وأخلاقية أو إعادة الإحياء للعلوم النفسية والأخلاقية التي يزخر بها التراث الأخلاقي الاسلامي ''وهذا التراث العظيم الذي بدأ بالمحاسبي كان ينبغي أن يكون هو التراث الأهم في إحياء الفكر الإسلامي في هذا العصر، وفي الاستعانة بذلك الفكر في فهم الإسلام في كليته وشموله، وفي بناء وتطوير نظام إسلامي في التّربية، وأيضا في بناء وتطوير علوم إسلامية في مجالات العلوم النفسية والإجتماعية والحضارية...ولم يكن اهتمام علمائنا بالتبصر بالميول المذمومة في طبع الإنسان لمجرّد أنّها ميول تقترن بدوافع الهوى وتتولّد منها صفات مذمومة في النّفس فقط، ولكن لأن هذه الصّفات عندما تقوى في النّفس تشغل صاحبها عن الغايات التي أوجدت فيه من أجلها قواه الفطرية، بل وتصبح حجبا كثيفة بين هذه القوى وبين معرفة الحقيقة، وبين هذه القوى وبين التبصُّر في ما العبادات من اسرار تربوية''.[32]

إذن، تبدو مرتكزات الإنتساب الإيماني مترابطة ومتكاملة، مع أفضلية الشهادة كقيمة عليا ناظمة، على غيرها من القيم الأخرى، وبالتالي؛ فإن التكامل الأخلاقي يتأسس على هذه المحدّدات أو الكليات الكبرى، لكي ننتقل بعدها، إلى ما نسميه: فلسفة أحسن تقويم، كركن ثان، في أركان منهاج التكامل الأخلاقي، التي ينتقل بالإنتساب الإيماني، إلى الإنسان في نقاء فطرته، وفي قابليتها الأصلية للوحي الإلهي، لكي تعود الذّات الإنسانية، إلى الصورة الأصلية المجبولة عليها، قبل أن ترد إلى أسفل سافلين.

٢. فلسفة إنسان أحسن تقويم:

من جملة التحديات الكبرى التي تواجه إنسان الحداثة وما بعد الحداثة، هو التَّفكير في كيفية استعادة قيمة الإنسان وقيمة الدين مجدّدا، ''بعد أن لاحت دلائل موت المعنى وفَقْدِ الوجهة؛ وبعد أن تم الإعلان عن موت الإله والدخول في مسار النسيان... ذلك أن الإنسان صار في هذا العالم عبارة عن آلة، ثم صار عبارة عن سلعة، ثم صار عبارة عن معلومة، ومعروف أن الآلة مبناها أصلا، على التّجريد والتّجزيء،

وأن السلعة مبناها، أصلا، على الثّمن والربح، وأنّ المعلومة مبناها على الرقم والافتراض؛ ولا يخفى ما في هذه الإجراءات والقيم الحديثة من خفض للوجود الإنساني وتضييق".[33] وبالتالي، فإنه لا أفق يبدو ممكنا في ظل هذا التّضييق على الإنسان، إلاّ العودة مجددا إلى فلسفة إنسان أحسن تقويم، كمعيار كلي ومبدئي في ترميم الذّات الإنسانية، وأن تعود بعد هجران وقطيعة مع المنبع الأول الذي كانت فيه الذّات مستقيمة، لكن ما هي دلالة إنسان أحسن تقويم من النواحي الإيمانية والمعرفية والذّاتية والسلوكية:

دلالة أحسن تقويم من الناحية الإيمانية:

أشرنا فيما سبق، أن الشخصية الإرتقائية، ليست نموذجا جاهزا يولد مع الإنسان، وإنما الجهد الإنساني مع التوفيق والتأييد الإلهيين هما اللذان يصنعان هوية الشخصية، وطبيعة محدّداتها، ومآلها في الحياة الأولى والحياة الثانية، لأن هذا هو جوهر الابتلاء، فالإنسان في أصل خلقه، حائزا لصورة أحسن تقويم، مجاورا للمقام الإلهي الرفيع، ولكن الإرادة الإلهية المباركة، شاءت أن ينزل أسفل سافلين، عالم الحس والتغير والشهوة والهوى، وبما أن قطعة من الروح الإلهية مكنونة فيه، فهو قادر على تخطي ذاته، وتخطي أنانيته الضّيقة، لأن الأخلاق التي يتخطى بها الذّات، مستمدة من الفطرة، من عالم المقام الأعلى المنزّه، "لأن هذه الفطرة تحفظ ذكرى شهادتها للإله بالوحدانيةكما تحفظ شهادة الإله على هذه الشهادة؛ وقد ولّدت هذه الشهادة الغيبية الأولى في أعماق الإنسان قيما أخلاقية ومعاني روحية لا تلبث أن تصعد إلى طبقة شعوره ما أن يتعاطى شهود آيات التكوين وآيات التّكليف في نفسه وفي الآفاق من حوله... وعلى هذا؛ كانت الأخلاق التي تورّثها الصورة الفطرية للدّين، من حيث مآخذ قيمها، أخلاقا روحية، ومن حيث توسلها بالشاهد الإيماني أخلاقا إئتمانية".[34]

إن دلالة أحسن تقويم من الناحية الإيمانية، تعني كما أشرنا، استقامة الإيمان ووضوحه فطريا، "لأنه المبدأ الفطري القرآني الأساس الذي ينبثق منه مفهوم نظام System الوجود، وبهذا المبدأ والمفهوم الاساسي، تتضح أبعاد الحياة الإنسانية الغائية الأخلاقية العلمية العالمية، ومعنى وجودها، (أنّ) التّوحيد هو المبدأ الأساس في الرؤية الإسلامية الكونية؛ لأنه هو الإجابة الكونية الفطرية السوية للبعد الروحي للإنسان في فهم ذاته مبتدأ ومآلا، وهو سقف المنطق الإنساني في فهم أبعاد الحياة، والوجود، وما وراء الحياة والوجود".[35]

دلالة أحسن تقويم من النّاحية المعرفية والذّاتية:

إن فلسفة إنسان أحسن تقويم من الناحية المعرفية والذّاتية، تذهب إلى أعماق الوعي الإنساني، من أجل البحث فيه عن الجوهرة النّفيسة التي تعد معيارا في البحث عن حقيقة المعرفة، وحقيقة الذّات الإنسانية في صلتها بالجماعة أو النسق الثقافي الذي تنتمي إليه، فتحت ركام ثقافة الجماعة، واللاشعور الثقافي، ثمة الفطرة بما هي استعداد ذاتي للتساؤل والمعرفة والبحث عن شفاء لعلل الأسئلة، وهذه الفطرة تتعادل مع الحرية من جهة التكوينية الأصلية، لكن ليست الحرية المادية التي نجدها لدى فلاسفة الليبيرالية، وإنما فطرة وحرية من بعد آخر في الإنسان، هو البعد الروحي، ذلك ''أن الحرية الإسلامية مقيّدة إلى أخلاق الروح لا إلى امتدادات الجسد الحسي بالمنفعة الليبرالية. ففي الإسلام يلتزم الإنسان بحرية البعد الرابع في تكوين الإنسان نفسه، فالبعد الأول هو البدن وشبيهه الجماد، والبعد الثاني هو النبات وفيه التطور من الجماد إلى الحواس، والبعد الثالث هو البهيمة والأنعام وفيه التطور من الحواس إلى النفس. أما البعد الرابع فهو الروح. فالروح سلطة فوق النفس والحواس والبدن''.[36] إذن فإن إنسان أحسن تقويم، يجد أداته المعرفية والذّاتية، في هذا البعد الرابع الروحي، الذي له ولاية على الأبعاد الأخرى، والروح صفة مشتركة في الإنسان بما هو إنسان، ولهذا، نجد أن القرآن الكريم، رد ظاهرة الكفر عند الإنسان، إلى تعطيل وسائل المعرفة التي بحوزته، والانسياق خلف أنانيته الضّيقة، وبالتالي أخطأ الإنسان التّقدير والاختيار، وبيان ذلك '' أن الله الخلاق العليم أوضح أن الروح من أمر الله، فهي خارج سنّة التّكوين الطّبيعي..ويتضح هذا المعنى جيّدا، في العلاقة مع آدم حين سواه خلقا ماديا وعدّله بشرا ونفخ فيه من روحه ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ. قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾،[السجدة:٩] فالروح من خارج التكوين الطّبيعى. ثم ربط الله بين السمع والبصر والأفئدة ونفخ الروح، فجعلت مسؤولية الإنسان فى التّرقى بقوى الإدراك هذه ليعلو على سنّة الطّبيعة المادية... فالقيمة الروحية للإنسان، مع ترقّيه بقوى الإدراك، تجعله متجاوزا فى تكوينه لخصائص المادة الطّبيعية وحركتها، وبالتّالى فقد طلب إلى الإنسان أن يُخضع الطبيعة له لا أن يخضع لها هو، وهذا هو مضمون الاستخلاف''.[37]

وبعد هذا، فإننا نقول، أن البعد الرابع فى الإنسان، هو مناط الحرية فى المعرفة والذّات، فالسمع والبصر والفؤاد التى تعد من آثار فاعلية الروح، هى التى يتحرر بموجب فاعليتها الإنسان من قهر الموروث الثقافي المستمد من الجماعة، وما تقدمه

من رؤية مخصوصة إلى العالم، وهى مفتاح الوعى بالحرية الفطرية كمعيار فى البناء السياسى والإجتماعى، ونظرا لأهمية الفطرة فى المعرفة التكاملية، والحرية الإنسانية، فقد وضع الإسلام منهجا، متينا من أجل تربية القوى الروحية والمعرفية والارادية، ويقوم ذا المنهج على:

– **أولا**: ''وعى الإنسان الفرد بما فطر عليه، وبما فيه من قوى فطرية، وعلى وعيه بأهمية وجود هذه القوى فى صنع حياته، وعيه بأنّه لا يُعرف، كما هو فى حقيقته، بهوية الجماعة التي ينشأ فيها، الدّينية والحضارية بل بما ياتي به من فطرة وقوى فطرية.

– **ثانيا**. ويقوم على تشغيل هذه القوى الفطرية بما تحب أن تشتغل به، أي بطلب معرفة الحقيقة في الإنسان وفي كل شيء في السماوات وفي الأرض.

– **ثالثا**: ويقوم في النهاية على الاستجابة لنداء الفطرة في إحساسها الفطري بوجود الله تعالى، وعلى الرغبة الفطرية في تجسيد هذا الإحساس بعلم آيات الله تعالى في الخلق''.[38]

إن إنسان أحسن تقويم، بما يملكه من وعي فطري على المعرفة بأدوات السمع والبصر والفؤاد، وبما هو عليه في فطرته، من حرية أمام كل ما عدا الإنسان، وما الأمانة التي حملها الإنسان، إلا دليل على عظمة الإنسان، وقدرته التي هي واحدة في أصلها، لا تتواجد في ثقافة دون أخرى، وإنما أي الفطرة العارفة والحرة، تخترق كل الثقافات والأعراق لتخاطب الإنسان بما هو إنسان، ولهذا، يعمل المنهج القرآني في خطابه للإنسان، على تصغير ما دونه، تصغير ما يعتقد أنها آله سواء بدافع الخوف أم الحاجة، تصغير المخلوقات الأخرى مثل الشمس والقمر والبحر، والأقوى أنها مسخّرة له، تصغير من يدعي تمثيل السلطة الإلهية في السياق السياسي أو غيره، من هنا، فرفض الاسلام للشرك، هو في صميمه رفض لكل ما يتعالى على الإنسان، أو يرفع إلى مكان فوقه، لأن الفطرية العارفة والحرة، هي القوة التي تحدد للأشياء مكانتها ومرتبتها التي تليق بها.

دلالة أحسن تقويم من الناحية الأخلاقية:

نقصد هنا، الناحية الأخلاقية، الصورة الخلقية للإنسان التي من المفروض أن تتوفر في معيارية أحسن تقويم، فكيف يسلك الإنسان المتكامل أخلاقيا في هذه الدنيا، هل يتبع أنانيته ويجعل أجهزته المعنوية وفي طليعتها السمع والبصر والفؤاد مجرد خدم لرغابته الغليظة، أم أنّه يحلق حرا بجناح الإيثار للمولى تبارك وتعالى، فيستقيم سلوكه، ويصبح صورة عاكسة للأسماء الحسنى، يقول في هذا المقام سعيد النّورسي '' أما إذا

تخلّى الإنسان عن الأنانية، وطلب الخيروالوجود من التوفيق الإلهي وأرجع الأمر كله إليه، وابتعد عن الشر والتّخريب، وترك اتباع هوى النّفس. فاكتمل عبدا لله تعالى تائبا مستغفرا، ذاكرا له سبحانه، فسيكون مظهرا للآاية الكريمة ﴿فأولئك يبدّل الله سيئاتهم﴾. الفرقان:٧٠ فتنقلب القابلية العظمى عنده للشر إلى قابلية عظمللخير، ويكتسب قيمة ''أحسن تقويم'' فيحلّق عاليا إلى أعلى علّيين... إن السمو والرقيالحقيقى إنّما هو بتوجيه القلب، والسّر، والروح، والعقل، وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية''.[39] وهذا هو سر التكامل فى حياة الشخصية الإرتقائية، عندما تكون السلسلة الناظمة تسري فيها روح أخلاقية أحسن تقويم، وإذا بقى الإنسان تنهشه تارة الشهوات، وتلسعه تارة أخرى الآراء السخيفة، وتلدغه مرة ثانية نفسه، فلن يكون خليقا بهذه الصفة المعيارية، ويعيش مشتتا أو بغة القرآن الكريم: يعيش حياة الخزى فى الحياة الدّنيا؛ أما من يستجيب لصورة ذاكرته الأصلية فهو على التحقيق من يكون إنسانا عادلا، والعدل هنا، حالة من الترتيب فى العلاقة بين ملكات الإنسان، فإذا ترك الإنسان السلطان للقوى الشهوانية أو الغضبية على روحه، فهو ظالم لنفسه وليس عادلا معها، أما إذا كسر الإصرار من الشهوات، وسكن قلبه وجوارحه تحت موجب العقل والروح، فهنا، يكون عادلا مع نفسه، ''ولأن مفهوم الدين فى الإسلام يشمل الحياة فى جوانبها كافة، فإن كل فضيلة هى فضيلة دينية، أي أنّها تهم حرية النّفس الناطقة، تلك الحرية التى بواسطتها يمتلك الإنسان القدرة على تحقيق العدل مع ذاته. وهذا معناه أن يكون للنفس الناطقة السلطان والتّوجيه والتحكم فى النّفس الحيوانية وفى الجسد. وهذه القدرة للإنسان على تحقيق العدل مع ذاته بفضل النّفس الناطقة تشير إلى التّوكيد المتواصل لذلك الميثاق الذي عقدتهنفس الإنسان مع الله تعالى، والعمل حسب مقتضياته''.[40]

إن خلاصة ما نود أن نصل إليه، هو أن نقر مع سعيد النورسيالإقرار الآتى ''أيها الإنسان، أنّك إذا القيت السمع إلى النّفس والشيطان فستسقط إلى أسفل سافلين وإذا اضغيت إلى الحق والقرآن ارتقيت إلى أعلى علّيين وكنت أحسن تقويم في هذا الكون''.[41]

خاتمة: في أهمية دراسة الشخصيات المتكاملة أخلاقيا لتوظيفها تربويا.

تبيّن لنا إذن، بعد أن وقفنا على الأهمية الفاصلة للتكامل الأخلاقي ومدى أثره العميق على الشخصية الإنسانية بعامة، والشخصية الإرتقائية التي هي ثمرته بخاصة، وتبيّن لنا أيضا، أن التّكامل الأخلاقي الذي يتأسس على الإنتساب الإيماني، ويهتدي

بفلسفة أحسن تقويم، هو الذي يبدّل مكان الإنسان، من جهة التخريب والعدم والشر والسلبية، إلى جهة الإيجاد والوجود والخير والإيجابية والفعل. فإننا في خاتمة هذه الورقة البحثية، ومن أجل تفعيل التكامل الأخلاقي فإننا نري، بأن الأدوات التي تنقل هذا الإهتمام بالتكامل الأخلاقي من الوعي بقيمته نظريا، إلى الوعي بقيمته عمليا هي مجموعة الإجراءات الآتية:

- الاهتمام بالشخصيات المتكاملة أخلاقيا، التى كانت تمثل قيادات علمية وروحية، ودراسة العوامل التربوية وأساليب التنشئة الإجتماعية التى أثرت فيها، بغرض أن تكون علامات نهتدى بها فى برامجنا التربوية، ونماذج مثلى لأبناء الأمة المسلمة من أجل التجديد الروحى والفكرى، وبالتالى كيف نستفيد منهم من أجل تنمية الفكر وتزكية الخلق. مثل ابن خلدون ومالك بن نبي ومحمد إقبال وجلال الدين الرومي.

- الإهتمام بالتراث الأخلاقى للشَّخصيات المتكاملة أخلاقيا، وتحويل أساليبهم فى تزكية النفوس وتنوير العقول، إلى برامج دراسية، فى المؤسسات التّعليمية خاصة الجامعية منها، لأن العلوم التربوية والنّفسية التى يتم تداولها، مبنية اصلا على تغييب التخلق الدّينى، وبالتالى، فالتراث الأخلاقى لهؤلاء يشكل ذخيرة علمية وأخلاقية، تحقق التكامل الأخلاقى، الذى يجدد العقل ويجدد الروح ويجدد دور الجامعة، بأن لا تكون مكانا فقط لاكساب المهارات، وإنّما مكان أيضا لتلقي الفضيلة وتربية الذّات أخلاقيا.

- توجيه البحوث بخاصة في المجالات الدينية والتربوية والأخلاقية، إلى الانكباب على دراسة التراث الأخلاقي، واستخراج الأساليب العلاجية لأمراض النّفس الحديثة، وذلك بإعادة النسبة الإنسانية إلى الإيمان، وإعادة تفعيل الدّور الوجودي للدين، بدلا من اختزاله في الأدوار الجزئية.

* * *

الهوامش:

[1] دكتوراه في فلسفة القيم، جامعة قسنطينة٢، الجزائر، رئيس اللجنة العلمية لقسم الفلسفة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢، رئيس تحرير مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، مركز نماء، من مؤلفاته الأخيرة: أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي، ٢٠١٣، قوة القداسة ٢٠١٤، المعرفة والارتياب ٢٠١٣، مدخل إلى الفلسفة العامة ٢٠١٥، ومقالات في مجلات دولية محكمة منها: مجلة إسلامية المعرفة، مجلة عالم الفكر.

[2] بيغوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة يوسف عدس، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥٥/٥٧.

[3] أنظر، خالد الصمدي، وعبد الرحمن حللي، أزمة التعليم في العالم الإسلامي، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨ م.

[4] عبد الرحمن، طه، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، بيروت: إبداع، المؤسسة العربية للفكر والإبداع،

٢٠١٦م، ص ٣٨.

[5] يالجن، مقداد، التّربية الأخلاقية الإسلامية، ضرورة عصرية وآليات تنفيذها، دراسة مقارنة، الرياض، دار عالم الكتب الحديث، ٢٠١٥، ص ٣٣/٣٢.

[6] زايد، أحمد، التعليم وتأسيس منظومة القيم، التفاهم، العدد، ٣٦، ربيع ٢٠١٢ م، ص ٢٨٥.

[7] النّورسي، بديع الزمان، الإيمان وتكامل الإنسان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الجزائر: دار سوزلر للنّشر، ٢٠١٤م، ص ٢٧.

[8] فروم، إريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة، سعد زهران، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص ٢٣.

[9] نصر، سيّد حسين، الصوفية بين الأمس واليوم، ترجمة كمال خليل اليازجي، بيروت: الدار المتحدة للنّشر، ١٩٧٥م، ص ٣٢.

[10] عبد الرحمن، طه، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، المرجع السابق، ص ٤٥/٤٤.

[11] فروم، إريك، مرجع سابق، ص ١٦.

[12] عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠ م، ص ١٤.

[13] بيغوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، مرجع سابق، ص ١٩٦/١٩٥.

[14] الفاروقي، إسماعيل راجي، نحو جامعة إسلامية، ترجمة محمد رفقي محمد عيسي، المسلم المعاصر، العدد، ٣٣، السنة ١٩٨٣/١٩٨٢م، ص ٥٢/٥١.

[15] الموسوعة الفلسفية العربية، إشراف معن زيادة، المجلد الأول(المفاهيم والاصطلاحات) بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦م، ص ٥٠٨.

[16] عبد الرحمن، طه، الحق الإسلامي في الإختلاف الفكري، المغرب: المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥ م، ص ٢٢٣.

[17] الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة السيّد عمر، القاهرة: مدارات للأبحاث والنّشر، ٢٠١٤م، ص ١٤٣.

[18] عبد الرحمن، طه، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[19] يقول جلال الدين الرومي " مهمتك في هذه الدّار؛ أن تتطهّر وأن تصبح ناضجا"، أنظرجيهان أوكويوجو، مولانا جلال الدين الرومي، القاهرة: دار النيل، ٢٠١٤، ص١١١.

[20] فروم، إريك، مساهمة في علوم الإنسان، الصحة النّفسية للمجتمع المعاصر، ترجمة محمد حبيب، سوريا: دار الحوار، ٢٠١٣، ص ٣٩.

[21] أنظر، آزاد علي إسماعيل، الدين والصحة النفسية، أمريكا، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٤م، ص ١٣٩.

[22] ابو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الاساس للإصلاح الإنساني، أمريكا، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، دار السلام، ٢٠٠٩م، ص ٢٥.

[23] بيجوفيتش، علي عزت، الاسلام بين الشرق والغرب، مرجع سابق، ص ٥٠.

[24] النورسي، سعيد، الإيمان وتكامل الإنسان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الجزائر:منشورات سوزلر، ٢٠١٤، ص ١٥

[25] الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد، مرجع سابق، ص ٤٣.

[26] النورسي، سعيد، الإيمان وتكامل الإنسان، مرجع سابق، ص ١٦.

[27] عبد الرحمن، طه، بؤس الدّهرانية النّقد الإئتماني لفصل الأخلاق عن الدّين، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث

والنّشر، ٢٠١٤م ص ١٤.

[28] المرجع نفسه، ص ١٥.

[29] فروم، إريك، الإنسان بين المظهر والجوهر، مرجع سابق، ص ٣٠.

[30] عبد الرحمن، طه، بؤس الدّهرانية، مرجع سابق، ص ١٦.

[31] المحاسبي، الحارث بن اسد، بدء من أناب إلى الله، تحقيق نجدي فتحي السيّد، القاهرة: دار السلام،ط٢٠٠٨،٣م، ص ٣٤.

[32] عثمان، علي عيسى، لماذا الإسلام وكيف؟، بيروت: دار النفائس، ط١ م١٩٩٧، ص ١٨٦/١٨٩.

[33] عبد الرحمن، طه، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، مرجع سابق، ص ١٠٥.

[34] عبد الرحمن، طه، بؤس الدّهرانية، مرجع سابق، ص ١٠١.

[35] أبو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضترية القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، مرجع سابق، ص ١١٥.

[36] حاج حمد، محمد أبو القاسم، حرية الإنسان في الإسلام، بيروت: دار الساقي، ط١، ٢٠١٢م، ص ٤٥/٤٦.

[37] المرجع نفسه، ص ٤٩.

[38] عثمان علي عيسى، لماذا الاسلام وكيف، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[39] النورسي، سعيد، الإيمان وتكامل الإنسان، مرجع سابق، ص ٣٨/٤٢.

[40] العطاس، سيد محمد نقيب، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ترجمة، محمد طاهر الميساوي، ماليزيا، الأردن: دار الفجر، الأردن، ٢٠٠٠م، ص ٩٧.

[41] النورسي، الإيمان وتكامل الإنسان، مرجع سابق، ص ٥٧.

بديع الزمان سعيد النورسي
ومفهوم الجهاد في العصر الحديث

Jihad in the Modern Age: Bediuzzaman Said Nursi's Interpretation

ABSTRACT

Sukran Vahide

Bediuzzaman Said Nursi's intention in formulating jihad in terms of jihad of the word or moral jihad (mânevî jihad) and positive action was in order to combat what he considered to pose the greatest threat to Islam and indeed to humanity in the twentieth century, materialist philosophy and scientism, and by renewing belief and making the religion of Islam relevant and meaningful to the mass of believers, and particularly those who had been exposed to scientistic currents, to lay the foundations for a genuine renewal and reconstruction of the Islamic world and re-establishment of Islamic civilization.

The struggle between truth and falsehood in the modern age being an ideological and cultural struggle rather than one of force, "the weapons" of Bediuzzaman's jihad of the word were logical proofs of the truths of belief, reasoned argument, and persuasion, which on the hand "executed with the sword of the Qur'an, nature and causality" (the bases of materialist philosophy) and dispelled the doubts they caused, and on the other, gained for a person "certain, affirmative belief." These weapons were contained in his collected works, called the Risale-i Nur. Directly inspired by the Qur'an and reflecting its effulgence, the Risale-i Nur thus answers the needs of Muslims in the present age, and provides the base to develop true taqwa and Islamic morality.

Such belief is also the basis of the second component of Bediuzzaman's jihad, positive action, the most important aim of which is to combat the moral and spiritual corruption of atheistic materialism. Just as such currents conduct ideological warfare, so too their aim is to corrupt, divide, and produce anarchy, so ultimately to destabilize and destroy the Muslim countries. Bediuzzaman therefore considered the prime duty of the Risale-i Nur students, in addition to the saving and strengthening of belief, to be the maintenance of public order and security, and to work for the unity and solidarity of society.

ملخص البحث

شكران واحدة[1]

أراد بديع الزمان سعيد النورسي، من خلال صياغته للجهاد في إطار جهاد الكلمة أو الجهاد الأخلاقي والمعنوي، والعمل الإيجابي، أن يواجه الفلسفة المادية العلموية، التي اعتبرها النورسي أكبر تهديد للإسلام، بل للبشرية في القرن العشرين. كما سعى أيضا لتجديد الإيمان، وإحياء الدين الإسلامي شعورا وتطبيقا بين جموع المؤمنين، وخاصة أولئك الذين كانوا عرضة للتيارات العلمية، وذلك من أجل وضع الأسس الحقيقية لتجديد وإعادة بناء العالم الإسلامي وإعادة إنشاء الحضارة الإسلامية.

وفي ظل ما يميز الصراع بين الحق والباطل في العصر الحديث في كونه صراعا ايديولوجيا ثقافيا بدلا من كونه صراع قوة، فقد تمثلت ''أسلحة'' بديع الزمان، في جهاد الكلمة، في إظهار البراهين المنطقية لحقائق الإيمان، وإقامة الحجج العقلية، والإقناع. نجحت هذه الأسلحة، من جهة، أن ''تقوض بحد سيف القرآن، الطبيعة والسببية'' أسس الفلسفة المادية، وتبدد الشكوك التي سببتها. ومن جهة أخرى، أمدت الفرد بإيمان مؤكد ويقيني. وقد وردت هذه الأسلحة في أعماله التي تم جمعها، وسميت رسائل النور. هذه الرسائل مستوحاة مباشرة من القرآن الكريم وتعكس تألقه. وهكذا فرسائل النور تلبي احتياجات المسلمين في العصر الحاضر، وتوفر قاعدة لتطوير التقوى الحقيقية والأخلاق الإسلامية.

ويشكل هذا الاعتقاد أساس العنصر الثاني من الجهاد عند بديع الزمان، وهو العمل الإيجابي، والهدف الأهم هنا هو مكافحة الفساد الأخلاقي والروحي الذي تسببه المادية الإلحادية. وكما تخوض تلك التيارات حربا أيديولوجية تهدف إلى إغراق بلاد المسلمين في حالة من الفوضى، تؤدي في نهاية المطاف إلى زعزعة استقرارها وتقسيمها بل وتدميرها، فقد رأى بديع الزمان أن الواجب الأول والرئيس لطلاب رسائل النور هو الحفاظ على الأمن والنظام العام، والعمل من أجل وحدة وتضامن المجتمع، بالإضافة إلى الحفاظ على الإيمان وتقويته في النفوس.

مدخل

قبل أن أتناول مفهوم الجهاد عند بديع الزمان سعيد النورسي، أرى أنّه من المفيد التذكير بخاصيّتين تتعلقان به.

الأولى هي المكانة التي أولاها الإسلام للجهاد، فقد عرّف الرسول ﷺ الجهاد بأنّه،

ذروة سنام الإسلام"[2] وعندما سُئِل الرسول ﷺ عن أي شيء يساوي الجهاد في سبيل الله أجاب: بأنه لا يوجد عمل يعادل الجهاد في سبيل الله.[3]

والثانية، والتي يجب أن تبقى في الذهن هي المعنى الواسع للجهاد، حيث يتعدّى المعني المحدّد "بالحرب المقدسة ضد الكفار" المستخدم بكثرة، بل يحمل معاني كثيرة مشتقّة من فعل "جهد" والذي يعني الجهد بمعنى الطاقة، والتجاهد بذل الوسع، والسعي، وغيرها.

فمثلاً يعرّف الجهاد أنه يحتوي على أربع مراتب أو خطوات في كتاب زاد المعاد، جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

وجهاد النفس كذلك على أربع مراتب. أحدها: أن يجاهدها على تعلم الهدى. الثانية على العمل به بعد علمه. الثالثة: على الدعوة إليه الرابعة: على الصبر على مشاق الدعوة، ويتحمل ذلك كله لله.

أما جهاد الشيطان فله مرتبتان. أحدهما: جهاده على دفع ما يلقى من الشبهات. الثانية: على دفع ما يلقى من الشهوات، فالأول يكون بعدة اليقين، والثاني يكون بعدة الصبر. والمرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين، وهو أربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس، و هو أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان. والمرتبة الرابعة؛ جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع، وهو ثلاث[4] مراتب الأولى باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه".

وقد عرّف علماء آخرون الجهاد بأنه "تعلم أوامر الإسلام، وتعليمها للآخرين، والعمل بها في الحياة الشخصية و الاجتماعية، وحث الآخرين على العمل بها، ودعوة جميع الناس للإسلام، والسعي دوماً بجد ونشاط دؤوب لإزالة جميع العوائق التي تواجهه أثناء القيام بذلك على المستوى الشخصي، والعوائق التي تظهر داخل المجتمع وخارجه".[5] وعرفت غاية الجهاد على الشكل التالي: "إعلاء كلمة الله"[6] و "غلب الكفر وإقامة الحق".[7]

وبعد الهجرة أذن الله للرد بالقوة على القوة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾،الحج:٣٩ وقد حملت الآيات المكية الرسول ﷺ الأوامر التالية: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.الفرقان:٥٢

وهذه الآية تدل على أهمية الجهاد باللسان، يعني تبين أهمية إعلاء كلمة الله بالعلم والبرهان والتفكّر من طرف، ومن طرف آخر يدلّ على وجوب القيام بالجهاد بشكل موافق للشروط وبطراز يقابل احتياجات الأوضاع الراهنة.

وبعد أن بينا المعنى العريض للجهاد والأهمية التي يحملها من المنظور الإسلامي، فإننا لن نقوم بمذاكرة في هذه المقالة كما عرفته مختلف المصادر الإسلاميّة، بل سنتحدث عن مفهوم الجهاد عند سعيد النورسي وتطبيقه في حكم امتثال النموذج.

مفهوم الجهاد عند بديع الزمان سعيد النورسي

عند دراسة مفهوم الجهاد عند بديع الزمان سعيد النورسي تظهر خاصية مهمة، وهي الاستمرارية في فكره المتعلق بالموضوع طول حياته وفي رحلة سعيد القديم وسعيد الجديد. وهذا ملفت للنظر جداً لأنّه حدث خلال المرحلتين الرئيستين في حياته التي تعرّض فيهما لتغيير كبير في حياته الخارجية وحياته الداخلية الذاتية.

إن مرحلة سعيد القديم تشمل العشر سنوات الأخيرة للدولة العثمانية عندما كان الإسلام ''سبب بقاء هذه الدولة، ودينها''[8] ومن فترة شباب بديع الزمان وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وإن انهيار الإمبراطورية بالهزيمة التي عاشتها في الحرب، والسنوات التي تبعتها واعتزال سعيد القديم من جميع وجهات الحياة الاجتماعية والتي تشكّل تضاداً مع سلوكه وحركاته المتعددة، كل هذا واكب ظهور سعيد الجديد، وقد اكتسبت هذه الخصوصية قوة عند اتباع قادة تركيا الجدد طريق التغريب وبدأ مرحلة حياة النفي لبديع الزمان. ورغم أنّ الإسلام أساس الدولة ''قولاً''، فقد قاموا بنزعه من جميع وجهات الحياة بشكل منظم تحت ستار العلمانية. ورغم وجود الفروق الواضحة في طراز حياة بديع الزمان وطبيعة مجاهدته ونشاطاته في الشروط، إلا أنّ هناك تشابه لا حصر له ونقاط استمرار في أفكاره، ورغم أنّه وجد كمال مفهوم الجهاد وتعبيره التام في رسائل النور وكفاح سعيد الجديد، إلّا أنّه في المفيد طرح آرائه وسلوكياته المتعلّقة بالموضوع في المرحلة السابقة بخطوطها العريضة.

رأي وسلوك سعيد القديم في الجهاد

إن أول وأهم عامل شكّل مفهوم بديع الزمان للجهاد يتعلّق بكون العصر الحديث هو عصر العلم والحضارة. يقول:

''إنّ السلطة المستندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية. فأية دولة جرت في عروقها دماء السلطة المستبدة فإن سطور صحائف تاريخها تنعق نعيق البوم بالانقراض''.[9]

وكذا:

''إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة''.[10]

والخاصية التي تتبع حادثة حكم العلم والعقل هي كما أشار إليها بديع الزمان على الشكل التالي: ''هي أن الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان''[11] يعني أنّه مع تطور التكنولوجيا، ومع ترقّي الإنسان وظهور عصر الاتّصالات الجماعية نتيجة ذلك، سيدفع الناس للسعي لعرض أفكارهم للآخرين بطريق البلاغة والإقناع. لذلك إن وسائط الاتّصال الجماعي صارت وسائل للكفاح بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وساحة مبارزة القلوب والعقول، وساحة الكفاح لإقناع الآخرين، وساحة الحرب بين الأفكار والحضارات. والأولوية الآن هي الحرب الثقافية والاقتصادية أكثر من الجهاد المادي، الذي لا يزال مستمرّاً تحت هذه الشروط الخاصة وفي جبهات متعدّدة.

والعامل الثاني الذي يشكل مفهوم الجهاد عند سعيد القديم، يتعلق بالأوّل، وهو عدم تحقيق العالم الإسلامي تقدماً في المستوى العلمي يوازي التقدم في الغرب، وتخلفه بسبب ذلك في مجال التكنولوجيا والترقي. ما جعل العدو التقليدي للعالم الإسلامي يسعى لإذلاله، وإلى جانب ذلك صار القرآن وأسس الإسلام تهاجم صراحة وخاصة بعد رواج الفلسفة المادية.

الجهاد العلمي

ومن هذا المنظور نرى أنّه يأتي على رأس الخواص التي آجرت تأثيراً على بديع الزمان في شبابه. وهذا الوضع سيفتح الطريق له كي يعدّ نفسه لنمط مجاهدة جديدة، فقد بدأت نيّته للدفاع عن القرآن تجاه التهديد والهجوم عليه تتبلور عندما عرف أنّ رجل الدولة الإنكليزية Gladstone وجّه تهديدات واضحة للقرآن خلال مرحلة الانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، هذه الحادثة كانت نقطة تحول بالنسبة له، ودفعته لنذر حياته وعلمه للدفاع عن القرآن.[12] وحتى تلك المرحلة تعلّم إلى جانب العلوم الدينيّة التقليديّة كثيرا من العلوم الفيزيائية والرياضية المعاصرة. والحادثة المختلفة التي شاهدها كرؤيا[13] في بداية الحرب العالمية الأولى، أدت إلى تقوية قراره في السعي لإثبات إعجاز القرآن، يعني أن كلام الله هو مصدر الترقي الأخلاقي، والروحي والمادي للناس.

وقد أعدّ بديع الزمان نفسه لهذا الجهاد العلمي في سن مبكرة، كما تبيّن في ''سيرته الذاتية'' أنّ هدفه من دراسة المصادر الإسلامية بشكل مكثّف عندما كان في بتليس في سن السادسة عشر والثامنة عشر ''أي ١٨٩٢-١٨٩٤م'' هو ''الإجابة على الشبهات

والدسائس بحق الإسلام''[14] (والتي تسبّب بها العلم والفلسفة الغربية والتهجّم الذي حدث باسم الترقي). وبعد ذلك قام بدراسة العلوم الحديثة في مدينة وان بشكل لم يشاهد له مثيل بين علماء الدين في تلك الفترة في الولايات الشرقية، واكتسب اطلاعاً واسعاً على هذه العلوم، ذلك لأنّه ''اقتنع أنّ علم الكلام على الطراز القديم لم يعد يكفي لإزالة الشبه التي تشاع بحق الدين الإسلامي''، وبتعبير آخر لقد كان من أهدافه للجهاد العلمي هو جعل علم الكلام تابعاً للتجديد.

ولم يحصر بديع الزمان مساعيه في هذا المجال بتحصيل العلوم فقط، بل إنّ المشروع الذي سعى وراءه بشكل فعّال خلال هذه المرحلة، هو إنشاء جامعة في الشرق، والتي ستشكّل ساحة لتطبيق إصلاحاته التعليميّة وأفكاره المتعلّقة بمزج تعلّم العلوم التقليدية مع العلوم المعاصرة، والذي سمّاه مشروع مدرسة الزهراء.

الحضارة والجهاد

إن الهدف الذي أراد بديع الزمان التوصّل إليه هو تأسيس الحضارة الإسلاميّة من جديد والتي تشكّل مركز دعوته. وذلك لأنّه يرى أنّ الإسلام مصدر الحضارة الحقيقية؛ لذلك فإن العالم الإسلامي يستطيع الرقي الحقيقي داخل إطار إسلامي فقط، ويستطيع أن يسترد موقعه الحاكم الذي يستحقه بهذا الشكل، فضلاً عن أن جميع البشرية لا تجد الراحة والسكينة إلا في الإسلام و الحضارة الإسلاميّة.

إنّ رجال الدولة الأتراك حملوا التفوّق العسكري والاقتصادي و العلمي بشكل خاطئ إلى مصدر الفكر الغربي الأوربي وحضارته، وخاصة مع بداية التنظيمات، حيث بدأ الابتعاد عن الإسلام وقبول نمط الحياة الغربية في كثير من المجالات. وبتعبير آخر فقد أبدءوا بحركة التغريب. وإلى جانب ذلك، فبدل أن يأخذوا ''الأشياء المفيدة'' كالعلم والتكنولوجيا عن الغرب كما أراد بديع الزمان، أخذوا ''سيئاته وسفاهاته'' و ''أعطوا رشوة دينية ولم يكسبوا الدنيا''.[15] و حتى لو كانت الغاية من ذلك هي تقوية الإمبراطورية وإيقاف انهيارها، إلّا أنّ نتائج هذه الأحداث المؤسفة كانت بشكل عام تؤدّي إلى نتائج بعكس النوايا، ولم تخدم سوى زيادة تبعيّة العثمانيين لأوروبا من الناحية الاقتصادية والساحات المادية فقط، بل زادت في خدمة التبعية الفكرية أيضا. وقد ظهر خطر فقدان الحكم الإسلامي بين العثمانيين الذين صاروا تحت تأثير أوروبا بشكل واضح، فتابع هؤلاء أعداء الإسلام واقتنعوا أنّ الإسلام يعيق العلم والترقي وانّه يشكّل سبب انهيار العثمانيين.

لذلك فإنّ مساعي بديع الزمان كانت في الحقيقة بعكس ذلك. وإنّ الحضارة ليست ''ملك النصرانية''[16] بل الإسلام أستاذ جميع الكمالات.. و جهّز بالحضارة الحقيقيّة،

والعلوم الحديثة والصحيحة"[17] والإسلام يشجّع الترقي ويشمل جميع شروط الحضارة[18] لذلك استشهد بديع الزمان بالتاريخ دوماً وبيّن أنّ المسلمين عندما تمسّكوا بدينهم قطعوا مسافة في مجال الحضارة بدرجة تمسّكهم بالدين؛ وتخلّفوا كلّما أهملوا دينهم وتعرّضوا للهزائم النكراء والعكس هو الصحيح لمنتسبي الأديان الأخرى.[19]

لذلك قام بديع الزمان بإجراء المقايسة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلاميّة من أجل توضيح هذه النقاط في العهد القديم وفي مرحلة الجمهورية. والفرق الأساسي بينهما، هو أنّ الحضارة الغربيّة تستند على مبادئ فلسفة اليونان وروما، بينما الحضارة الإسلاميّة تستند على الوحي الإلهي. وكون أحد أوجه الحضارة الغربية ظهر بشكل بعيد عن العيسوية جعل سيئات هذه الحضارة تغلب على فوائدها، وتنتشر السفاهة والشهوة والظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يعدّ الأرضية لانهيار هذه الحضارة في المكان الذي تطبّق فيه، وفي النهاية تفتح الطريق لتمزيقها وتكون وسيلة لتأسيس حضارة إسلاميّة."[20]

وفي ضوء هذه المعطيات يقول بديع الزمان أنّ أحد أهداف الجهاد والذي هو فرض على جميع البشرية "إعلاء كلمة الله" في هذه المرحلة "متوقّف على الترقّي المادي"؛ وإنّ إعلاء كلمة الله "ممكنٌ بالدخول في المدنية الحقيقيّة" وكما أنّ رقيّ الإسلام وتقدّمه في الماضي كان بالقضاء على تعصّب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته.. وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف. فسوف تُغلب الأعداء وتُشتت شملهم بالسيوف المعنوية -بدلاً من المادية- للمدنية الحقيقية والرقي المادي والحق والحقيقة".[21]

علاوة على ذلك، فإنّ عدوّ المسلمين في هذا العصر في نظر بديع الزمان ليس هو الذي في الخارج. وإنما العدو الأصلي هو -المخالف لرسالة الإسلام- وهو "الجهل، والضرورة، والاختلاف". وإن سبب انهيار العالم الإسلامي، والمانع للمسلمين من القيام بإعلاء كلمة الله هو هؤلاء الأعداء القساة ونتائجهم.[22] وإننا نشاهد هذه المعاني في إحدى مقالات بديع الزمان التي نشرت في إحدى الصحف في تلك المرحلة.

"فكلّ مؤمن مكلّف بإعلاء كلمة الله و أعظم وسيلة لإعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.[23]

إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهلَ والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله.

أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء. لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً.''

الجهاد الخارجي عند سعيد القديم

الجمل المبيّنة أعلاه تلخّص أفكار بديع الزمان حول كيفيّة الجهاد المثالي الخارجي في العالم المعاصر. وقد كان المسلمون سابقاً في القرون الوسطى مضطرين لحمل السيف تجاه الوحشية والتعصّب والاعتداء. لكن في هذه المرحلة الحضارية، و لكون الأجانب أكثر تحضراً وقوة.. فإنه من نقطة نظر الدين يكون التغلب على المتحضرين بالإقناع، وليس بالإجبار. بإظهار الإسلام محبوباً وديناً علوياً بالامتثال لأوامره بالأفعال والأخلاق''.[24]

لذلك فإن قبول الأخلاق الإسلامية وتطبيقها، إظهار ميزتها بأنها علوية وتستحق الحب، هو عنصر مهم للترقي، إلى جانب كونه عنصر مهم ''لإعلاء كلمة الله''. وكما كتب بديع الزمان سيكون وسيلة لدخول الناس في الإسلام جماعات جماعات:

''ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل اتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام''.[25]

والنقطة الأخيرة تحمل أهمية خاصّة بسبب رأيه المثالي المتعلق في الجهاد الخارجي. وكما بينا أعلاه أن بديع الزمان كان على قناعة تامّة أن البشرية لن تجد الراحة والسكينة إلاّ في الإسلام دين الحق، ولن يتحقق السلام الكوني إلاّ به. وقد عرض كثيراً من الأدلة التي تدعم هذا الادّعاء، وكرّر ذلك مراراً وبكلّ مناسبة. وباختصار فقد بين أنّ البشرية في هذا العصر استيقظت من سباتها بالتقدّم العلمي من طرف، وبالحروب والأحداث المرعبة من طرف آخر. وبعد أن فهم الإنسان أبعاد قابلياته واللطائف اللامتناهية التي أعطيت له لا يستطيع العيش بلا دين، وهو مجبور إلى معرفة الغاية الحقيقية للحياة.[26]

الجهاد المادي عند سعيد القديم

لا يجب أن نفهم ممّا بيناه أعلاه أن بديع الزمان هو ضد الجهاد المادي على كل حال. فعندما تتطلب الشروط، أي عندما تتعرض البلاد للتجاوز الخارجي، كان بديع الزمان بطلاً في الدفاع عن بلاده. فقد قضى قسماً لا يستهان به من المرحلة الأولى من حياته في ساحات الحرب. ويحتمل أنّه شارك في حرب البلقان سنة ١٩١٣م.[27] وقد سعى في إعداد فتوى الجهاد عندما نشبت الحرب العالمية الأولى. وكانت الميلشيات

التي أسّسها في شرق الأناضول بأمر من باشا التي سميت ''أصحاب القبّعات اللباد''، وكانت ميليشيات شجاعة ومحاربة أرّقت الميليشيات الأرمنيّة والروس، حيث تمّ تقليد بديع الزمان وساماً حربياً بسبب خدماته المهمّة ضد الروس.

والنقطة التي يجب أن نوضّحها هنا هي أن بديع الزمان لم يترك القلم خلال جهاده ضدّ الاحتلال الروسي، ولم يتنازل للاختباء وراء الحواجز خلال القصف الروسي، بل بقي على ظهر جواده يملي على كاتبه ''إعجاز القرآن''. وهذه الخاصيّة هي أوضح من كل شيء، وكما بين في مقدمة كتابه إشارات الإعجاز، دليل على أنه يرى أن وظيفة الجهاد العلمي ضرورية.[28]

نقطتان مهمتان - تتعلقان بالكفاح السياسي والنظام العام

إنّ تعرّض بديع الزمان في مرحلة سعيد القديم وفي مرحلة سعيد الجديد أثناء إدارة الجمهورية لتُهم بخلاف أفعاله تماماً للحياة التي كانت من قدر بديع الزمان. ففي المرحلة الأولى شارك ''كشخصية شعبية'' بشكل فعّال في الدعوة الإسلاميّة للحياة العامة وفي الساحات التي اعتقد أنّها تخدم الدولة العثمانية، إلا أنه ابتعد عن الدخول في السياسة بشكل مباشر؛ فقد كان يفكّر أنّ الكفاح السياسي في هذا الزمن أو فيما بعده ليس شكلاً مناسباً للجهاد. وإنّ كلّ علاقته بالسياسة كانت تنبيه الحكام على المبادئ الإسلامية، أو جعل السياسة خادمة للدين. (وسنتناول هذه القضية بشكل أوسع فيما بعد). فكان في المرحلة الأولى من حياته يتحدّث باستمرار عن الأمور السياسية ويتابعها بشكل فعال، ثم أعاد الحديث في السنوات العشر الأخيرة من حياته ال أولى إلى دعوى قضية الاتّحاد الإسلامي، والتي رأى سنة ١٩١١م أنها ستتحقق فيما بعد باسم ''الجماهير الإسلامية المتّفقة''، وعند الحديث عنها وعن حاكمية الإسلام المستقبليّة يضيف مباشرة ما يلي:

''يا إخوتي الكرام!

أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا استنهض هممكم للاشتغال بالسياسة -حاش الله- فإن حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة بل جميع أصناف السياسة وأشكالها يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له، وليس لأية سياسة كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها''.[29]

ورغم أنه كتب باسم جمعية الاتحاد المحمّدي، إلا أننا نستطيع مطالعة الكلمات التالية التي توضح آراءه:

''إنّ مسلكنا أخلاقي وديني خالص.. ومشرب جمعيتنا إبداء المحبة لمعنى المحبة بين المسلمين والخصومة مع الخصام بينهم وإحياء مسلكنا بالتخلق بالأخلاق

الأحمدية وإحياء النبوية، مرشدنا هو الشريعة الغراء وسيوف البراهين القاطعة ومقصد إعلاء كلمة الله''.[30]

''هدف الاتحاد وقصده: إعلاء كلمة الله.. ومسلكه: الجهاد الأكبر للنفس وإرشاد الآخرين... وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبة تسع وتسعين بالمئة إلى غير السياسة من تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك وما شابهها من الفضائل والمقاصد المشروعة''.[31]

إنّ قضية المحافظة على الأمن العام والنظام الداخلي هي نقطة ثانية تشكل عنصراً مركزياً في مفهوم بديع الزمان للجهاد، والتي أدت إلى اعتقاله - بشكل خاطئ - من طرف المحاكم سواءً تحت إدارة المشروطية أو إدارة الجمهورية. وسنتناول هذه القضية بشكل مفصل فيما بعد. وسنبين أن بديع الزمان اعتقل بعد حادثة ٣١ آذار بحجة انتسابه لجمعية الاتحاد المحمدي التي اتهمت بتنظيم العصيان، وذلك رغم إقناعه لثمانية طوابير عسكرية على الأقل بترك العصيان بمقالاته التي نشرت في الصحف وببياناته الشخصية، وسنبين انه بهذا ساعد على إخماد العصيان[32] وبسبب اهتمامه الكبير بهذه الحادثة، استخدم نفوذه وشهرته وخطابته القوية، وأخمد بديع الزمان غليان الشعب الثائر في تلك المرحلة الفوضوية. ومثالاً على ذلك؛ مظاهرة الحمالين الأكراد خلال مقاطعة البضائع النمساوية، والفوضى التي حدثت أثناء محاضرة ميزانجي مراد بيك في مسرح الفرح في حي شيخ زاده باشا، ومظاهرة طلاب المدارس في بايزيد في شباط ١٩٠٩م.[33]

خلاصة

ومن هذا المنظور وإذا أردنا أن نلخص أفكار بديع الزمان حول الجهاد في المرحلة الأولى لحياته، نستطيع القول أنه رغم مشاركته ''بالجهاد المادّي'' ببطولة لا نظير لها، إلّا أنّه يرى أنّ الجهاد الأصلي والأساسي هي إحياء سنة الرسول ﷺ والأخلاق الإسلامية إلى جانب الجهاد المتعلّق بالعلم والترقي والحضارة. وإن محاربة ''الجهل، والضرورة، والاختلاف الداخلي'' التي هي السبب الأصلي في تخلف العالم الإسلامي تجاه الغرب، هي أهمّ الخواص التي لها مكانة في مضمون الجهاد في نظره. لذلك كان القسم الأعظم من مجاهدة بديع الزمان، يتركّز في بؤرة تدريس العلوم الدينيّة والمعاصرة معاً، والسعي لمزجها، وتتعلق بالتعليم والإصلاح التعليمي.

وبعكس اتّهامات أعداء الإسلام بيّن بديع الزمان أنّ الإسلام ''سيد الفنون ومرشدها، ورئيس علوم الحقائق ووالدها''[34] ومنبع الحضارة الحقيقية. وفي هذه الحالة، بدل أن تستند الحضارة الغربية على الوحي، تأسست على أسس فلسفية فاسدة،

ورغم أنها حققت الآن تفوقاً في العلم والصناعة والتكنولوجيا، إلا أنها ''ستتمزق'' وسيدخل الناس أفواجاً في الإسلام.

وكون الإسلام يحتوي جميع الأسس التي تشجّع الترقي والحضارة، مقابل الوسط الغربيّ الذي يسعى لجعل العالم الإسلامي تابعاً له بسبب تفوقه العلمي والتكنولوجي، فإن الوظيفة الأصليّة للمسلمين هي الترقي والنهضة المادية. وإنّ إعلاء كلمة الله لا تتم إلّا بهذا الشكل في هذا الوسط.

إنّ التوحيد بين العلوم الإسلاميّة والمعاصرة يؤدّي إلى تنظيم العلوم الإسلامية في ضوء التطورات المعاصرة في ساحة المعرفة. وإن بعض ثمار مساعي بديع الزمان في هذه الساحة تمّت المحافظة عليها في كتاب المحاكمات العقلية التي كتبها من أجل تأسيس أسس التفسير للقرآن كما قال[35] ومعجزة النظم القرآني المذكورة أعلاه، والمشار إليها في كتابه إشارات الإعجاز الذي وحّد إلى حد ما بين المعرفة الإسلامية والمعاصرة.

وإلى جانب ذلك، ورغم جميع مساعيه وجهوده في الساحات العلمية وغيرها، فإن بديع الزمان طوال مرحلة سعيد القديم -باستثناء إشارات الإعجاز- في مرحلة شبابه ''وبسبب العوارض الخادعة'' وبمعرفته للتهديد الذي واجه القرآن والعالم الإسلامي خلال مرحلة الانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، اتّخذ قراراً بأنه لم يقم بإيفاء وظيفته في ''عرض معجزات مرشده القرآن وإثبات حقائق علمه''.[36] وسيتولّى هذه الوظيفة سعيد الجديد.

ومن هذا المنظور نرى أنّ بديع الزمان سعى للإسراع بهدف الترقي المادي والنهضة الاقتصادية ''الجهاد العلمي'' في مرحلة الإمبراطورية العثمانية التي كان الإسلام يحكم فيها. لكن بعد تأسيس الجمهورية واتّباع سياسة دنيوية وتغريبية، قام بتكثيف نشاطاته في تخليص العقيدة الدينية وتقويتها لمسلمي تركيا، والتي تعرضت للهجوم المباشر. ورغم وجود الفروق الظاهرة لمسعى بديع الزمان في هاتين المرحلتين إلا أنها تعرض استمرارية واضحة، وسيتضح ذلك عندما يطرح الخط الذي اتّبعه بديع الزمان في جهاده الذي استمر طوال خمس وثلاثين سنة في المرحلة الثانية لحياته. وهذا ما نسعى لعرضه الآن.

سعيد الجديد:

ومع تأسيس الجمهورية سنة ١٩٢٣م اكتسب المعارضون للإسلام قوّة في الحكم، وبدأوا يستخدمون قدرة الدولة على فرض نظام أجنبي ''غير إسلامي'' على المجتمع المسلم في تركيا بالقوة. وقد قبلوا بناء الحكومات والإدارات الغربية المختلفة، وهدفوا

لجعل تركيا دولة عصرية علمانية على النمط الغربي تستند على الفلسفة الوضعية. وكلّما صارت الثقافة الغربية طراز الحياة في تركيا، كلّما صارت مبادئ الفلسفة المادية الغربية هي أسس الحياة. وباختصار ستحتل الفلسفة المادية مكان الإسلام.

وبهذا الشكل، تصير تركيا التي كانت أهم جبهة في المجاهدة تجاه الإنكار والمادية في حالة وضع تلتحق فيه بالعالم المعاصر في هذا الكفاح. وكأنها ليست هي التي كانت مركز الخلافة طوال أربعة قرون ''وحاملة راية الإسلام'' وقائدة جهاده المادي. وقد كانت الأوضاع في حالة دفعت بديع الزمان للقول مراراً ''من أجل النجاة بالإيمان وخدمة القرآن، يجب المجيء إلى هنا حتى لو كنت في مكة''.[37]

وعند دراسة بديع الزمان مقابلته لهذه التطورات، تظهر أمام الأعين نقطتان مهمتان تساعدان على توضيح هذه المقابلة. الأولى هي قبوله للقرآن الأستاذ الوحيد وذلك مع تحوله إلى سعيد الجديد؛ وبعد هذه المرحلة أخذ إلهامه ونشاطه وتفكّره من القرآن بشكل مباشر.

وإلى جانب ذلك فقد فهم بديع الزمان منذ البداية أنه لا يمكن العمل مع القادة الجدد لتركيا في الدائرة السياسية التي قبلوها. وبالنظر إلى سيرته الذاتية الرسمية نجد أنه أدرك أن غلبة اللادينية التي يمثلونها لن تتم إلا ''بنور الإعجاز القرآني الذي يحكم بالسيف المعنوي''.[38] لذلك فقد ابتعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية، وعندما نفي سنة ١٩٢٥م، تلقى إلهامه بشكل مباشر من القرآن، وبدأ يكتب الرسائل التي تثبت أسس الإيمان. ذلك لأن أهم وأخطر الأمراض التي تعرض لها العالم الإسلامي، هو تأسيس نظام مخالف له في مركز الخلافة، ممّا فتح الباب للانهيار، و أوجب البناء الجديد والإصلاح وتجديد الأسس الأساسية للإسلام.

الجهاد المعنوي

وقد سمى بديع الزمان هذا الكفاح الذي بدأه بـ ''الجهاد المعنوي'' و ''الحركة المثبتة''، كما يمكن تعريفها بعبارات ''الجهاد غير المادي''، و ''الجهاد بالقول''، حيث أثبتت الأحداث توافق هذا الجهاد. وهكذا لم يكشف بتجديد الإيمان؛ بل نجح بنشره بشكل مستمر وإكسابه القوة، حتى إنّه بعد بداية هذا الكفاح بعشرين سنة، وفي أواخر ١٩٤٠م ادعى أن رسائل النور ''قصم ظهر الكفر'' و ''أن رسائل النور جعلت اللادينية شذر مذر وأثراً بعد عين''.[39]

وإنّ الخاصية التي شكّلت أساس اليقظة الإسلامية وجعلتها متركّزة في تركيا في السنوات الأخيرة هي بدون شك حركة رسالة النور ومنهجها في ''الحركة الإيجابية'' الناجح.

والبحث الذي يشكل مفتاحاً لتعريف مفهوم الجهاد المعنوي، يوجد كملحق في حاشية المسألة الحادية عشر في نهاية رسالة الثمرة في الشعاع الحادي عشر. وقد عرضنا أدناه قسماً من هذا البحث:

''إن جملة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾البقرة:٢٥٦ تشير بالجفر وحساب الأبجدية إلى سنة ١٣٥٠ وتفيد بالمعنى الإشاري:

على الرغم من أن الحكومات في تلك الفترة تعارض الدين بفصلها الدين عن الدنيا، متخذة القوة والإكراه والإجبار ضد الدين معارضة الجهاد لأجل الدين بالسلاح وتتخذ في الوقت نفسه حرية الوجدان دستوراً سياسياً لها وتتحول الحكومة إلى جمهورية علمانية، إلاّ أن جهاداً معنوياً سيبدأ بسيوف الإيمان التحقيقي، إذ سيظهر نور من القرآن الرشد والإرشاد وفي الدين بإظهار البراهين القاطعة بحيث يظهر الحقائق واضحة إلى الأعين. وهكذا تبين الآية الكريمة لمعة إعجاز ظاهرة وحتى كلمة ''هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ''البقرة:٢٥٧ 40 فتبين بأمارة خفية بالموازنات التي فيها والتي هي أصل ومنبع المقايسات في رسائل النور وما ترد فيها مكرراً من التقابل بين النور والظلمات، والإيمان والكفر. كل ذلك أمارة خفية تبين: أن في ذلك التاريخ وفي أثناء المبارزة في الجهاد المعنوي فإن البطل المسمى بالنور أي رسائل النور التي كشفت عن مئات الأسرار الخفية في الدين، وأن سيوفها الألماسية المعنوية كافية لا تدع حاجة إلى السيوف المادية'' ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.البقرة:٢٥٧41

ومن هذه الزاوية نجد أنه يذكر ولو بشكل غير مباشر ما كان يقوله في بداية هذا القرن إن عهد ''القوة والجبر'' قد ولّى، وإنه يجب أن تكون أسس الكفاح في هذا العصر هي العلم والفن والإقناع. وهنا يربط طراز هذا الكفاح بالمبادئ المعنية التي هي نتاج هذه التطورات، ويقول إن القرآن بذاته ألهمه إياها. ويرى بديع الزمان أن حرية الضمير وغيرها من المبادئ هي من النتائج الضرورية لعصر العلم - للعصر الحديث، ويجب أن يكون الجهاد بشكل مناسب لها. وكما أشار القرآن لهذا فإنه يؤمّن الوسائط لاستمرار هذا الجهاد، حيث يجب أن يكون متابعو هذا الجهاد بعيدين عن الكفاح السياسي والمادّي، من أجل المحافظة على صفاء هذا الجهاد. والغريب أنّ الشخص الذي يعارض الإجبار والقوة في القضايا المتعلقة بالدين، والذي قبل حرية الضمير وغيرها من المبادئ التي قبلت بشكل عام، والذي يعارض الكفاح السياسي

باسم الدين، تعرّض للنفي والسجن طيلة خمس وثلاثين سنة بتهمة الإخلال بالعلمانية التي تعدّ حرية الضمير أحد عناصرها الأساسية.

وكي نفهم مفهوم الجهاد المعنوي بشكل أفضل، سنقوم أولاً بدراسة السيف المعنوي لرسائل النور التي لم تترك الحاجة للسلاحين الأساسيّين المذكورين أعلاه، ''الإيمان التحقيقي'' و ''السيوف المادية'' التي كشفت مئات من الطلاسم الموجودة في الدين. وسنتناول ثانياً بشكل أكثر تفصيلاً سلوك بديع الزمان تجاه السياسة، وأسباب ابتعاده وابتعاد طلبة رسائل النور عن الاشتغال بها.

سيف ''الإيمان التحقيقي'':

وقبل كل شيء يجب أن نبيّن أنّه حسب تصنيف الجهاد المذكور أعلاه فإن مرحلتين من مراحل الجهاد الثلاثة عشر تشمل الجهاد المادي بمعنى استخدام القوة. والغاية الرئيسية للجهاد هي ''هزيمة الكفر وتمكين الحق في الحكم'' و ''نصرة دين الله و إعلاء كلمته''. لذلك وكما بين أحد علماء عصرنا أن الشكل المهم للجهاد بالشكل الذي يطابق معنى الحديث جاهدوا المشركين باللسان: هو الكفاح ضد الكفر حسبما يتطلب الزمان والمكان، وبكل فرصة مناسبة وكل دليل، وبرهان، وإثبات ومناظرة، وتبليغ، كتابي أو شفاهي وباستخدام جميع الوسائط.[42]

إن إلقاء نظرة سطحية بسيطة على رسائل النور التي ألّفها بديع الزمان بعد نفيه، توضح أنّه صاحب جميع الميزات التي تجعله يحقق الجهاد ''باللسان'' بكلّ معناه تجاه اللادينية والبدع والفلسفة المادية التي سعى لفرضها على الناس بقوة الدولة في تركيا. وهذه الميزات هي التي تدفع لاكتساب الإيمان التحقيقي، وذلك حسب تجارب معظم قراء رسائل النور.[43]

إن الملفت للنظر ضمن خصوصيات رسائل النور، هو أنها منحصرة تقريباً على تناول الحقائق الإيمانية والمواضيع المتعلقة بها، وقد أثبت بالأدلة المنطقية والعقلية أن هذه الحقائق منطقية ومعقولة. وتستخدم رسائل النور التشابيه والأمثلة التي توضح القضايا المبهمة، حيث يستند قسم كبير منها على المقايسة الواسعة بين القرآن الكريم والحكمة القرآنية والحضارة القرآنية وبين الفلسفة الغربية ونتائجها والحضارة الغربية. ويردّ الفلسفة الغربية وتهجّمها على الإسلام، ويثبت أن القرآن هو المنبع الحقيقي الوحيد الذي يؤمّن سعادة الإنسانية وترقيها. كما أن رسائل النور تجمع بين حقائق الدين والعلوم المعاصرة، وتقوم بإثبات هذه الحقائق في ضوء العلم، وهذه الخاصية تتعلّق بتفسير وشرح القرآن من الجهة التي تنظر إليها القرن المعاصر''. ذلك لأنّ بديع الزمان فتح طريقاً جديداً للحقيقة، بالاستفاضة من أصول توجيه القرآن للإنسان

للتفكير بالأعمال الإلهية المتجلية في الكائنات، وبواسطة تفكر تجليات في الأسماء الحسنى، فهذه الخاصية حققتها رسائل النور. كما أنه يفند المفاهيم التي تستند عليها الفلسفة المادية مثل ''الطبيعة'' و ''علاقة السبب والنتيجة''، ويجيب على الفلسفة المادية ويردّها.

إن أصول التفكر الحركي المتكامل هذا -كما بين بديع الزمان- حتى في ''تبيّن أنوار التوحيد'' والأماكن التي يتّخذها الطبيعيون وأصحاب الفلسفة المادية أساساً لأفكارهم ''يريدون الاستتار بها''.[44]

وإلى جانب ذلك، وبواسطة هذه الأصول التي وُضِّحت لحد ما أعلاه، فإنّ رسائل النور أثبتت كثيراً من القضايا الإيمانية التي اعترف كثير من كبار العلماء حول عجزهم تجاهها مثل الحشر الجسماني، والقدر والإرادة الجزئية، وجعلت أسرار كثير من القضايا مقبولة ويمكن إثباتها بسهولة مثل التجدد الدائم للكائنات وأنانية الإنسان، وتحول الذرة وأمثالها.[45]

ونستطيع أن نقول باختصار أن رسائل النور تقدم تفسيراً للدين يوافق إنسان القرن العشرين، ويخاطب عقله وسائر لطائفه الرقيقة والعميقة، وتجيب على احتياجات الإنسان في هذا الزمان. وبالنسبة لمتتبعي منهج رسائل النور فإن الإيمان في ترق مستمر بواسطة الدرجات اليقينيّة اللامتناهيه وتجعله حياتياً وفي وتيرة دائمة.[46]

ويستخدم بديع الزمان لمثل هذا الإيمان الذي نستطيع وصفه ''أثبتت حقيقته وقبوله'' ''إيمان مؤيّد'' و ''اكتسب القطعية بالتحقيق'' أو للإيمان الظاهر ''نتيجة البحث'' عبارة ''الإيمان التحقيقى''. وهو ضدّ الإيمان التقليدي.

لذلك يقول علماء اليوم أن بديع الزمان جدّد علم الكلام برسائل النور، وجعله يجيب على احتياجات اليوم.[47]

الكفاح العملي:

ونتيجة هذا الكفاح الثقافي الحركي تجاه الكفر والإنكار الذي أرادوه أن يُفْرَض بالقوة، تحقّق الكفاح العملي على شكل كتابة ونسخ وتوزيع رسائل النور تحت الشروط المعادية وغير العملية في العشرينات والثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وذلك لأنه في هذه المرحلة من الزمن كانت كتابة ونشر المواضيع الدينية ممنوعة فعلاً، وليس قانوناً. ولهذا السبب قام بديع الزمان بإملاء رسائل النور على محبيه في الجبال والوديان. وبسبب عدم إمكانية طبعها بعد إلغاء استخدام الأبجدية العربية كان يجب استنساخها وتكثيرها بخط اليد. وقد تم اعتقال من تجرأ وحاول طبع رسائل بديع الزمان في المطابع وتعرضوا للتعذيب. وكون هذا العمل ليس سهلاً، اذ اقتناء

الورق والحبر يدفع بكثير من طلبة النور الذين هم ليسوا أغنياء لترك قضية تأمين معيشتهم جانباً، فقد كان يتطلّب إذاً تضحية كبيرة، و كان بديع الزمان يذكر دوماً الحديث ''يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء''[48] وكان يشجع تلاميذه باستمرار على المجاهدة لنشر الأنوار الإيمانية وبين لهم أن أعمالهم هذه ''اجلّ من أكبر القضايا''.[49]

وكلما كبرت حركة بديع الزمان، كانت هناك خاصية مميّزة سعى للتوصل إليها من أجل هذه الحركة وهي اعتباره لنفسه واحداً من طلبة رسائل النور، وتشكيله شخصية معنوية لهم، لذلك أصر على تلاميذه أن يغنموا الإخلاص ويضحّوا بأنانيّتهم من أجل شخصيتهم المعنوية وبالنسبة له إن شروط هذا القرن المعاصر -الذي هو عصر الأنانية - توجب الجهاد مع النفس والجهاد الأكبر؛ وذلك لأن الهجوم الشديد الآتي من قوى الكفر والضلال في صورة شخصية معنوية لا يمكن مجاهدتها بنجاح إلا بمثل هذه الشخصية المعنوية.[50]

"الجهاد المعنوي" وسلوك بديع الزمان تجاه السياسة:

إن الهدف الأساسي للجهاد المعنوي عند بديع الزمان هو تحقّق التجديد والبناء من جديد على المستوى الأساسي -يعني في نقطة الإيمان- وبيّن دوماً أنّه فوق جميع القضايا باعتبار أهميّته ولزومه. وقد تناول هذه الوظيفة على المستوى الفكري لآخر الزمان، حيث قال لو أنّ المهدي يجئ في هذا الزمان، فإنّه سيبنى دعوته على هذه القضية بدل المسائل التي تقع في المرتبة الثانية أو الثالثة كالحياة والشريعة. ورغم اعتبار هاتين القضيّتين اكثر أهمية عند العوام إلا أن الوضع هكذا[51] وتجاه تجاوز وهجمات الزمان الحالي، فإن جميع القضايا الأخرى مهمّة في الدرجة الثانية، وجميعها تابعة للنجاة بالإيمان وتجديده.

وكما بينا أعلاه إن كون رسائل النور قد أخذت ''السيوف المعنوية'' من القرآن الكريم من أجل الإيفاء ''بالجهاد المعنوي''، لذلك لم تبق حاجة للكفاح المادّي حالياً.

ولأهميّة هذه القضية، وبسبب عدم اشتغال بديع الزمان بالسياسة وابتعاده عنها تماماً رغم إمكانيّة مساعدتها لدعوته بشكل معقول ورغم توفّر الشروط المساعدة لذلك، فسنتناول أسباب سلوك بديع الزمان هذا المسلك انطلاقاً من الأجوبة التي أجاب بها على الأسئلة التي وُجِّهت إليه بهذه الخصوص.

الأوّل: إن السياسة تحمل تأثيراً سلبياً على الأكثر في إقناع الناس و ''مجيئهم'' إلى الحقيقة.

''إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم. وإنّ العلاج الوحيد لإصلاح القلب وانقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور. فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها واُحرز النصر، تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين. والمنافق - كما هو معلوم - أشد خطراً من الكافر وأفسد منه. فصولجان السياسة إذاً لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث يُنزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً.

ثم إن شخصاً عاجزاً مثلي، لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما املك من قوة، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة أياً كان نوعها. أما ما يقتضيه الجهاد المادي، فتلك الوظيفة ليست مناطة بنا حالياً. نعم! إن الهراوة هي لوقف تجاوز الكافر أو المرتد عند حدّه، ولكن لا نملك سوى يدين، بل لو كانت لنا مائة من الأيدي ما كانت تكفي إلاّ للنور فلا يد لنا تمسك بهراوة السياسة''.[52]

الثانية: يمكن استثمار ''حقائق الإيمان'' ويمكن تخفيف قيمتها. وفي نظر بديع الزمان إنّ حقائق الإيمان وخدمتها هي أعلى شيء في الدنيا. وقد ابتعد بدقّة عن كلّ نشاط يفتح الطريق لاستثمار هذه الحقائق[53] ولا يمكن أن تصير آلة وتابعة لأي شيء وخاصة للتيارات والقوى السياسية. لذلك فإن خدمة القرآن الحكيم منعت طلبة رسائل النور من الاشتغال بالسياسية بشكل قاطع.[54]

الثالثة: أهم سبب لابتعاد بديع الزمان عن السياسة، هو الإخلاص الذي يعدّ ''أكبر قوة''[55] لمنهج رسائل النور ''وأساسها'' والإخلاص هو قيام طلبة رسائل النور بوظيفة خدمة القرآن والإيمان، وعدم التدخّل بالوظائف الإلهية التي تصير حساسة دقيقة عند الدخول في أمور السياسة، وعدم محاولة قطف ثمار هذه الخدمة بسرعة في هذه الدنيا. وكتب بديع الزمان:

''إنّ أعظم شرط للجهاد المعنوي عدم التدخّل في ما هو موكول أمره إلى الله، فواجبنا الخدمة، أما النتيجة فموكول أمرها إلى الله تعالى ونحن مكلفون بإبداء وظيفتنا''.[56]

الرابعة: قضية التحيز وقضية الإخلاص فيقول بديع الزمان:

''إن أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجارية، هو الإخلاص؛ الذي هو أساس مسلكنا، فالإخلاص هو الذي يمنعنا عن ذلك، لأنّ في زمن الغفلة هذا، ولا سيما من يحمل أفكاراً موالية إلى جهة معيّنة، يحاول أن يجعل كل شيء أداة

طيعة لمسلكه، بل يجعل حتى دينه وأعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنيوي. بينما الحقائق الإيمانية والخدمة النورية المقدسة تأبى أن تكون وسيلة لأي شئ كان في الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية إلاّ رضى الله سبحان.

وفي الحقيقة، إنّه من الصعوبة بمكان، الحفاظ على سر الإخلاص في خضم الصراعات المتنافرة للتيارات الحالية، ومن العسير الحيلولة دون جعل الدين وسيلة لمكاسب دنيوية، لذا أفضل علاج لهذا هو الاستناد إلى العناية الإلهية وتفويض الأمر إلى توفيق رب العالمين بدلاً من الاستناد إلى قوة التيارات الحالية''.[57]

الخامسة: التحيّز إلى جانب فتح الطريق لاستغلال الناس للدين ،له نتائج سلبية أخرى، منها هدم وإفساد الوحدة بين المسلمين.[58]

السادسة: السبب الآخر الذي يجعل بديع الزمان وطلبة رسائل النور مضطرين إلى للابتعاد عن الاشتغال بالسياسة هو عدم التسبّب بإضرار الآخرين. وبالنسبة لبديع الزمان إن الإضرار بالأبرياء بسبب أخطاء الآخرين منافٍ للعدالة الإسلامية.

واتخذ لنفسه حكماً ''لا يؤخذ أحدٌ بجريرة غيره'' واستخرجه من الآية الكريمة ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾الأنعام:١٦٤ ويقتبس منها دستوراً وخاصة خلال المقايسة بين الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة. وذلك لأنّ هذا الدستور يتعرض للإخلال من طرف الحضارة عن عمد واستمرار. وفي الرسالة المعروضة أدناه يشير أثناء تناوله لموضوع الجهاد أنّ استخدام القوة والشدة خارج الحقوق حتى لو كان ضمن دائرة الإسلام وهنا يحتمل أن يكون قد استخدم تعبير ''دائرة الإسلام'' بدل تعبير ''دار الإسلام'' لما تحمله الثانية من إيماءات سياسيّة.

''ولو كان الجهاد قائماً وهو جهاد إسلامي، فإنّ حال أطفال الكفّار تبقى على وضع آبائهم، وربّما يكونون من الغنائم ويتمكّن المسلمون أن يجعلوهم تحت إمرتهم وملك يمينهم. ولكن لو ارتدّ أحد داخل ديار المسلمين، فلا يُمتلك أطفاله قطعاً. ولا يجوز التجاوز على حقوقهم بأي شكل من الأشكال، لأن أولئك الأبرياء إنّما يرتبطون بالإسلام وبجماعة المسلمين، برابطة الإسلام، التي انقطعت عن والدهم. أمّا أولاد الكفار فرغم أنّهم من أهل النجاة، فهم يتّبعون والدهم في الحقوق والحياة. لذا ربّما يكونون أسراء أو مماليك عبيد في أثناء الجهاد الإسلامي.''[59]

"الجهاد المعنوي" و "الحركة الإيجابية":

لقد وضّح بديع الزمان الأهميّة المركزيّة لمفهوم ''الجهاد المعنوي'' في منهج رسائل النور لتلاميذه في الدرس الأخير الذي ألقاه عليهم قبل وفاته[60] وقد كرّر بديع

الزمان الخاصية المبيّنة أعلاه في عدم التسبّب بإضرار الأبرياء بسبب بعض الآثمين. لذلك لم يسمح ''بجواز استخدام القوة في دائرة الإسلام''. بل يقابل العدوّ الخارجي بالقوّة، وذلك لأنّ مال العدو وعياله وأطفاله بحكم الغنائم، كما ذكر بديع الزمان الآية ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام:١٦٤

وبيّن أنّ هناك فرقا كبيرا بين الجهاد الداخلي والجهاد الخارجي اليوم. والحركة داخل البلاد، يعني داخل ''دائرة الإسلام'' مضطرّة إلى أن تكون ''حركة إيجابية'' وكون التخريب الموجود ليس تخريباً مادياً فقط، وإنّما أخلاقيّاً ومعنوياً، فيجب أن يكون الكفاح تجاهه بنفس الميزة.

''إنّ وظيفتنا هي الحركة الإيجابية البنّاءة وليست الحركة التخريبيّة الهدّامة، بل تنحصر وظيفتنا في الخدمات الإيمانية وفق رضى الله سبحانه من دون التدخّل فيما هو موكول أمره إلى الله. فنحن مكلّفون بالتحمّل والصبر في أثناء أداء خدمتنا الإيمانيّة التي تنتج الحفاظ على الأمن والنظام''.[61]

والحقيقة أنّ بديع الزمان عرّف طلبة رسائل النور بأنّهم ''المحافظون على الأمن''. وذلك لأنهم كانوا ''يدعون في عقل كلّ واحد منهم مانع'' يمنع من الحركة الخاطئة ''وذلك بدرس الإيمان. فيحافظون على الأمن''.[62]

ويوضح بديع الزمان سبب اهتمامه الكبير بعمل رسائل النور في رسالة كتبت في أواسط سنة ١٩٤٠م.يذكر أنّه كون رسائل النور ''المخلص المعنوي لهذا الوطن المبارك'' ومن أجل ''دفع البلاءين المعنويّين'' اللذين نواجههما. ومن أجل إيقاف الفوضى والتفسّخ الناتجين عن نشاطات النظام الجديد، يفكّر بأنّه جاء وقت الظهور بعالم المطبوعات.[63]

وأحد هذين البلاءين أو التيّارين، هو تيّار الشيوعيّة الذي جاء من الشمال ولم يقف عند تهديده لتركيا فقط بل اكتسح مكاناً به في البلاد. والثاني هدفه نشر اللادينية وسوق المجتمعات المسلمة للسفاهة والتفسّخ، وهي لجان الفساد التي جذورها في الخارج، وهذين التياران يمثّلان الكفر المطلق. دون أن ننسى أنّ الهدف النهائي للثاني هو هدم العالم الإسلامي، وقطع جميع الروابط بينه وبين هذا المركز الإسلامي بمختلف وسائل الدعاية. وإذا حرم العالم الإسلامي من مصدر القوة يعني نصيره الطبيعي فإنّ الأمّة التركية لن تستطيع مواجهة إفساد هذين التيارين اللادينيين، وستصير لقمة سائغة للفوضى الناتجة عن التخريب المعنوي.[64] وذلك لأنّه كما قال بديع الزمان ''لا تعيش الأمة بلا دين''.[65] وإنّ ''رسائل النور تشكل سداً قرآنياً تجاه التخريب المعنوي'' الذي

يقوم به الطوفان الشيوعي القادم من الشمال ومؤيدوه السريّون داخل البلاد، هي إذن تؤدّى دور الإصلاح بقوّة القنبلة النووية، من أجل معالجة الإنسان المضطرب من جراء هذه التيارات.

وقد بين بديع الزمان في الرسالة التي هي في ''غاية الأهمية'' أنّ أهم وظيفة و أكبر أساس لطلبة رسائل النور تجاه التخريبات المعنوية هي التقوى، اجتناب المنهيات والآثام، والعمل الصالح واكتساب الخيرات.

''لقد فكّرت -في هذه الأيّام- في أسس التقوى والعمل الصالح، اللذين هما اعظم أساسين في نظر القرآن الكريم بعد الإيمان.

فالتقوى: هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات. والعمل الصالح: هو فعل المأمور لكسب الخيرات.

ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار -الأخلاقي والروحي- وبإثارة هوى النفس الأمارة، وبإطلاق الشهوات من عقالها.. تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً بل ركيزة الأسس وتكسب أفضلية عظيمة حيث إنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت.

وحيث إن التيارات المدرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت، فقد أصبحت التقوى اعظم أساس وأكبر سد لصد هذا الدمار الرهيب. فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر، ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلى عمل خالص مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جداً.

إن عملاً صالحاً ولو كان قليلاً يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة''.[66]

ويبيّن بديع الزمان أنّ قوى الشر التي عملت معنويا للفساد وإفساد الأمن خلال ١٩٥٤-١٩٥٥م في تركيا، كانت أكثر فاعلية ممّا كانت عليه في مصر والمغرب وإيران، لكنها لم تنجح لأن ستّمائة ألف نسخة من رسائل النور وخمسمائة ألف من طلبة النور شكلت قوة معنوية ضابطة قاومت هذا التخريب المعنوي.[67]

الوجهات الأخرى "للحركة الإيجابية":

إنّ منهج رسائل النور يرى اتّخاذ الحركة الإيجابية حتى لأتباع المناهج الأخرى داخل الإسلام، بل حتى لمؤيّدي الأفكار المنحرفة داخل الإسلام لدى مواجهة النصرانية، حتى لو تصرفوا بشكل متجاوز وعدائي. إذ يرى أنّه يجب على المؤمنين بالله أن يتركوا الصراع فيما بينهم ويتّحدوا في جبهة تجاه القوى اللادينية:

''وأنتم بدوركم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل ولا أمثاله من العلماء إلى المناقشة والمناظرة. ولو حدث تعدّ وتجاوز علينا، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليهم. إذ إن ذلك المتجاوز أو المعترض أيا كان، هو أخونا من حيث الإيمان لأنه مؤمن، حتى لو عادانا، فلا نستطيع أن نعاديه بمثل عدائه، حسب ما يرشدنا إليه مسلكنا. لأن هناك أعداء شرسين وحيّات لاذعة ونحن لا نملك سوى النور، لا الصولجان. والنور لا يؤلم، بل يلاطف بضيائه، ولا سيما الذين هم ذوو علم فلا تثيروا غرورهم العلمي إن كانوا على غرور وأنانية، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية الكريمة ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.(الفرقان:٧٢)

ثم إن ذلك الشخص المحترم، كان داخلاً في دائرة رسائل النور، واشترك في استنساخ الرسائل، فهو إذن ضمن تلك الدائرة، فاصفحوا عنه حتى لو كان يحمل خطأ فكرياً.

فليس مثل هذا الشخص الفاضل من ذوي الدين والتقوى المنسوبين إلى الطرق الصوفية بل حتى من المؤمنين المنسوبين إلى فرق ضالة، لا ينبغي أن نثير معهم نزاعاً وخصاماً في هذا العصر العجيب، بل لا نجعل نقاط اختلاف ونزاع موضع نقاش مع المؤمنين بالله واليوم الآخر حتى لو كانوا من النصارى.

هذا ما يقتضيه هذا العصر العجيب، وما يقتضيه مسلكنا الذي نسلكه، وما تقتضيه خدمتنا المقدسة''.[68]

''العمل الإيجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبّته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً''.[69]

''إنّ وظيفتنا هي الحركة الإيجابيّة البنّاءة وليست الحركة التخريبية الهدامة، بل تنحصر وظيفتنا في الخدمة الإيمانية وفي رضى الله سبحانه من دون التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله. نحن مكلّفون بالتحمل والصبر في أثناء أداء خدمتنا الإيمانية التي تنتج الحفاظ على الأمن والنظام''.[70]

وعند شرح الحكمة في عدم مقابلة هذا الظلم الأشدّ الذي يقوم به الأعداء المتسترين في هذا الوطن ''بالقوة'' أو ''بشكل سلبي'' يبين مرة أخرى ''كي لا يتضرر تسعين بالمائة من الأبرياء بسبب عشرة بالمائة من الزنادیق. وللمحافظة على الأمن من أجل سلامة الأبرياء''.[71]

سعيد الثالث:

يتّضح ممّا بيّنا أعلاه وحسب رأيي، أنّ بديع الزمان سعيد النورسي قام بتوضيح المبادئ العامة التي ترسم حدود ''الجهاد في سبيل الله'' و ''إعلاء كلمة الله'' في هذا القرن وذلك خلال العشر الأوائل من هذا القرن. وتمسّك طوال حياته بهذه المبادئ. وإلى جانب ذلك فقد طوّر مبادئ ''الجهاد المعنوي'' و ''الحركة الإيجابية''، واتّخذ القرآن مرشداً وحيداً وحلّل كل شيء بالاستناد إليه، وذلك في مرحلة سعيد الجديد. ولم يضع بديع الزمان هذه المبادئ على شكل بيان رسمي، بل وضعها لتلاميذه عندما تطلبت الأمور ذلك، لذلك نلاحظ أنّه عندما تغيرت الشروط وخفّت وطأة النفي والأسر التي تعرّض لها بديع الزمان طوال ثلاث وثلاثين سنة، نشاهد أنّ هذا الجهاد بدأ ينكشف شيئاً فشيئاً. وحسب رأيي، فإنه بدل تصحيح وتعديل آراءه وأفكاره حسب الأحداث المتغيرة، قام بتعيين منهج وطراز جهاده المعنوي بفراسته وتقديراته للأحداث قبل وقوعها، ثم قام بشرح هذا المنهج والطراز حسب سير الأحداث، وهذا يدل على أنّه قد رسم الطريق لتلاميذه وللناس بهذا الشكل، فضلاً عن ذلك فإن مشاهداته لسير الأحداث وفراسته للمستقبل وتأسيسه لأسس ''الجهاد المعنوي'' و ''الحركة الإيجابية''، تدلّ على انّه ترك أسساً توضّح الطريق للاستمرار في الجهاد حتى بعد وفاته. وإنّ الانكشاف العظيم لرسائل النور خلال الخمس والثلاثين سنة بعد وفاته ونجاحها على المستوى العالمي يثبت إصابة رأيه ذلك.

وإلى جانب الاستمرارية في الأفكار التي بينها بديع الزمان في مرحلة سعيد القديم، فإن أهم دليل على فراسته و استكشافه لسير أحداث ''الجهاد المعنوي'' مسبقاً هو قيامه في السنوات العشر الأخيرة من حياته -وهي المرحلة المعروفة بمرحلة سعيد الثالث- بترديد نفس الأفكار التي قالها في بداية هذا القرن في مرحلة سعيد القديم. وبعد انتخابات سنة ١٩٥٠م التي أدّت إلى هزيمة حزب الشعب الجمهوري، وبمجيء عدنان مندرس والحزب الديمقراطي الذي يتبع سلوكاً إيجابياً تجاه الإسلام ويحمل نوايا لإلغاء الإجراءات المعادية للإسلام التي كان يقوم بها حزب الشعب الجمهوري إلى السلطة، خفّت الشروط لدرجة ما بالنسبة لبديع الزمان وطلبته وأعطته فرصة لتوسيع جهاده. وهذا التطور الذي يظهر الاستمرار في أفكاره ينعكس فيه كثير من أفكار سعيد القديم أيضاً.

إن الطرق الرئيسية التي وسّعها بديع الزمان داخل ساحة هذا الجهاد هي كالتالي:

١- دعم مندرس والحزب الديموقراطي وتوضيح الطريق لهم:

لقد دعم بديع الزمان طيلة الخمسينات من هذا القرن مندرس والحزب الديمقراطي بسبب سلوكهم المعادي للشيوعية والمتسامح مع الإسلام والدين ومحاولتهم ترميم التخريبات المعنوية التي تسبب بها حزب الشعب الجمهوري طيلة خمس وعشرين سنة. وقد كان هذا الدعم لمنع عودة حزب الشعب الجمهوري للحكم من طرف - ذلك لأنّ هناك احتمال خطر سيطرة الشيوعيون على الوطن تحت حكم هذا الحزب. وقد شوهدت إصابة هذا الرأي بعد وفاته- ومن طرف آخر، تفكيره في أن الديموقراطيين يساعدونه في مساعيه على تشكيل ''سد'' من طلبة رسائل النور تجاه التخريبات المعنوية.[72]

وهذا الدعم لم يكن مشاركة فعّالة في السياسة، بل كان على شكل توصية وإرشاد يتعلق بالخواص المذكورة أعلاه، ومن أجل التقدم بالإسلام وبرسائل النور. وذلك كما كتب بديع الزمان لجلال بايار عندما انتخب رئيساً للجمهورية سنة ١٩٥٠م.

''إن الذين سامونا العذاب قد جعلوا السياسة أداة طيعة في سبيل الإلحاد، ونحن بدورنا سعينا لسعادة هذا الوطن والأمة بجعل السياسة أداة للدين وفي مصالحة معه''.[73]

بالنسبة لبديع الزمان إنّ الواسطة الوحيدة للسعادة والسكينة في الدنيا والآخرة هي الإسلام. وإنّ التخريبات المعنوية التي أدّت إليها المادية واللادينية ستسبّب الفوضى والانهيار، وستخرب في النهاية البلاد والعباد. وقد كانت هناك أقلية صغيرة تمثل القوى التي تعمل لهذه التخريبات، كانت هي من استخدمت السياسة آلة للادينية وتسببت في تعريض بديع الزمان وطلبته للظلم والتعذيب. وإنّ الكفاح الذي قام به بديع الزمان طيلة خمس وعشرين سنة كان ضد هذه ''الخمسة بالمائة'' وضد التفسخ والفساد الذي ستفتحه أهدافهم المشؤومة.

لهذا السبب كانت توصيات بديع الزمان لمندرس والديموقراطيين هي على شكل تنويرهم بخصوص التيارات اللادينية والإلحادية، وإيقاظهم تجاه النتائج المستقبلية المحتملة لها. وقد عرض مجموعة من الدساتير القرآنية التي توقف ذلك وتصلحه. والنقطة التي أراد بديع الزمان أن يبينها لهم، هي الصراع بين الإيمان والكفر، وبين الدين والفلسفة المادية. ''إنّه لا وسط بين الكفر والإيمان، ففي هذه البلاد وتجاه مكافحة الشيوعية فليس هناك غير الإسلام؛ وليس هناك وسط. لان التقسيم إلى يمين

ويسار ووسط، يقتضي ثلاثة مسالك''.[74] ثمّ إنّ المبادئ التي قبلت خلال فترة التغريب، هي في الأساس ظالمة، وغير عادلة، وتؤدّي إلى الانحياز المفرط داخل المجتمع، والعنصرية والاستعمار واستبداد منتسبي الدولة وتفتح الطريق للنقمة والخلاف. وبالفعل، قامت بتخريب النظام العام و وحدة المجتمع وتناسقه، وأعدّت الأرضية للتفسخ والإفساد، والفوضى، والظلم. والحلّ الوحيد تجاه هذه الأخطار هو الأخوة الإسلامية، ومفهوم ''الملية الإسلامية''، والنظام العام، والعدالة الحقيقية، والتعاون وغيرها من الأسس.[75]

فبديع الزمان بين أنّ الذي سيوقف اللادينية وتخريباتها ليس ''القوى المادية، والتدابير الخارجية والداخلية والاتفاقات''، بل أشار إلى أنّه ''القرآن والحقائق الإيمانية... والمعنويات القلبية فقط''. لذلك بارك محاولة الحكومة لإعادة التعليم الديني للمدارس.[76]

وقد ذكر بالعاملين لأجل نفس الغايات في المراحل الأولى من حياته، وشجع الديمقراطيين للسعي بنفس الاستقامة، وقد وصف بديع الزمان قسماً منهم بـ ''الأحرار'' الذين يعملون لأجل الحرية الحقيقية التي توافق الأسس الإسلامية، يعني ''الحرية الشرعية''.[77]

٢- التوسع في نشاطات النشر

لقد سعى بديع الزمان لتأمين الدعم الرسمي لرسائل النور، بعرضه تأثيراتها في إصلاح التخريبات المعنوية والأخلاقية. وقد طالب الحكومة بهذه الوسيلة أي للقيام بطبع ونشر الرسائل.[78] لكن لم تصل هذه المحاولة إلى نتيجة، ولكن بعد صدور قرار ببراءة رسائل النور من محكمة أفيون، سمح لتلاميذه بطبعها في المطابع الحديثة وبالأبجدية اللاتينية.

وفي السنوات التي تلت سنة ١٩٥٠م قامت مجموعة من طلبة بديع الزمان بالمكوث في أنقرة من أجل إجراء هذا الطراز من النشاط، واللقاء مع النواب في مجلس الأمّة، والعمل بشكل فعال بدعوة رسائل النور. وقد سمى بديع الزمان طلبته الموجودين في أنقرة بـ ''جبهة المجاهدة''، وصارت على شكل مركز للنشر بعد سنة ١٩٥٦م.[79]

وقد نشر بديع الزمان مرة أخرى في الخمسينات كتاب المناظرات وشهادة مدرستي المصيبة والتي تضم أفكاراً كثيرة من أفكار سعيد القديم المذكورة أعلاه. وقد ترجم الخطبة الشامية التي ألقاها في الجامع الأموي من أصلها العربي إلى التركية مع إجراء بعض الإضافات عليها.

٣- انتشار حركة رسائل النور

إنّ نشر رسائل النور بالأبجدية الحديثة، أدّت إلى انكشاف كبير في نقطة انتشار وقراءة حركة رسائل النور. وقد فتحت مراكز لدراسة رسائل النور ''درسخانة'' في جميع أنحاء البلاد نتيجة ذلك.[80]

٤- الاتحاد الإسلامي

الاتحاد الإسلامي هو الخاصية المتقدّمة التي تتخذ مكانها داخل الجهاد المعنوي الموسع عند سعيد الثالث، وقد سعى من أجل ذلك في شبابه.

وهذا يشمل مساعيه لسوق مندرس لتأسيس العلاقات من جديد مع العالم الإسلامي والتي ألغيت منذ تأسيس الجمهورية تماماً، وترجمة رسائل النور إلى العربية ونشرها في العالم الإسلامي.

وقد أعطى أهمية كبيرة لهذه الخصوص في رسائله إلى مندرس والحكومة. وإلى جانب إيقاظه بخصوص التيارات التي تهدف نشر اللادينية ونشر فقدان ثقة العالم الإسلامي تجاه تركيا، فقد شجّع بديع الزمان الديموقراطيّين للتمسّك بالقرآن. وذلك لأنّهم سيكتسبون ٤٠٠ مليون أخ وسيجدوا خلفهم العالم الإسلامي ''كقوة احتياطية''.[81]

وفي هذا الوقت، يعني عندما اكتسبت الدول الإسلامية في آسيا وأفريقيا استقلالها من القوى المستعمرة وأسّست ''الدول الإسلامية'' في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، بدأ بديع الزمان يتحدّث بأمل وتفاؤل في موضوع حاكمية الإسلام للمستقبل بشكل قطعي كما كان في بداية هذا القرن.[82] ويذكر الإشارات المتعلقة بقبول الإسلام في الغرب لتأييد ادعائه.

وفي بداية الخمسينات من هذا القرن شاهد بديع الزمان الدول الإسلامية في اتحاد محتمل يستند على الأخوة الإيمانية:

''نهنئ من كل أرواحنا وقلوبنا عيدكم السعيد، نسأله تعالى أن يرزقكم رؤية عيد العالم الإسلامي الكبير، إنّ القرآن الحكيم الذي هو دستور مقدس للجماهير المتفقة الإسلامية سيكون مهيمناً في المستقبل وستسعد البشرية جمعاء بذلك العيد العظيم، وهناك أمارات تدل على ذلك''.[83]

٥- مدرسة الزهراء

لقد قبل بديع الزمان تخطيط الحكومة الديموقراطية لتأسيس جامعة في شرقي الأناضول باسم مشروع ''مدرسة الزهراء''، وقدّم التوصيات لإعطائه أساساً دينيّاً[84]

ويجب مطالعة هذه الفكرة دورها المهم الذي فكر بديع الزمان أنها ستلعبه في صدّها للعنصرية الانفصالية و ضمان السلام والاتّحاد بين الشعوب الإسلامية. ويمكن ملاحظة ذلك في المكتوب الذي يضم آراءه حول جامعة الشرق تحت نفس الضوء الذي يدعم فيه تأسيس حلف شمالي الأطلسي.

٦ـ سلوكه تجاه الغرب

وكما بينا أعلاه في قسم ''الجهاد الخارجي عند سعيد القديم'' فإن بديع الزمان قال بوجوب شرح الماهية السامية للإسلام للأوروبيين، وإذا تمّ ذلك فإنهم سيقدمون «سيدخلون» إلى الإسلام أفواجاً لأنّ ''الغلبة على المتحضرين تكون بالإقناع''. وخاصة عندما يقوم بتقييم الحرب العالمية الثانية، بيّن بديع الزمان في كثير من رسائله أنّه اكتشف إشارات حول قبول الإسلام في الغرب في المستقبل.[85]

وإلى جانب ذلك وبعد الحرب العالمية الثانية رأى أن الفوضى الصادرة عن الشيوعية واللادينية هي أكبر المخاطر التي تواجه الإنسانية، وأيّد الاتفاق مع الغرب لمواجهة هذا الخطر. وكان رأيه على الشكل التالي: إن القوى الأوروبية التي كانت ضد الاتحاد الإسلامي، لن تستطيع معارضته بعد الآن، بل العكس إنهم يحتاجون إليه.[86] لهذا السبب يؤيدون حلف بغداد. ورأى أن أمريكا هي دولة ''تعمل لصالحه''، وعرض آراء تستند على هذا الأساس وأنّه يمكن إقامة علاقات حميمة معها.[87]

النتيجة:

إن النية المبيتة لبديع الزمان في مواجهة الجهاد ''الجهاد المعنوي''، و''الحركة الإيجابية''، هي مواجهة الفلسفة الغربية المادية التي يراها أكبر خطر تجاه الإسلام والإنسانيّة في هذا العصر، وتجديد الإيمان وجعله موافقاً ومفهوماً للكتل المؤمنة بالإسلام وخصوصاً منهم الذين تعرضوا للفلسفة، وإنشاء العالم الإسلامي من جديد وإحيائه، ووضع الأسس التي تشكّل الحضارة الإسلامية من جديد؛ فإلى جانب إنقاذه إيمان المسلمين، فإنّ مثل هذا الجهاد سيجلب كثيراً من الناس في الغرب إلى الإسلام دين الحق.

وكون الصراع بين الحق والباطل في العصر الحديث هو صراع ثقافي وأيديولوجي أكثر ممّا هو صراع قوة، فإنّ أسلحة الجهاد المعنوي عند بديع الزمان هي الأدلة المنطقية لحقائق الإيمان؛ الإثبات والإقناع. وهو يقطع العلاقة بين الطبيعة والسبب والنتيجة التي هي أساس الفلسفة المادية بسيف القرآن الألماسي، ويزيل الشبهات التي يؤدّي إليها من طرف، ويكسب الإنسان ''الإيمان التحقيقي'' من طرف آخر. إنّ منهج

الحقيقة هذا الذي أخذ إلهامه من القرآن مباشرة ويعكس عظمته واحتشامه، تنبّه إليه بواسطة التطورات العلمية في هذا العصر، فهو يجيب على احتياجات الإنسان المتيقظ، ويشكل الأساس الذي سيطوّر التقوى الحقيقية والأخلاق الإسلامية.

هذا الإيمان هو أساس ''الحركة الإيجابية'' التي هي المحصّلة الثانية لجهاد بديع الزمان، و التي تشكل الكفاح تجاه التخريبات المعنوية التي تؤدّي إليها الشيوعية، الواجهة المهمة لسائر البناءات الإلحادية العالمية التي تعدّ كالفروع المختلفة للفلسفة المادية. ومثل هذه الحركات أو التيارات مع الإسلام تجري حروباً إيديولوجية، وتسعى لإفساد الدول الإسلامية وتقسيمها ونشر الفوضى، وتوجهها إلى اللااستقرارية وبهذا تقضي عليها تماماً؛ لذلك فكر بديع الزمان أن الوظيفة الأولى لطلبة رسائل النور هي المحافظة على الأمن تجاه الإثارات المقصودة والشديدة، والظلم، والسعي لتحقيق وحدة المجتمع وتعاونه.

حتى في أقسى أيّام حكومة حزب الشعب الجمهوري، فقد حمل بديع الزمان مسؤولية النشاطات المخربة تجاه الإسلام لقسم لا يتجاوز خمسة أو عشرة بالمائة. وكما قال في المحاكم، كان يكافح تجاه الذين يسعون القضاء عليه وعلى أتباعه، وتجاه الذين يدعمون التيارات الإلحادية وغيرها بشكل سري. ولم يقم بديع الزمان بمعارضة نظامهم الذي يسعون لتطبيقه أو حكومتهم تجاه خططهم التي فهمها بشكل جيد، ذلك ليستطيع المحافظة على الأمن، و بالتالي إفشال خططهم. ورغم الأوضاع السلبية التي عاشها والظلم الذي تعرض له خلال خمس و ثلاثين سنة باسم العلمانية، استمر بجهاده داخل النظام، حتى انه استطاع استخدام النظام لصالحه قدر الإمكان.

هذا الكفاح المصابر أوصل بديع الزمان وتلاميذه إلى النصر تجاه أعدائهم. وإلى جانب سماح مندرس والديموقراطيين بنشر رسائل النور، فقد استطاع بديع الزمان توسيع دائرة جهاده بعد مجيئهم إلى الحكم سنة ١٩٥٠م كما بينا أعلاه.

وقد كان بديع الزمان مقتنعاً قناعة قطعية أن القرآن والحضارة الإسلامية ستحكم في المستقبل وأن الحكم سيكون لكلمة الله. حيث أخذ إلهامه من القرآن، وأدرك أن ذلك يتحقق بمعانقة جميع المجتمع والتغيير المتدرج والتجديد على المستوى الأساسي والإصلاح والإنشاء من جديد. والإصرار على الترقي المادي شكّل الفرق الأساسي بين سعيد القديم وسعيد الجديد.

وقد طور بديع الزمان مبادئ ''الجهاد المعنوي'' و ''الحركة الإيجابية'' تحت

الشروط الصعبة خلال السنوات العشر الأوائل في الجمهورية التركية، ووضّح الماهية الأصلية للصراع بين الحق والباطل في القرن المعاصر، وشرح ذلك بمواجهة القرآن و ''الفلسفة''، وأمّن الوسائط والأصول المناسبة للدفاع عن الأول، والكفاح بمواجهة الثاني، وشرح بإصرار لزوم ''إصلاح ومعالجة'' الفساد والتفسّخ الذي سببته القوى التي تمثل هذه الفلسفة في المجتمع، وكان يضع أسس جهاد يمتدّ إلى ما بعد الزمان والمكان الذي كان يعيش فيه. والحقيقة أنّ بديع الزمان كان متفائلاً بقبول العالم الإسلامي منهج التجديد الإيجابي الذي يحقق الأساس السليم لوحدته واتحاده في المستقبل.

* * *

الهوامش:

[1] مترجمة رسائل النور إلى اللغة الإنكليزية.

[2] ابن قيم الجوزية، ''زاد المعاد'' ترجمة للتركية اوزن والآخرين، إسطنبول، منشورات إقليم، ١٩٨٩م، مج ٣، ص ١٢.

[3] الكتب الستة ترجمة للتركية وشرحها ''إبراهيم جانان'' أنقرة، منشورات آق جاغ، ١٩٨٨م. مج ٥، ص ٢٦.

[4] زاد المعاد، مج ٣، ٢٤- ٥؛ ١٩٨.

[5] الموسوعة الإسلامية - مادة ''الجهاد'' ''احمد اوزل''، إسطنبول، وقف الديانة التركي ١٩٩٣م، مج٧، ص ٥٣٠-١.

[6] الماليلي م. حمدي يازير، دين الحق ولغة القرآن، إسطنبول، جريدة زمان/ دار عزم للنشر والتوزيع، مج٢، / ١٦٧.

[7] المصدر السابق، مج ٢، ص ١٥٣.

[8] فهرسة المقاصد لبديع الزمان سعيد الكردي، فولقان، رقم ٨٤، داخل الآثار البديعية. ص ٣٧٥.

[9] صيقل الإسلام - المحكمة العسكرية العرفية/٤٦٩.

[10] الكلمات/٢٩٢.

[11] نفس المصدر السابق.

[12] بديع الزمان سعيد النورسي، سكة التصديق الغيبي، إسطنبول، مطبعة سنان ١٩٦٠، ص ٧٦.

[13] بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، إسطنبول، دار سوزلر للنشر، ١٩٨١م، ص ٣٤٣.

[14] مؤلف كليات رسائل النور، بديع الزمان سعيد النورسي، حياته، ومنهجه، وسيرته الذاتية، دار سوزلر للنشر، ١٩٧٦م، ص ٤٣.

[15] بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية، إسطنبول، مطبعة سنان ١٩٦٠، ص ٣١.

[16] انظر بديع الزمان سعيد النورسي، السنوحات، دار سوزلر للنشر ١٩٧٧م، ص ٦٠-٦١. المكتوبات، ص ٤٤٥.

[17] الخطبة الشامية، ص ٢٩.

[18] فهرست المقاصد لبديع الزمان، فولقان، رقم ٨٣ الآثار البديعية، ص ٣٧٣.

[19] انظر الخطبة الشامية، ص ١٨-٢٩. بديع الزمان سعيد النورسي، المناظرات، دار سوزلر للنشر ١٩٧٧، ص ٣٨، السنوحات، ص ٣٦.

[20] انظر بديع الزمان سعيد النورسي، محاكمات، دار سوزلر للنشر ١٩٧٧م، ص ٣٧-٣٨. من أجل المقايسة بينهما انظر السنوحات ، ص ٤٣- ٤٦. الكلمات، ص ١١٩- ١٢٠، ٣٧٩- ٣٨٢، ٦٦٤- ٦٦٦. بديع الزمان سعيد النورسي اشارات الإعجاز، دار سوزلر للنشر، ١٩٧٨م، ص ٤٧-٤٩.

[21] صيقل الإسلام الخطبة الشامية، ص ٥٠٠.

[22] رد الأوهام، فولقان، رقم ٩١. الآثار البديعية، ص ٣٨١. الخطبة الشامية، ص ٨٦.

[23] صيقل الإسلام - الخطبة الشامية ٥٢٧.

[24] رد الاوهام، فولقان، رقم ٩١، الآثار البديعية، ص ٣٨١- ٣٨٢.

[25] صيقل الإسلام الخطبة الشامية، ص ٤٩٤.

[26] انظر الخطبة الشامية، ص ٢٠- ٢٨؛ ٣٢- ٣٧. المناظرات، ص ٣٧- ٣٨.

[27] انظر شكران واحدة، The Avthor of the Risale-i Nur, Bediuzzaman said Nursi, }İstanbul, Sôzler puhlications 1992 ص ١١١-١١٣، ١١٥-١٢٣.

[28] إشارات الإعجاز، ص ٧-٨.

[29] صيقل الإسلام الخطبة الشامية، ص ٥١٢.

[30] بديع الزمان، فهرست المقاصد، فولقان، رقم ٨٤، داخل الآثار البديعية، ص ٣٨٦.

[31] صيقل الإسلام - الخطبة الشامية/٥٣٤.

[32] انظر ديوان الحرب العرفي، ص ٢٢- ٢٥.

[33] The Auther of the Risale-i Nur، بديع الزمان سعيد النورسي، ص ٦٨-٧١.

[34] المحاكمات العقلية، ص٨.

[35] بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، إسطنبول، مطبعة جلنوت ١٩٦٠، / ١٥٢. المحاكمات العقلية، / ١٥٣.

[36] سكة التصديق الغيبي، ص٧٦.

[37] بديع الزمان سعيد النورسي، ملحق اميرداغ، إسطنبول، مطبعة سنان ١٩٥٩م، أ، ١٩١.

[38] السيرة الذاتية، ص ١٣١.

[39] مثال لذلك انظر، ملحق اميرداغ، أ، ص ٦٦، ١٢٣، ١٥١.

[40] الشعاعات ٢٢١.

[41] الشعاعات، ص ٢٢٩.

[42] انظر الكتب السته، مج٦٧،٥.

[43] مثلاً، بديع الزمان سعيد النورسي، ملحق قسطموني، إسطنبول، مطبعة سنان ١٩٦٠، ص ٨٤.

[44] ملحق قسطموني، ص ١٧٤- ١٧٥.

[45] انظر المكتوبات، ص ٣٤٧.

[46] انظر ملحق اميرداغ، أ، ص ١٠٢- ١٠٣.

[47] محسن عبدالحميد، بديع الزمان سعيد النورسي ورسائل النور من زاوية التفسير والكلام والفقه »ترجمه للتركية عبدالعزيز خطيب«، إسطنبول، نشريات جريدة يني آسيا ١٩٩٣م، ص ٨٢-٨٣.

[48] ملحق اميرداغ. أ. ص ٨١. بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، دار سوزلر للنشر ١٩٨٦، ص ١٦١. ملحق قسطموني، ص ١٨٤. حديث: الغزالي، إحياء علوم الدين، أ، ص ٦. المناوي، فيض القدير، مج ٦، ص ٤٦٦. العجلوني، كشف الخفا، مج٢، ص ٥٦١. السيوطي، الجامع الصغير، رقم ١٠٠٢٦.

[49] بديع الزمان سعيد النورسي. مرشد اهل القران، دار سوزلر للنشر ١٩٩١، ص ١٧٠-١٧٢.

[50] انظر ملحق قسطموني، ص ١٠٢، ص ١٣٥. اللمعات، ص ١٤٦.

[51] انظر ملحق اميرداغ، مج١، ص ٢٥٩- ٢٦١. ملحق قسطموني، ص ٥٧، ص ١٠٤.
[52] اللمعات، ص ١٥٨. انظر المكتوبات، ص ٥٩ -٦١.
[53] انظر ملحق اميرداغ، مج١، ص٢٦. الشعاعات، ص ٢٨١.
[54] انظر ملحق قسطموني، ص ٩٦، ص ١٠٥.
[55] انظر ملحق قسطمونو، ص ١٠٧.
[56] انظر ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢١٣- ٢١٤.
[57] الملاحق اميرداغ، ٢٤٣/١.
[58] انظر ملحق قسطموني، ص ٨٤.
[59] الملاحق اميرداغ، ٢٤٤.
[60] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢١٣- ٢١٩.
[61] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢١٣- ٢١٤.
[62] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ١٢٨.
[63] ملحق اميرداغ، مج١، ص ١٠١.
[64] ملحق اميرداغ، مج١، ص ٢١٤، مج٢، ص ١٧٧- ١٧٨.
[65] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢١٦.
[66] الملاحق قسطموني، ص ١٦٩.
[67] ملحق قسطمونو، ص ١٠٦- ١٠٧.
[68] الملاحق - ملحق قسطموني ٢١٤.
[69] اللمعات / ٢٢٨.
[70] الملاحق - ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢١٣.
[71] ملحق أميرداغ، مج ٢، ص ١٣٦- ١٣٧.
[72] ملحق أميرطاغ، مج٢، ص ٥٢، ١٧٧- ١٧٨.
[73] ملحق اميرطاغ، مج٢، ص ١٧.
[74] ملحق اميردغ، مج٢، ص ٣٢٧.
[75] انظر ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٦٠-٦١.
[76] ملحق اميردغ، مج٢،ص ٦٠
[77] مثلاً ملحق اميرطاغ، مج٢، ص ٢٠، ٢٥
[78] انظر ملحق اميرطاغ، مج٢، ص ١٠-١١، ص ١٥١، ١٧٨.
[79] ملحق اميرطاغ، مج ٢، ص ٥٧
[80] انظر ملحق اميرطاغ، مج٢، ص ١٠١، ص ١٠٥، ص ٢٠٣.
[81] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٥٦، ص ١٧٨
[82] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢٤- ٢٥، ص ٣٤
[83] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ١٠٠
[84] ملحق أميرداغ، مج٢، ص ٧٦.
[85] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ١٩٥-١٩٧
[86] انظر ملحق اميرداغ، مج١، ص ٢٣٧، ص ٢٤٤- ٤٥، ص ٢٦٢- ٢٦٣.
[87] ملحق اميرداغ، مج٢، ص ٢٤

العدالة والسعادة مقاربة لمفهوم المجتمع الفاضل بين النورسي والفارابي والترمذي

Nursi, al-Farabi, and al-Tirmidhi on Justice and Happiness as the Ethos of the Virtuous Society

ABSTRACT

Dr. Khalid Zahri

The notion of justice is one of the most important themes that formed the basis upon which the theories of Bediuzzaman Nursi had been established. However, his understanding of this notion is different from that of other thinkers and scholars. It is a realistic understanding filled with the emotional knowledge of God. Nursi aims for the establishment of an ideal society inhabited with ideal humans who are not only well versed in the Holy Quran, but who also reflect the Qur'an in their hearts, words, and behavior.

Nursi's understanding of justice seems like an attempt to reconsider Al-Tirmidhi's theory of the ideal society by attempting to implement it in reality; and thus bringing it to existence to be a witness for Islamic civilization. Has Nursi succeeded in his idea of ideal society and avoided the failure of Abu Nasr al-Farabi, whose theory remained trapped in books of philosophy?

Was Nursi's understanding deeper than others when he proclaimed the ideal human to be the center of the ideal society, just as Tirmidhi had done? That appears to be contrary to the views of Abu Nasr al-Farabi, who made the philosopher the human the center of it.

Is it possibly applicable that this theory of Nursi becomes a guide for us in our current reality, in order to establish ideal societies that are embraced with peace and tranquility?

These questions and others are answered and elaborated on in this research.

الملخص

د. خالد زَهْري[1]

تعتبر فكرة العدالة من أهم الأفكار، التي تأسست عليها نظريات بديع الزمان النورسي. بيد أن هذه الفكرة، اختلفت؛ في تصوُّره؛ عن غيره من العلماء والمفكرين،

لأنها اتخذت بُعْدا واقعيا، وأيضا ذوقيا عرفانيا، يصبو إلى إقامة مجتمع فاضل، يعيش فيه الإنسان الفاضل، ويتحقق فيه بالقرآن الكريم، قلبا وقولا وسلوكا.

إن فكرة العدالة، عند النورسي، تكاد تكون محاولة لإعادة الاعتبار لنظرية المدينة الفاضلة عند الحكيم الترمذي، بتجسيدها واقعا، وجعلها حقيقة ماثلة تعبر عن الشهود الحضاري للأمة الإسلامية.

فهل نجح النورسي في فكرته حول المدينة الفاضلة فيما فشل في تحقيقه أبو نصر الفارابي، الذي ظلت نظريته حبيسة الكتب الفلسفية؟

وهل كان النورسي أعمق في نظريته، بجعله الإنسان العادل؛ على غرار الحكيم الترمذي؛ هو محور المدينة الفاضلة، على النقيض من أبي نصر الفارابي الذي جعل محورها الإنسان الفيلسوف؟

وهل يمكن لنظرية النورسي أن تكون نبراسا لنا في واقعنا الحالي لبناء مجتمعات فاضلة يسودها السلم ويغمرها السلام؟

هذه الأسئلة؛ وغيرها؛ سيتولى هذا البحث الإجابة عنها والتفصيل فيها.

محورية الإنسان في المجتمع الفاضل عند النورسي

يقول بديع الزمان سعيد النورسي: ''إنه واضح جلي كوضوح النبات نفسه، وجميل كذلك كجمال النبات نفسه، تلك التسبيحات، التي يهمس بها كل نبات، في إشراق تبسمه، عند تفتح زهرة، ونضج ثمرة، وتسبيل سنبلة، لأنه بالثغر الباسم لكل زهرة، وباللسان الدقيق للسنبل المنتظم، وبكلمات البذور الموزونة، والحبوب المنسقة، يظهر النظام، الذي يدل على الحكمة.

وهذا النظام، كما هو مشاهد في ثنايا ميزان دقيق حساس، يدل على العلم، ويبينه، ويبرزه. وذلك الميزان هو ضمن الصنعة الدقيقة، التي تدل على المهارة الفائقة، وتلك الصنعة الدقيقة والنقوش البديعة، هي الأخرى، ضمن الزينة الرائعة، التي تبين اللطف والكرم. وتلك الزينة البهيجة، هي بدورها معبقة بالروائح الطيبة الفَوَّاحة، والعطور الزكية اللطيفة، التي تظهر الرحمة والإحسان''.[2]

ويقول: ''أَمِنَ الممكن لحفيظ ورقيب، يحفظ بانتظام وميزان، ما في السماء والأرض، وما في البر والبحر، من رطب ويابس، فلا يغادر صغيرة، ولا كبيرة، إلا

أحصاها، أن لا يحافظ، ولا يراقب أعمال الإنسان، الذي يملك فطرة سامية، ويشغل رتبة الخلفة في الأرض، ويحمل مهمة الأمانة الكبرى؟! فهل يمكن أن لا يحافظ على أفعاله، التي تمس الربوبية؟! ولا يفرزها بالمحاسبة؟! ولا يزنها بميزان العدالة؟! ولا يجازي فاعلها بما يليق به من ثواب وعقاب؟! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا''.[3]

نستشف من هاتين القبيستين أن المجتمع الفاضل، عند بديع الزمان النورسي، ليس فلسفة عائمة في الفضاء، ولا نظرية بعيدة عن التحقق، وإنما تستمد مشروعيتها من القرآن، والسنة، والنظام البديع والمحكم لهذا الكون.

لقد حَثَّنا القرآن الكريم، على ضرورة التأمل في هذا الكون، و البحث عن القوانين والسنن، التي تضبط مساره. ليس فقط لأجل التأمل، والتفلسف النظري، وإنما ليكون ذلك وسيلة لبناء المجتمع الفاضل، الذي يسير نظامه بإحكام وجمال، على غرار نظام الكون.

وهنا، يظهر لنا الفرق بين نظرية المدينة الفاضلة، عند أبي نصر الفارابي، وبديع الزمان النورسي.

فالأول كان يريد أن يؤسس مجتمعا فاضلا على نظرية الفيض، بمعنى أن يكون هناك تكامل بين الجدل النازل والجدل الصاعد، بأن يكون الترتيب القائم في المدينة الفاضلة متبعا لترتيب العقول، التي فاضت عن العقل الأول.

بينما يرى النورسي، أن المجتمع الفاضل، لا يمكن أن يكون ذا أثر ناجح وناجع، إلا إذا كان مؤسسا على غرار نظام الكون، والذي اقتفى فيه أثر ابن رشد،[4] حينما استدل على وجود الله، من خلال التأمل في هذا الكون، بموجب دليل العناية ودليل الاختراع.[5] إلا أن النورسي يسمي الدليل الأول ''دليل العناية والغاية''.[6]

فبديهي أن يكون التنظير الفلسفي؛ عند النورسي؛ مخالفا للتنظير الفلسفي عند المعلم الثاني، لأن المدينة الفاضلة؛ عند الثاني؛ مبنية على أسس يونانية، وبالأخص على أسس أفلاطونية، تستمد عناصرها من ''جمهورية أفلاطون''. بخلاف صاحبنا، الذي أسس مشروعه على أسس من القرآن والسنة.

إن القرآن الكريم، دعانا إلى التأمل في الكون، لبناء أي مشروع حضاري، لا التأمل في المُكَوِّن، إلا بالقدر الذي يكون له تأثير عملي على صعيد الواقع.

ومن خلال القبيستين المنقولتين عن النورسي، يمكن أن نقول: إن المجتمع الفاضل؛ عنده؛ ينبني على العناصر التالية: النظام، والحكمة، واللطف والكرم، والرحمة والإحسان، والجمال.

بيد أن هذه العناصر برمتها، يمكن إجمالها في عنصرين أساسين، هما:

- العدالة الحقيقية؛

- والحرية الشرعية.[7]

وكما أن المدينة الفاضلة قامت على أساس من النظر والتأمل في هذا الكون البديع والجميل، فإنها أيضا قيست؛ عند النورسي؛ بالآخرة.[8] وهذا يوضح لنا مقصدا من أهم المقاصد، التي بني عليها مشروع النورسي، وهو السعادة. بمعنى أن السعادة التي ينالها المؤمن في الآخرة بدخول الجنة يجب أن تكون مقياسا يقاس عليه السعي لتحقيق سعادة في الدنيا.

وهذا يدل على أن المجتمع الفاضل؛ عند النورسي؛ ينبني على أسس إيمانية، بل يمكن أن نقول: إن المجتمع الفاضل؛ عند النورسي؛ يهدف إلى تحقيق مقصد أساس، وهو ربطه بالآخرة.

وهذا يؤكد الأبعاد القرآنية والنبوية، الحاضرة في مشروع النورسي، بحيث يمكن أن نلاحظ، أن أركان الإيمان يجعلها أساسا لبناء المجتمع الفاضل. فقد ورد في الحديث: ''الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره''.[9]

وهذا واضح في مشروع النورسي، فهو يرى أن الإيمان بالملائكة وبالآخرة، يحقق هذه السعادة.[10]

وهنا، تظهر محورية الإنسان في هذا المشروع، مما يجعل أول قيمة تؤخذ بعين الاعتبار فيه هو قيمة الإنسان،[11] حيث يضعه في صورة مقابلة للفاتحة: ''كالفاتحة للقرآن، والإنسان للعالم''.[12] فكما أن الفاتحة لها موقع الصدارة في كتاب الله المقروء، فالإنسان؛ كذلك؛ يحتل موقع الصدارة في كتاب الله المشهود، والذي يسميه النورسي: ''كتاب الكون''،[13] و ''قرآن الكون''، و ''القرآن الكوني''.[14]

بل يذهب إلى أن العالم مخلوق لأجل الإنسان،[15] و ''أن الإنسان هو خاتمة شجرة

الكون، وأجمع ما فيها من الصفات، وهو بذرتها الأصلية، من حيث الحقيقة المحمدية، وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون، بل هو الآية الحاملة لتجليات الأمم الأعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن الكريم، وهو أكرم ضيف في قصر الكون [...] وهو خليفة الأرض، والمفتش الباحث في مملكة الأرض، والمرسل من لدن سلطان الأزل والأبد، والعامل تحت رقابته..."[16]

مكانة "الفطرة" في المجتمع الفاضل

وانبناء المجتمع الفاضل على قيمة الإنسان؛ عند النورسي؛ يدل على أن المجتمع الفاضل، إنما هو مجتمع الفطرة، وبعبارة النورسي: "جامعية فطرة الإنسان".[17]

ومجتمع الفطرة،[18] يستلزم أنه أيضا مجتمع الكرامة،[19] لأن بالفطرة والوجدان، يُكَرَّم الإنسان، "وهو صفوة المخلوقات. فلولاهما، لَتَرَدَّى الإنسان إلى أسفل سافلين".[20]

وهنا أيضا، يتبين لنا الفرق بين مدينة الفارابي: مدينة العقل، ومدينة النورسي: مدينة الفطرة.

فقد آمن المعلم الثاني بضرورة "إعادة بناء السلطة المركزية، وبالتالي إعادة بناء المجتمع كله [...] على أساس العقل"،[21] وبقدرة هذا العقل على تنظيم الحياة وضبطها، بالإخاء، والعدل، في مدينته، بل يمكن القول فيها: إن مدينة الفارابي هي مدينة العقل، وبعبارة الجابري: "مدينة العقل، التي تعكس، في نظامها وعلاقات أجزائها، أرقى ما يمكن أن يبلغه الإنسان العاقل، من مراتب، على سلم العقلانية".[22]

ويربط النورسي قلب الإنسان بمعرفة الله،[23] إيذانا منه بحضور العنصر العرفاني في مشروعه، الذي نراه يقارب، في أغلب جوانبه، مشروع المدينة الفاضلة، عند الحكيم الترمذي.

وكما يوظف الحكيم الترمذي مسلكا قرآنيا، في البيان والتفهيم، وهو ضرب المثل،[24] فكذلك جعله النورسي من أهم مسالكه في الكشف عن الحقائق وبيان عمق المشاريع، التي يهدف إلى بيانها. فقد بَيَّنَ "أن قلب الإنسان، مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية فيه، وهي معرفة الله تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشبعة في مواهبه، واستعداداته غير المحدودة، كلٌّ بما يلائمه. فتقطر فيها اللذة، والنشوة، وتزيدها قيمة وأهمية، بل تبسطها، وتصقلها".[25]

من ذلك، أنهما اعتمدا على القلب، في المجتمع الفاضل، الذي يمكن القول فيه: إنه مدينة القلب، وبعبارة أخرى: مدينة التقوى،[26] ما دام ''أن حكمة خلق البشر، هي التقوى [...] وأن التقوى أكبر المراتب''.[27]

وبذلك نقول: إن النورسي والحكيم الترمذي، ابتغيا إعادة بناء السلطة المركزية، وبالتالي، بناء المجتمع كله، على أساسين متقاربين، حيث أسسها الأول على أساس الولاية، وأسسها الثاني على أساس الحقيقة المحمدية، وبعبارته: ''إن أساس تلك الدعوى، وهو الحقيقة المحمدية، هي البذرة الأصيلة للكون، وسبب خلقه، وأكمل ثمرته، وأن رب العالمين جل جلاله، قد جعل تلك الشخصية المعنوية المحمدية داعيا رفيعا إلى سلطان ربوبيته، وكشافا صادقا لطلسم الكائنات ومُعَمَّى الخلق، ومثالا ساطعا لألطافه ورحمته، ولسانا بليغا لشفقته ومحبته، وأعظم مبشر للحياة الدائمة، والسعادة الأبدية، في العالم الباقي، وخاتم مبعوثيه، وأعظم رسله ﷺ''.[28]

ولا جرم أن هذا الفرق راجع إلى الفرق في مرجعية النورسي والحكيم الترمذي من جهة، ومرجعية الفارابي من جهة أخرى. فالمرجعية اليونانية، تجعل للعقل الإنساني مقام الصدارة والحاكمية في السلوك، بخلاف المرجعية الإسلامية، التي لا تهمل العقل، لكنها لا تهمل أيضا عامل الفطرة: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[الروم:٣٠]

ومن هذا المنطلق، يرى النورسي، أن ''الفطرة الشاعرة، أو الوجدان، نافذة إلى العقل، ينشر منها شعاع التوحيد''.[29]

محورية النبي في المجتمع الفاضل

ومن هنا، فإن قيمة الإنسان، تتفاوت بتفاوت مرتبته في الإيمان،[30] يقول النورسي: ''وحيث إن أشرف الموجودات هم ذوو الحياة، وأنبل الأحياء هم ذوو الشعور، وأكرم ذوي الشعور هم بنو آدم الحقيقيون الكاملون. لذا، فالذي أدى، من بين بني الإنسان المكرم، تلك الوظائف المذكورة آنفا، وأعطى حقها من الأداء، في أفضل صورة، وأعظم مرتبة من مراتب الأداء، لا ريب أنه سيعرج -بالمعراج العظيم- فيكون قاب قوسين أو أدنى، وسيطرق باب السعادة الأبدية، وسيفتح خزائن الرحمة الواسعة، وسيرى حقائق الإيمان الغيبية رؤية شهود. ومن ذا يكون غير ذلكم النبي الكريم ﷺ؟!''[31]

وهذا التفاوت؛ مع ذلك؛ كان لأجل حكمة يريدها الله تعالى للإنسان، وبها يقوم نظام الحياة، لأنه يؤدي إلى التعاون، ومن هنا، يذهب النورسي إلى "أن دستور الحياة: هو التعاون".[32]

وهذا التفاوت في المراتب، يهدف إلى بيان أن أعلى مرتبة يجب أن تقاس بها كل المراتب، وبموجبها تتحدد أهمية الفرد، من حيث صلاحه داخل المجتمع، هي مرتبة الإنسان الكامل، يقول: "فلجامعية الإنسان، صار الإنسان الكامل سبب خلق الأفلاك علة غائية له، وثمرة له".[33]

ولا جرم أن الإنسان الكامل، هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولما كان غاية في ذاته، ومقصدا في خلق هذا الكون، فإن هذا النبي، هو الذي يجب أن يكون نموذجا أعلى في المدينة الفاضلة، مما يؤكد حضور الأبعاد القرآنية في مشروع النورسي.

فعندما نجعل الرسول الأكرم هو محور هذه المدينة، فإن هذا يعني أن هذه الشخصية العظيمة، يجب أن تكون النموذج الخليق بأن نتمثله في حياتنا الدنيوية، بمعنى أن نستحضر الصفات الأخلاقية والعرفانية، التي حلاه الله بها في القرآن الكريم، فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾،القلم:٤ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾،آل عمران:١٥٩ الخ، مما جعله "- بالبداهة- أعظم من استوفى مهمة الرسالة بالقرآن الكريم، وأداها أفضل أداء، في أسمى مرتبة، وأبلغ صورة، وأحسن طراز، فلبى إرادة رب العالمين، في صرف وجه هذا الإنسان، من الكثرة، إلى الوحدة، ومن الفاني، إلى الباقي. ذلك الإنسان، الذي خلقه سبحانه ثمرة للعالم، ووهب له من الاستعدادات ما يسمع العالم كله، وهيأه للعبودية الكلية، وابتلاه بمشاعر متوجهة إلى الكثرة والدنيا".[34]

إن هذا المجتمع الفاضل، يجب أن تحدده أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما تميزت به من أخلاق عظيمة، وأن يكون الصفح، واللين، والعدالة، أساسا في بناء المجتمع.

وهذا يبين لنا الفرق الشاسع، بين نظرية المجتمع الفاضل عند النورسي، التي تجعل النبي الأكرم، هو محور هذا المجتمع، وبين نظرية المعلم الثاني، التي يرى فيها، أن محور المدينة الفاضلة، هو الفيلسوف. من هنا يمكن أن نقول: إن مجتمعَ النورسي هي

مجتمعٌ قرآني محمدي، على النقيض من مدينة الفارابي، التي هي مدينة فلسفية أفلاطونية.

ومما يؤكد حضور نموذج النبي الأكرم؛ عند النورسي؛ أنه جعل الحقيقة المحمدية هي الخيط الدقيق والهامّ، الذي يجب أن نبحث عنه في مسيرة الصراع مع الحياة، وفي مشروع البناء والتأسيس.[35]

ومما يؤكد أيضا واقعية المجتمع الفاضل، عند النورسي، بجعل الإنسان يتبوَّأ فيه مقام المحوريَّة، أنه بنى هذا المشروع على فكرة بناء الحاضر بالإنسان، الذي لا ينظر في آفاق ضيقة، تتجاهل عنصر التسلسل الزمني، بل يرمي بالنظر في الماضي، ويستشرف المستقبل، يقول: ''ومع ذلك، إن الإنسان ليس كالحيوان مبتلى بآلام الحال فقط، بل يضرب رأسه خوف المستقبل، وحزن الماضي، مع ألم الحال''.[36]

صفة "الجمال" في مشروع النورسي

إذا كانت المنظومة الفارابية، تربط ''بين ما بعد الطبيعة، والمدينة الفاضلة، ربطا محكما، لا يخلو من جمال، لتؤكد على وحدة الكون، وترابط أجزائه، وجمال بنائه، وضرورة تشييد صرح المدينة الفاضلة على غراره''،[37] فإن حضور عنصر الجمال في مشروع المجتمع الفاضل، عند النورسي، يؤكد الأمر النبوي بوجوب الدعاء بأسماء الله الحسنى، كما ورد في الحديث النبوي، والتي تؤدي عمليا إلى التخلق بأخلاق الله. لقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ''إن الله تعالى جميل، يحب الجمال''.[38]

يرى النورسي، أن صفة ''الجميل''، هي أهم صفة إلهية، لأنها تستوعب كل الصفات الأخرى، ولأنها تسري في كل صفاته، وأسمائه، وأفعاله. إنه العشق الإلهي لهذا الكون، ولأن يكون المجتمع الفاضل على غرار جمال هذا الكون، وليكون مقصد أفراد هذا المجتمع الفاضل: التعاون، من أجل التحقق بصفة ''الجمال''، والتخلق بأخلاق ''الجميل''.

وهذا يعني، أن وظيفةَ الإنسان، داخل المجتمع الفاضل، وظيفةٌ جماليةٌ. وهي تمثُّلٌ باسمٍ من أسماء الله الحسنى، وهو اسم ''الجميل''، الوارد في الحديث النبوي المذكور.

والقصد من هذا التمثُّل، هو إعادة تنظيمه الحياة تنظيما جماليا، بحيث يسود فيها العدل، والمحبة، والسكينة، والطمأنينة. وصفة ''الجميل'' ملحوظة أيضا في سائر

صفاته سبحانه وتعالى وأسمائه، وبعبارة السهيلي: ''إن ذلك بالنظر إلى جملة محاسن أسمائه، وصفاته، وأفعاله، فإنها كلها حسنة''.[39] فكان الرسول الأكرم؛ ''بالضرورة؛ أجلى مرآة، وأصقلها، لعكس محاسن جمال مالك العالم، ولطائف حسنه المنزه، كما تشير إليه آثاره البديعة''.[40] وسمي صلى الله عليه وآله وسلم الرسول الحبيب، ''لأنه يحبب اللهَ سبحانه إلى الخلق، بإظهار جمال أسمائه الحسنى''.[41]

ومن ملامح الجمال، في مشروع النورسي، أنه بناه على أساس العشق الإلهي،[42] واعتبر المحبة ''هي أهم المقاصد الإلهية، في الكون، وأهم نتيجة لخلق العالم''.[43] وهو في ذلك، يوافق الحكيم الترمذي، الذي بنى مشروعه على الحب الإلهي.[44]

إنها رغبة أكيدة، وسعي عرفاني، من أجل إحياء عصر النبي ﷺ، وبناء أمة على منهاج النبوة والخلافة الراشدة.

وهذا المنزع الجمالي، من أهم مقومات مشروع الحكيم الترمذي أيضا، من خلال وصفه للصراع بين الخير والشر، الذي يستلزم الصراع بين الجميل والقبيح، كما سنرى بعد حين.

التعاون والتعارف في المدينة الفاضلة

افتقر تصور المعلم الثاني؛ في تمثيل المدينة بالإنسان؛ إلى الواقعية، حيث إنه استبعد عنصرا أساسا، وهو عوامل الصراع، التي لا يخلو منها كائن حي في هذا الكون. فقد قال، في تعريف ''المدينة الفاضلة'': ''المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح، الذي تتعاون أعضاؤه كلها، على تتميم حياة الحيوان، وعلى حفظها إليه''.

والملاحظ، أنه ركز؛ في هذا التعريف؛ على جانب الحفظ، في التعاون على التنظيم والتتميم. وهذا وجه واحد فقط، من وَجْهَي التعاون، حيث يكون المعلم الثاني، قد غفل عن الوجه الآخر، وهو التعاون على درء ما يهدم ذلك النظام، ويحول دون حفظه.

لقد أخذ بعين الاعتبار جانبا واحدا من جوانب التعاون،[45] وهو ''التعارف''.[46] بيد أن النورسي، استحضر جانبَي ''التعارف'' و ''الدفع''.

أما من حيث ''التعارف''، فمن ملامحه، أنه يشبه الروابط الاجتماعية بـ ''روابط تربط الجندي بفصيله، وفوجه، ولوائه، وفرقته، في الجيش. وله واجب ووظيفة، في

كل منهما. كذلك، كل إنسان، في المجتمع، له روابط متسلسلة، ووظائف مترابطة. فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف، ولم تعيّن، ولم تحدّد، لما كان هناك تعاون، ولا تعارف''.[47]

ويعتبر دستور المدنيَّة ''في الحياة: التعاون، بدل الصراع والجدال. والتعاون، من شأنه التساند والاتحاد''،[48] ويرى أن من مقاصد الحج ''توحيد الأفكار بالتعارف، وتشريك المساعي بالتعاون''.[49]

وأما من حيث ''الدفع''،[50] فإنه يتخذ مساره الطبيعي بداعي الفطرة، فَبِهِ تحافظ المجتمعات على عزتها وكرامتها، لأن ''الميل الفطري لا يقاوم''،[51] و ''الهيجان الفطري، لو تعرض له ظلم الكافر البارد، لفتت كل شيء أمامه''.[52]

ويضرب مثلا؛ على ذلك؛ بالدجاجة، التي يتحول خوفها وجبنها إلى جسارة فائقة، حفاظا على فراخها، إذا هاجمهم الجاموس الضخم، وبالعنز، الذي ينقلب خوفه، المضروب به المثل، إلى دفاع ومقاومة، تحركهما شجاعة خارقة، عند مهاجمة الذئب له.[53]

وهذا المنحى، الجامع بين عنصري ''التعاون'' و ''الدفع''، يوجد أيضا في فكر الحكيم الترمذي، من خلال الصراع، الذي يصوره، بين القلب والنفس وجنودهما، في ''كتاب غور الأمور''.[54]

ولمّا اعتمد المعلم الثاني على عنصر واحد؛ وهو ''التعارف''؛ جاء تنظيمه لأجزاء المدينة جامدا، ويفتقر إلى النشاط والحيوية. فهو يرى أن أهل كل مرتبة يخدمون المرتبة الأعلى، وكل مرتبة مخدومة من المرتبة الأسفل منها، إلى أن يصل الأمر إلى الأسفلِين، الذين يَخْدُمون، ولا يُخْدَمون،[55] وأن ''الأفعال والسنن موزعة في المدن والأمم، على ترتيب، وتستعمل استعمالا مشتركا''.[56]

أما النورسي والحكيم الترمذي، باستحضارهما عنصر ''الدفع''، إلى جانب عنصر ''التعارف''، فقد أوجدا حركة وديناميةً، بحيث إن الصراع لا يخضع لنمط واحد في الترتيب، بل لأنماط مختلفة، بل قد تكون متباينة.

السعادة في المجتمع الفاضل

يرى النورسي، ''ان السعادة، تكون سعادة، عندما تصبح عامة للكل، أو

الأكثرية''.[57] وسبق أن ذكرنا، أن السعادة؛ عنده؛ من أهم مقاصد المجتمع الفاضل، وأن السعادة الكبرى، التي ينالها المؤمن في الآخرة، بدخول الجنة، يجب أن تكون مقياسا تقاس عليه سعادة المجتمع الفاضل.

ومن هنا، يعتبر المدنيَّة الغربية مدنية زائفة، وأن السعادة، التي تدعيها، مزيفة، لأنها ''لأقل القليل من الناس''.[58]

و''المدنية، التي تأمرنا بها الشريعة الغراء، وتتضمنها''، يجب أن تقوم على أسس ودستور، لتحصيل السعادة الحقيقية.

أما أسسها، فهي:

١- الحق بدلا من القوة؛ ٢- العدالة والتوازن؛ ٣- الفضيلة بدلا من المنفعة؛ ٤- المحبة والتجاذب؛ ٥- الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية؛٦- الأخوة الخالصة؛ ٧- السلام والوئام؛ ٨- الذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.

وأما دستورها، فهو: ١- التعاون بدل الصراع والجدال؛ ٢- التساند والاتحاد؛ ٣- الهدى بدل الهوى.

أما الفارابي، فيرى أن ''العلم المدني، يفحص أولا عن السعادة''،[59] وأنها تُنال بطريقين:[60]

- أولهما: ''هو العقل، واستكمال النفس حقيقتها بالمعرفة النظرية:[61] المعرفة بمبادئ الموجودات، ونظام الكون، والعقول المفارقة، إلخ''.

- ثانيهما: ''الطبيعة الاجتماعية للإنسان، فالسعادة لا يمكن أن تحصل له، إلا إذا كان يعيش في مجتمع، وكان هذا المجتمع فاضلا''.[62] ولذا، جعل كتابه، الموسوم بـ ''فصول منتزعة''، مشتملا ''على أصول كثيرة، من أقاويل القدماء، فيما ينبغي أن تدبر به المدن، وتعمر به، وتصلح به سيرة أهلها، ويسددوا به نحو السعادة''.[63]

ويمكن أن نضيف طريقا ثالثا، وهو مكارم الأخلاق. فقد روي عنه، أنه قال: ''من لا يهذبُ علمُهُ أخلاقَهُ، في الدنيا، لا يسعد نفسه في الآخرة''،[64] وأنه قال: ''تمام السعادة بمكارم الأخلاق، كما أن تمام الشجرة بالثمرة''.[65]

بيد أن السعادة بمكارم الأخلاق، داخلة في الطريق الثاني للسعادة، إذ لا يمكن أن نتصور مجتمعا فاضلا بدونها.

ومن تجليات المدينة الفاضلة، أن يكون رئيسها الأول فاضلا، كما هو مؤدى قول الفارابي: ''والرئيس الأول، إن كان فاضلا، وكانت رئاسته فاضلة في الحقيقة، فإنه إنما يلتمس، بما يرسم من ذلك، أن ينال هو، وكل من تحت رئاسته، السعادة القصوى، التي هي؛ في الحقيقة؛ سعادة''.[66]

وشرط المدينة، لكي تكون فاضلة، تلازم طريقَي السعادة: الأول والثاني، ''فالمعرفة بمراتب الموجودات، ليست ضرورية فقط لسعادة النفس سعادة عقلية فردية، بل هي ضرورية أيضا، لتوفير شرط آخر ضروري للسعادة، هو بناء المدينة الفاضلة، التي يجب أن تحكي، في نظامها وتسلسل مراتبها، نظام الكون وتسلسل مراتب أجزائه. ومن هنا، كانت المنظومة الفارابية موجهة الوجهة، التي تجعلها تقدم النموذج المثالي للمدينة الفاضلة: مدينة العقل''.[67]

ولا يماري النورسي في تحصيل السعادة، بطريق العقل، حيث يجعل دليل العناية – وهو من أهم الأدلة العقلية– ''يبشر بقدوم السعادة الأبدية''،[68] ويعتبر أن من يحصر غاية الحياة في الملذات الجسدية وشهوات الدنيا، مستخِفّ بنعم الله الكبرى، ومنها نعمة ما يسميه ''إحسان العقل''.[69]

أما الحكيم الترمذي، فيرى للسعادة طرقا، هي:

– القلب، واستكمال النفس حقيقتها بالحكمة البالغة؛

– اللذة، التي تحصل للنفس، عند إذعانها لسلطان القلب، وتحررها من الشهوة؛

– العيش في مجتمع فاضل، يحرسه الأبدال، ويضع نظامه الأولياء، ويحكمه السلطان، الذي هو ظل الله في أرضه، ويشرف على مراقبته الخاصة من أوليائه.

وإذا كان الفيلسوف؛ عند الفارابي؛ ''هو وحده الذي يستطيع أن يبني دولة العقل''،[70] فإن الممهِّد لظهور المهدي المنتظر عند النورسي،[71] والولي عند الحكيم الترمذي،[72] هما وحدهما، القادران على بناء دولة الإيمان والتقوى.

العدالة في المجتمع الفاضل

يرى النورسي، أن العدل، الذي يقوم عليه نظام هذا الكون البديع، إنما يراد به أن يكون مثالا لنظام الحياة، لدى بني البشر، كما سبق أن ألمحنا إلى ذلك في صدر هذا البحث.

أما الحكيم الترمذي، فيظهر انشغاله الكبير بركن العدالة، من خلال ذكره لوجوه "السواء"، إذ جعلها برمتها تصب في هذا المفهوم، وهي: العدل، لا إله إلا الله، الوسط، الظاهر، الشرع، قصد الطريق، الإنصاف.[73]

فمن أهم الصفات، التي تضبط المجتمع، وتضمن له الاستقرار، صفة العدالة. وقد عقد في ذلك أصلا، في "نوادره"، وسمه بـ "الأصل الثاني والثلاثون والمائة: في بيان صفات ولاة الأمور العادلين".[74]

وعلة إقامة السلطان هي العدل، يقول: "فإنما أعطي السلطان على أن يأخذ للضعيف من القوي، ولولا ذلك، لم يُحْتَج إلى السلطان. فإذا فعل ذلك، فقد تمسك بالذي أعطى على هيئة ما أعطي، فأديمت له قوة ذلك الذي أعطى. وإذا ضيع ذلك، فقد ضيع سلطانه، وذَلَّهُ. فكيف يبقى معه قوة؟!"[75]

إنه يعتبر السلطان ضرورة وجودية، حيث لا يمكن تدبير الأمة، والقيام بشؤون الدولة، ما لم يكن عادلا.[76]

وليس العدل ضروريا، في استقرار البلاد ودوام السلطان وحسب، بل إنه أصل يقوم عليه الكون كله: "لأن العدل صلاح الأرض، والجور فسادها. وبالعدل قامت السماوات والأرض".[77]

فبالعدل يحاكي عالم المُلْك مثالات عالم الملكوت.

وبما أن مشروع النورسي والحكيم الترمذي مشروع أخلاقي، فإنهما ربطا ربطا لزوميا، بين العدل، والمحبة، وحُسْن الخلق. فيرى النورسي، ان نقطة استناد "المدنيَّة، التي تأمرنا بها الشريعة الغراء، وتتضمنها": "هي: الحق، بدلا من القوة. والحق من شأنه: العدالة، والتوازن. وهدفها: الفضيلة، بدلا من المنفعة. والفضيلة من شأنها: المحبة، والتجاذب".[78]

أما الحكيم الترمذي، فقد بيَّنَ -في معرض كلامه على صنائع المعروف، وأن العدل من أبرزها- أن "صنائع المعروف، لا تكون، إلا من حسن الخلق. ومن حَسَّنَ اللهُ خُلُقَهُ، أحبه. ومن احبه الله، ألقى محبته على قلوب عباده".[79]

الأبعاد المُلْكية والملكوتية في مشروع المجتمع الفاضل

يقسم المعلم الثاني الاجتماعات الإنسانية إلى: كاملة، وغير كاملة. أما الكاملة، فيقسمها إلى: عظمى، ووسطى، وصغرى.

العظمى هي: ''اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة''، والوسطى هي: ''اجتماع أمة في جزء من المدينة''، والصغرى هي: ''اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة''.

وأما غير الكاملة، فهي ''أهل القرية، واجتماع أهل المحلة، ثم اجتماع سكة، ثم اجتماع في منزل، وأصغرها المنزلة''.[80]

أما النورسي، فكان تصوره أوسع. فقد شَبَّهَ الإنسان بالاجتماع الكامل، بل شبهه بالكون، واعتبرهما مجلى للأسماء الإلهية، على حد سواء: ''فكما أن الأسماء الإلهية المتجلية في العالم، الذي هو إنسان كبير، تتجلى أكثرها أيضا في هذا الإنسان، الذي هو عالم أصغر''،[81] و ''كما أن الإنسان عالم صغير، كذلك العالم إنسان كبير. فهذا الإنسان يمثل خلاصة الإنسان الكبير وفهرسه. فالنماذج المصغرة في الإنسان، لا بد أن أصولها الكبيرة المعظمة، موجودة في الإنسان الأكبر بالضرورة''.[82]

ومما يدل على أهمية هذه الفكرة في النسق الفكري عند النورسي، أنها اتخذت بعدا روحيا، وصارت من مكونات أدعيته ومناجاته. من ذلك، مناجاته، التي يقول فيها: ''حسبي من جعلني إنسانا، فأنعم علي بنعمة الإنسانية، التي صيرت الإنسان عالما صغيرا أكبر معنىً من العالم الكبير''،[83] وفي مناجاة له أيضا: ''حسبي من جعلني مظهرا جامعا لتجليات أسمائه، وأنعم علي بنعمة لا تسعها الكائنات، بسر حديث: ''لا يسعني أرضي، ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن''،[84] حيث يعلق عليه بقوله: ''يعني: أن الماهية الإنسانية، مظهر جامع لجميع تجليات الأسماء المتجلية في جميع الكائنات''.[85]

وهو؛ في كل ذلك؛ لا يغفل عن استحضار الحلقتين المفقودتين في مشروع المعلم الثاني، وهما ''الإنسان'' و ''الملكوت''.

فإذا كان الفارابي، يرى أن ''الخير الأفضل، والكمال الأقصى، إنما يُنال أولا بالمدينة، لا باجتماع الذي هو أنقص منها''،[86] فالنورسي يرى، أن الخير الأفضل، يُنال بوصل عالم المُلْك بعالم الملكوت، وبعبارته: ''ثم إن وجهَي الحياة، أي: المُلْك والملكوت، صافيان ظاهران، لا نقص فيهما، ساميان. وهي -أي: الحياة- مخلوق خاص، متميز عن كل خلق آخر، لم توضَع لها الأسباب الظاهرة حُجبا بينها، وبين تصرفات القدرة الإلهية، كما هي في سائر الأشياء. وذلك، ليكون أمر صدورها من يد القدرة الربانية مباشرة، دون حجب أو وسائط''.[87]

وهذا الوصل المتين مظهر من مظاهر الجمال الإلهي، المتجلي في بديع صنعه: ''فالوجهان شفافان جميلان، أي: جميل مُلْكا وملكوتا''.[88]

وفي هذا السياق، ركز النورسي، من خلال وصفه للصراع بين القلب والنفس، على عدم المنافاة، بين الخير والشر، إيذانا منه بقطبية البعد الأخلاقي، في مشروعه. بل إن هذا البعد تلبَّس؛ عنده؛ بالبعد الجمالي، من خلال التكامل الذي أقامه بينهما.

خاتمة

صفوة القول: إن بديع الزمان سعيد النورسي، لم يهتم بوضع فلسفة، ولا كان يهدف إلى أن يكون منظِّرا، على المستوى الفكري، أو الفلسفي، أو السياسي، وإنما كان مشروعه أضخم وأعظم من أن يُحَلِّق في فلسفات عائمة في الفضاء.

لقد كان يرى، أن الأمة تحتاج إلى فكر واقعي، وكان يبحث عن الأمراض، التي تنخر جسد الأمة، ليشخِّصها، ثم يصف لها الدواء، الذي إن أحسنت تناوله، تنهض بنفسها، وتنفض عنها غبار التخلف، لتكون في مستوى تأثيل صرح الشهود الحضاري.

وهذا التوجه العملي، في فكر النورسي، هو الذي جعله يسهم في إنهاض الأمة بالبحث عن الأسس، التي تبني عليها شهودها الحضاري، وليس بالتنظير الفلسفي النظري. فوضع خمسة أسس، لإنقاذ الأمة ''في حياتها الاجتماعية والسياسية، ونجاتها من الفوضى، والإرهاب، ومن المخاطر العظيمة''.

وهذه الأسس هي: ''الأول: الرحمة، الثاني: الاحترام، الثالث: الأمن والثقة، الرابع: اجتناب المحارم والتمييز بين الحرام والحلال، الخامس: الطاعة وترك التسبب''.

ثم يقرر أن ''رسائل النور، عندما تنظر إلى الحياة الاجتماعية، تحقق هذه الأسس الخمسة، وتثبت بها ركائز النظام في البلاد''،[89] وأنها ''لم تستعمل، إلا لصالح الأمة والبلاد''.[90]

وحيث إن مشروع النورسي مشروع إسلامي، وأيضا إنساني، فإن رسائله أيضا تحمل بين طياتها دواء للأمراض، التي تفتك بالإنسان، من أي جنس كان، ومن أي دين كان، وهي ''تفسر، وتكشف طلسم الكائنات العظيم''،[91] يقول: ''إن هذه البلاد، وهذه الأمة والحكومة، ستكون؛ في أقرب وقت؛ بحاجة إلى مؤلفات، من أمثال ''رسائل النور''، حاجة ماسة تجاه العالم الإسلامي، وتجاه الدنيا بأسرها. وستبين وجودها، وكرامتها، ومفاخرها التاريخية، بإبراز هذه المؤلفات''.[92]

الهوامش:

[1] المملكة المغربية، الرباط.

[2] كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط. ٤، ٢٠٠٤، ج. ١ (الكلمات)، ص. ٨٠٣.

[3] كليات رسائل النور، ج. ١، ص. ٨١.

[4] الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد الأندلسي، منشور مع ''فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال'' للمؤلف نفسه، مطبعة الجمالية، القاهرة، ط. ٢، ١٣٢٨ / ١٩١٠، ص. ٤٥ – ٤٩.

[5] كليات رسائل النور، ج. ٦ (المثنوي العربي النوري)، ص. ٤٢٨ – ٤٣٠.

[6] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٢٨.

[7] كليات رسائل النور، ج. ٤ (الشعاعات)، ص. ٤٢٥ – ٤٢٦.

[8] كليات رسائل النور، ج. ٥ (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، ص. ٦١.

[9] رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عمر بن الخطاب. ورمز إليه السيوطي بالصحة (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ج. ١، ص. ١٨٥، الحديث ٣٠٩٢. وانظر أيضا ''فيض القدير شرح الجامع الصغير'' لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط. ١، ص. ١٣٥٦ / ١٩٣٨، ج. ٣، ص. ١٨٤).

[10] كليا ت رسائل النور، ج. ٥، ص. ٢٧٧.

[11] كليات رسائل النور، ج. ٥، ص. ٢٢٢.

[12] كليات رسائل النور، ج. ٥، ص. ٥٢.

[13] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٢٢.

[14] كليات رسائل النور، ج. ٤، ص. ٢٧٢.

[15] كليات رسائل النور، ج. ٥، ص. ١٦٢.

[16] كليات رسائل النور، ج. ٤، ص. ٢٧٢ – ٢٧٣.

[17] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣٤٦.

[18] يسميها ''الفطرة''، و ''الفطرة الشاعرة''، و ''الوجدان''، و ''وجدان الإنسان''، و ''الوجدان الحي'' (كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٢٢، ٤٣٠).

[19] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣٧٦.

[20] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٣٠.

[21] نحن والتراث لمحمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط. ٦، ١٩٩٣، ص. ٨٠.

[22] بنية العقل العربي لمحمد عابد الجابري، سلسلة ''نقد العقل العربي: ٢''، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء، ط. ٣، ١٩٩٣، ص. ٤٥٣.

[23] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٣١.

[24] ألف الحكيم الترمذي كتابا؛ في ذلك؛ يعتبر من أنفس ما أُلِّف في بابه، وهو كتاب ''الأمثال من الكتاب والسنة'' (تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٥ / ١٩٧٥).

[25] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٣١.

[26] انظر تفصيل ذلك في ''نوادر الأصول في أحاديث الرسول'' للحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميره، دار الجيل، بيروت، ط. ١، ١٤١٢/١٩٩٢، ج. ٤، ص. ١٩٥–٢٠٥، الأصل ٢٨٧.

[27] كليات رسائل النور، ج. ٥، ص. ١٦٠.

[28] كليات رسائل النور، ج. ٤، ص. ٦٦٨.

[29] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٢٢.
[30] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣٤٤.
[31] كليات رسائل النور، ج. ١، ص. ٦٩١.
[32] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣٤٩.
[33] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣١١.
[34] كليات رسائل النور، ج. ١، ص. ٦٩١.
[35] انظر الحقيقة المحمدية في ''كليات رسائل النور''، ج. ١، ص. ٥٣٦، ٥٣٩، ج. ٢ (المكتوبات)، ص. ٤٢، ٢٧٢، ٣١٤، ٣١٦، ٦٥٤–٦٥٥، ٦٦٦، ٦٦٨، ج. ٦، ص. ٤٢١–٤٢٢.
[36] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٣٦١.
[37] بنية العقل العربي، ص. ٤٤٩–٤٥٠.
[38] رواه مسلم، والترمذي، عن ابن مسعود، والطبراني في ''الكبير''، عن أبي أمامة، والحاكم في ''المستدرك''، عن ابن عمر، وابن عساكر، عن جابر وابن عمر. ورمز إليه السيوطي بالصحة (الجامع الصغير، ج. ١، ص. ١٠٧، الحديث ١٧٢٠. وانظر أيضا ''فيض القدير''، ج. ٢، ص. ٣٢٤–٣٢٥).
[39] النور المستبين من أحاديث سيد المرسلين لمحمد بن علي دِنْيَة الرباطي، منشور مع ''الأقوال الحسان الراقية في الأجوبة المختارة السامية''، و ''السلسلة الذهبية من الحديث المسلسل بالأولية''، كلاهما للمؤلف نفسه، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦، ص. ١٣٠.
[40] كليات رسائل النور، ج. ١، ص. ٦٩٠.
[41] كليات رسائل النور، ج. ١، ص. ٦٢.
[42] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٣١.
[43] كليات رسائل النور، ج. ٣ (اللمعات)، ص. ٥٥٩.
[44] انظر تفصيل الكلام على المحبة وعلاقتها بالحكمة، وبخلق الإنسان، عند الحكيم الترمذي، في:
– Gobillot (Geneviève), Un penseur de l'amour (Hubb), le mystique Khurasanien al-Hakîm al-Tirmidhî, Studia Islamica, fasc. LXXIII, 1991, pp. 25-44.

وانظر أيضا المحبة عند الصوفية في :
– Nwyia (Paul), Exégèse coranique et langage mystique, Beyrouth, 1970, pp. 285 -286.

[45] انظر تفصيل الكلام على ''أخلاق التعاون''، و ''أخلاق التعارف''، في ''الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري'' لطه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط. ١، ٢٠٠٥، ص. ٦٦ – ٧٤).
[46] تأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. الحجرات:١٣
[47] كليات رسائل النور، ج. ٨ (صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم)، ص. ٣٣٥.
[48] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٥٩.
[49] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٦٥.
[50] تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. الحج:٤٠
[51] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٦٦.
[52] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٦٦.
[53] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٦٤–٣٦٥.
[54] كتاب غور الأمور للحكيم الترمذي، تحقيق ج. جوبيو، منشورات ''المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية

بالقاهرة" في "حوليات إسلامية"، المجلد ٢٨، ١٩٩٤.

[55] آراء أهل المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي، تحقيق القدس للدراسات والبحوث، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت.، ص. ١٨٥ - ١٨٩. "كتاب الملة" ونصوص أخرى، لأبي نصر الفارابي، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط. ٢، ١٩٩١، ص. ٦١–٦٦. وقد نقل صدر المتألهين الشيرازي ذلك نقلا حرفيا (المبدأ والمعاد لصدر المتألهين الشيرازي، تصحيح جلال الدين الآشتياني، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، قم، ط. ٣، ١٤٢٢، ص. ٦١٥).

[56] إحصاء العلوم للفارابي، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. ٣، ١٩٦٨، ص. ١٢٥.

[57] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٧٥.

[58] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٥٧.

[59] كتاب الملة، ص. ٥٢.

[60] للفارابي رسالة موسومة بـ "رسالة في التنبيه على أسباب السعادة" (عيون الأنباء، ج. ٣، ص. ٢٣١. عقود الجوهر، ص. ١٣٠)، وتعرف أيضا بعنوان "التنبيه على سبيل السعادة" (تاريخ بروكلمان، (الأصل الألماني)، ليدن، ١٩٤٣، ج. ١، ص. ٢٣٣. دائرة المعارف الإسلامية، (الأصل الفرنسي)، ليدن – باريس، ١٩٦٥، ج. ٢، ص. ٧٩٩)، وبعنوان "التنبيه على تحصيل سبيل السعادة" (ملحق تاريخ بروكلمان (الأصل الألماني)، ليدن، ١٩٣٧، ج. ١، ص. ٣٧٦). ولعلها هي "كتاب في السعادة الموجودة"، الذي ذكره القفطي في "تاريخ الحكماء" (تحقيق Julius Lippert، ليبزيج، ١٩٠٣، ص. ٢٧٩). كما نسب إليه هذا الأخير رسالة، ذكر أن الفارابي سماها "نيل السعادات" (تاريخ الحكماء، ص. ٢٨٠)، ولعلها هي "كتاب تحصيل السعادة" (تاريخ بروكلمان، ج. ١، ص. ٢٣٣)، باعتبار أن "النيل" و "التحصيل" كلمتان مترادفتان.

[61] بخلاف ابن سينا، الذي "يربط السعادة باللذة، التي تحصل للنفس، عند تحررها من البدن" (بنية العقل العربي، ص. ٤٥٢). ونجد ابن الدباغ يجمع بين رأيي الحكيمين: الفارابي، وابن سينا، حيث اعتبر أن تحصيل السعادة، يكون بالمعرفة النظرية، وبالتحرر من البدن، عن طريق القرب من الله تعالى، يقول: "ولذة النفس الإلهية، في تحصيل المعارف الربانية، والانتعاش بالعلوم الدينية، والقرب من الحق تعالى، ومحبته" (كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر، بيروت، د. ت.، ص. ٤٠). وممن تأثر بأفلاطون، في نظريته حول السعادة، أبو الحسن العامري (آفاق الفكر السياسي عند أبي الحسن العامري لعلي فريدوني، تعريب نوال خليل، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، قم، ط. ١، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥، ص. ٥١ – ٥٤).

[62] بنية العقل العربي، ص. ٤٥٢. وانظر تفصيل ذلك، في: "آراء أهل المدينة الفاضلة" (ص. ٨٠). "فصول منتزعة" لأبي نصر الفارابي (تحقيق فوزي متري نجار، دار المشرق، بيروت، ط. ٢، ١٩٩٢، ص. ٤٥ – ٥٠)، كما يُنظر "الفلسفة السياسية عند الفارابي" لعبد السلام بنعبد العالي (دار الطليعة، بيروت، ط. ٤، ١٩٩٧، ص. ١٠٣ – ١١٠)، و "أرنالديز" و "فوزي النجار" في:

- Arnaldez (Roger), l'âme et le monde dans le système philosophique de Fârâbî, Studia Islamica, fasc. XLIII, 1976, p. 61.

- Najjar (Fauzi M.), Fârâbi's political philosophy and shî'ism, Studia Islamica, fasc., XIV, 1961., pp. 72.

والأمر نفسه، نجده عند مسكويه، حيث اعتبر أن سعادة البدن والنفس، تحصل "بالأشياء النافعة في الوصول إلى الحكمة الأبدية" (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١، ص. ٩٠)، وأن السعادات الإنسانية، "لا تتم إلا بالأفعال البدنية، والأحوال المدنية، وبالأعوان الصالحين، والأصدقاء

المخلصين'' (تهذيب الأخلاق، ص. ١٦٧). وهذا ليس بغريب، إذا علمنا أن مسكويه متأثر بفلسفة الفارابي (دائرة المعارف الإسلامية، ج. ٢، ص. ٧٩٨).

أما صدر المتألهين الشيرازي، فقد نقل نظرية الفارابي نقلا حرفيا، من ''آراء أهل المدينة الفاضلة'' (المبدأ والمعاد، ص. ٦١٥ – ٦١٨).

[63] فصول منتزعة، ص. ٢٣.

[64] تاريخ الحكماء (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين الشهرزوري، تحقيق عبد الكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط. ١، ١٣٩٨ / ١٩٨٨، ص. ٣٠١.

[65] تاريخ الحكماء (نزهة الأرواح وروضة الأفراح)، ص. ٣٠٢. هذا، وقد ألف الفارابي مؤلفات في الأخلاق، منها ''كتاب تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطاليس'' (الفهرست للنديم، ضبطه يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢، ص. ٤٢٣)، وذكره جميل بك العظم بعنوان ''شرح مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطاطاليس'' (عقود الجوهر، ص. ١٣١). ولعله هو ''كتاب الأخلاق''، الذي ذكره القفطي، في ''تاريخ الحكماء'' (ص. ٢٧٩).

[66] كتاب الملة، ص. ٤٤.

[67] بنية العقل العربي، ص. ٤٥٣.

[68] كليات رسائل النور، ج. ٥، ص. ٦٢.

[69] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ٥٦٠.

[70] نحن والتراث، ص. ٨٠.

[71] انظر تفصيل ذلك في ''كليات رسائل النور''، ج. ٢، ص. ١٢٢، ج. ٣، ص. ٣٠، ج. ٦، ص. ٤٤٦، ج. ٧، ص. ١٩٥ – ١٩٦، ٣١٤ – ٣١٧.

[72] انظر علاقة الولاية بالسياسة، عند الحكيم الترمذي، في ''الحكيم الترمذي : الفقيه الناقد''، لكامل محمد محمد عويضة، ضمن سلسلة ''أعلام الفقهاء والمحدثين''، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٣ / ١٩٩٣، ص. ٨١ – ٨٨.

[73] تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي، تحقيق حسني نصر زيدان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٩ / ١٩٦٩، ص.٢٧ – ٢٩.

[74] نوادر الأصول، ج. ٢ ، ص. ١٢٤، الأصل ١٣٢.

[75] نوادر الأصول، ج. ٢، ص. ١٢٥، الأصل ١٣٢.

[76] يؤكد أرسطو أيضا ''ضرورة اعتبار الحاكم، لا يمكن أن يدبر المدينة، ما لم يكن عادلا'' (مفهوم المدينة في ''كتاب السياسة لأرسطو'' لحاتم النقاطي، دار الحوار، اللاذقية، ط. ١، ١٩٩٥، ص. ٣١ – ٣٢).

[77] نوادر الأصول، ج. ٢، ص. ١٢٥، الأصل ١٣٢.

[78] كليات رسائل النور، ج. ٨، ص. ٣٥٩.

[79] نوادر الأصول، ج. ٢، ص. ١٢٤، الأصل ١٣٢ في بيان صفات ولاة الأمور العادلين.

[80] آراء أهل المدينة الفاضلة، ص. ١٨٣-١٨٤. وقد نقل صدر المتألهين الشيرازي أقسام الاجتماعات الإنسانية، من ''آراء أهل المدينة الفاضلة''، بألفاظها، دون إشارة أو إحالة إليه أو إلى مؤلّفه (المبدأ والمعاد، ص. ٦١٤ – ٦١٥).

[81] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ١٩.

[82] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ١٢٧. وانظر أيضا: ج. ٣، ص. ٤٧٣.

[83] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ٥٠٨.

[84] ذكره الحكيم الترمذي، عن وهب بن منبه، وغيره، بلفظ: ''ولست أسكن البيوت، وأي بيت يسعني،

والسماوات حشو كرسي؟! وإني في قلب الوادع، الضعيف، لين القلب'' (الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٥/١٩٧٥، ص. ٢٢١. الصلاة ومقاصدها، تحقيق حسني نصر زيدان، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٦٥. منازل القربة، تحقيق خالد زهري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: نصوص ووثائق، رقم ٣، ط. ١، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢، ص. ٨٢٠)، وذكره في ''كتاب ختم الأولياء'' بلفظ: ''يا موسى، وأي بيت يسعني؟! وأي مكان يحويني؟! فإن أردت أن تعلم أين أنا، فإني في قلب التارك، الورع، العفيف'' (كتاب ختم الأولياء، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، منشورات ''بحوث ودراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت''، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٥، ص. ٣٣٢. قال زين الدين العراقي: ''لم أَرَ له أصلا'' (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، منشور مع ''إحياء علوم الدين'' للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.، ج. ٣، ص. ١٦، كتاب شرح عجائب القلب)، وقال ابن تيمية: ''هذا مذكور في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ'' (علم الحديث لتقي الدين بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤٠٩/١٩٨٩، ص. ٢٧٥)، وقال السخاوي: ''وكأنه أشار، بما في الإسرائيليات، إلى ما أخرجه أحمد في ''الزهد''، عن وهب بن منبه، قال: ''إن الله فتح السموات لحزقيل، حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: ''سبحانك! ما أعظمك يا رب!''، فقال الله تعالى: ''إن السماوات والعرش ضعفن عن أن يسعنني، ووسعني قلب المؤمن، الوادع، اللين'' (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٣، ١٤١٧/١٩٩٧، الحديث ٩٩٠. الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث للغزي العامري، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط. ١، ١٤١٨/١٩٩٧، الحديث ٤٣٠).

[85] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ٥٠٩.

[86] آراء أهل المدينة الفاضلة، ص. ١٨٤.

[87] كليات رسائل النور، ج. ٣، ص. ٥٥٩. وانظر أيضا المصدر نفسه (ج. ٨، ص. ٣٤١).

[88] كليات رسائل النور، ج. ٦، ص. ٤٣٠.

[89] كليات رسائل النور، ج. ٧ (الملاحق في فقه دعوة النور)، ص. ٢١٣.

[90] كليات رسائل النور، ج. ٧، ص. ٢٣١ – ٢٣٢.

[91] كليات رسائل النور، ج. ٩ (سيرة ذاتية)، ص. ٢٥٣.

[92] كليات رسائل النور، ج. ٧، ص. ٢٦٩ – ٢٧٠.

ملف العدد

الإيجابية والعمل الإيجابي في رسائل النور

الأسس الشرعية لمنهج العمل الإيجابي البناء

The Shar'ī Principles Underlying Positive Action

ABSTRACT

Dr. Ma'mun Fariz Jarrar

Badiuzzman Said Nursi approach Nur students in the call to Allah that depends on the positive constructive work and not to seek to negative destructive work, and doing the service of faith within the scope of the divine satisfaction without interfering at affairs which belongs to Allah. By doing constructive service of faith, which yielded to maintain internal security and stability.

positive action is reflected in the construction call light in a range of behaviors, including: Moral jihad, It manifestations of tolerance with opponents, And left to attack opposites.

Dealing with a positive variation of good believers.

The positive constructive work is derived from the Koran and the Sunnah, and evidenced by many verses and hadiths. This research seeks to explain this statement.

ملخص البحث

د. مأمون فريز جرار[1]

يبين الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي منهج طلاب النور في الدعوة إلى الله بأنه يقوم على العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بماهو موكول أمره إلى الله. وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

ويتجلى العمل الإيجابي البناء في دعوة النور في مجموعة من أنماط السلوك منها:

الجهاد المعنوي، ومن مظاهره التسامح مع الخصوم، وترك مهاجمة المعارضين والتعامل الإيجابي مع اختلاف أهل الحق.

إن منهج العمل الإيجابي البناء منهج مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو منهج يحفظ السلم المجتمعي في بلاد الإسلام لقيامه على الجهاد المعنوي ونظرته الإيجابية إلى دعاة الإسلام في داخل المجتمع، ويجعل الدعاة إلى الله صفا واحدا في

مقاومة مخططات الأعداء. وهذا ما يسعى البحث إلى بيانه. من خلال عرض شواهد من القرآن الكريم والسنة الشريفة لأصول هذا المنهج.

مفهوم العمل الإيجابي

كان العمل الإيجابي موضوع الدرس الأخير الذي ألقاه الأستاذ النورسي رحمه الله على طلابه في أنقرة قبيل وفاته، وقد أجمل فيه منهج رسائل النور في الدعوة إلى الله، والغاية منها، ونظرة طلاب النور إلى الآخرين وموقفهم منهم. وكان هذا الدرس خلاصة مركزة لمسيرة رسائل النور وطلابها في مرحلة حياة الأستاذ رحمه الله.

وقد ورد حديث عن هذا المنهج في رسالة الإخلاص في سياق الحديث عن أسباب اتفاق أهل الباطل واختلاف أهل الحق.

ويمكن استخلاص دلالة العمل الإيجابي وعناصره بما يأتي:

- القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، وذلك بالجهاد المعنوي في داخل المجتمع الإسلامي.

- استخدام الجهاد المادي بقوة السلاح في مواجهة الأعداء الخارجيين حين يعتدون على المسلمين.

- النظر إلى المسؤولية الفردية للمعتدي على طلاب النور نظرة لا تتعدى إلى غيره، ومن ثمرات ذلك التسامح والصفح عن المسيء حتى لا يتعداه الأذى إلى غيره.

- اعتماد الاقتصاد وترك الإسراف الذي يوقع في ضرورات وهمية تصد عن الجهاد المعنوي.

- منهج العمل الإيجابي البنّاء وسيلة لتفادي الاختلاف مع دعاة الإسلام الآخرين وفق الضوابط الآتية:

- عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

- تحري روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- لتكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

- اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، بعدم ادعاء امتلاك الحق المطلق، فكل صاحب مسلك حق له أن يقول: مسلكي حق وهو أفضل وأجمل'' من دون أن يتدخل في مسالك الآخرين، وليس له أن يقول: ''الحق هو مسلكي فحسب'' أو ''إن الحسن والجمال في مسلكي وحده'' لأن ذلك يعني الحكم ببطلان المسالك الأخرى

وفسادها.

- السعي إلى الاتفاق مع أهل الحق لأنه أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق -بما يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الادراك بأن أية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

لقد كان منهج العمل الإيجابي البناءضابطا وموجها لمسيرة حياة الأستاذ النورسي رحمه الله ولطلاب النور في حياته ومن بعده. وأساسه النظر الإيجابي إلى الأشياء والأشخاص والأحداث وجعل الإخلاص ضابطا لكل ما يقوم به الإنسان.

وقد تجلى منهج العمل الإيجابي البنّاء في مظاهر شتى في مسيرة الأستاذ النورسي رحمه الله وطلاب النور، ومن ذلك أنه تجلى في:

- قاعدة مهمة هي: خذ ما صفا دع ما كدر.[2]

- وفي منهج النظر إلى الأحسن من كل شيء.[3]

- وفي تحويل النظر إلى السجن من مكان تضيق فيه النفوس وتتأذى الأجسام إلى مدرسة يوسفية.[4]

- وفي النظر إلى الثمرات الإيجابية للمحاكم التي كانت سببًا في اطلاع لجان التحكيم عليها والإفادة منها.[5]

- وفي النظر إلى مواقف الناس من رسائل النور وتصنيفهم في ثلاثة أنماط والرضى من كل واحد منهم بأي موقف إيجابي: فهم إما صديق أو أخ أو طالب.[6]

- والرضى من نظام الحكم بأي خطوة إيجابية تسهم في تخفيف القيود عن الإسلام والمسلمين، ومن ذلك موقف الأستاذ من الحزب الديمقراطي الذي عده أخف الضررين بالقياس إلى حزب الشعب الجمهوري.[7]

- وتجلى بصورة واضحة في أن مرحلة المحنة الطويلة لم تصبغ نظرة الأستاذ النورسي رحمه الله إلى الأشياء والأشخاص بالسواد، وكان واعيا لحقيقة ما جرى في تركيا: أنه انحراف لدى الطبقة الحاكمة ليس إلا فلم يصدر أحكامًا بالتكفير ولا التفسيق على أعضاء الجيش والشرطة وموظفي الدولة، بل كان يسعى إلى أن يقربهم

لتمتلئ قلوبهم بأنوار الإيمان وحقائق القرآن.

ولعل من المفيد السعي إلى البحث عن الأسس الشرعية التي بنى عليها الأستاذ النورسي رحمه الله تصوره لمنهج العمل الإيجابي البناء، فقد جاء حديثه عنه مجملا مكثفا هو أشبه بمعالم طريق لطلاب النور في دعوتهم وحياتهم وتعاملهم مع الآخرين، ومحاولتي هذه محاولة أولية تحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق لعرض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية لمنهج العمل الإيجابي البناء.

الجهاد المعنوي:

يقول الأستاذ في بيان وظيفة طلاب النور ومنهجهم في الدعوة إلى الله تعالى:

''إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بماهو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي''.[8]

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي رحمه الله يتمثل في الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها.

ويبين الأستاذ شروط الجهاد المعنوي محددًا ما هو مطلوب من الدعاة، ومميزًا له عما تكفل الله تعالى به:

''إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا''.[9]

وفي البحث عن الأساس الذي بنى عليه الأستاذ النورسي رحمه الله مفهومه للجهاد المعنوي نستحضر قول الله تعالى في بيان وظيفة المؤمنين ووعد الله لهم بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. النور:٥٥

فالمطلوب منهم: الإيمان والعمل الصالح وهما المقدمة المطلوبة لتحقيق الوعد

الذي هو شأن الله تعالى بما ييسر لذلك من الأسباب.

ونستحضر قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾. آل عمران:٢٦

فإيتاء الملك ونزعه هو من عمل الله تعالى.

ونستذكر قول سيدنا موسى عليه السلام في مواجهة جبروت فرعون وطغيانه:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. الأعراف:١٢٨

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. الأنبياء:١٠٥

ونستذكر كذلك موقف الرسول ﷺ من المسلمين الذي ذاقوا أصناف العذاب على يد المشركين في مكة، ولنقرأ هذا الحديث:

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".[10]

عن خباب بن الأرت قال:

لقد حدد الرسول ﷺ أن المطلوب منهم الصبر والثبات على الحق، وهناك وعد الله الذي يأتي به حين يشاء بتمام أمر الدين، ونصرة المؤمنين، وزوال البلاء، وانتشار الأمن والرخاء.

ومن أسس العمل الإيجابي ومرتكزاته الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. الأنعام:١٦٤

فالعمل السلبي، أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع، وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو

تخريب.

وبيانا لذلك يقول الأستاذ:

''إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة''.[11]

والجهاد المعنوي يبدأ من النفس بأن تكون على منهج الله متجردة من أنانيتها، ثم بعد ذلك ناشرة للخير لدى غيرها وفق الدوائر المحيطة بالإنسان.

وقد بين الأستاذ النورسي رحمه الله منهجه في العمل الدعوي المطلوب عندما جاءه رسول من شيخ الإسلام مصطفى صبري ودار بينهما الحوار الآتي:

''يروي الأستاذ (علي أوزك):

عندما قدمت إلى إستانبول من مصر وأنا مازلت طالباً في الأزهر الشريف، استفسرت عن الأستاذ النورسي، فوجدته ساكناً في منطقة الفاتح في بيت خشبي قديم، ولدى زيارتي له في غرفته رأيته متمدداً على فراشه -من المرض- سلمت عليه، فرد السلام، ولكن حينما أخبرته بأن الشيخ مصطفى صبري يخصك بالسلام، جلس وعدل نفسه وقال بتقدير وإكبار:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. وماذا يقول الأستاذ مصطفى صبري؟

- سيدي الأستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم!

- لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن الكريم!

- يقول الشيخ مصطفى صبري.. إذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يبدأ بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟

- بلّغ سلامي له أولا، ثم قل له:

إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان...

ثم تكلم بإسهاب عن موضوعات إيمانية، وعن كيفية القيام بخدمة الإيمان، وعندما أردت المغادرة قام ليودعني فقبلت يده وودعته.

ولما رجعت إلى مصر، زرت الشيخ مصطفى صبري، وكان طريح الفراش، وقد أنهكه المرض وأدركته الشيخوخة، حدثته عما دار بيني وبين الأستاذ النورسي في تركيا، فاستمع لي جيداً، ثم قال:

- حقاً إن الأستاذ النورسي رحمه الله هو المحق، نعم إن ما قاله صدق وصواب،

فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن، فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها.

وهكذا استصوب مصطفى صبري عمل بديع الزمان وقوله.[12]

ولا يعني هذا الموقف المتسامح من الأستاذ، ورفضه إيقاد الخصومة الحربية في داخل المجتمع أن الأستاذ النورسي رحمه الله يعطل الجهاد الحربي، فإذا كان يتخذ الجهاد المعنوي بالدعوة بالحسنى والتجمل بالصبر سبيلا للتعامل مع الداخل، في مقاومة أفكار الشر والفساد ونشر الخير، فإن رد العدوان الخارجي حين يتعرض المجتمع للغزو يكون باستعمال القوة المادية. يقول في بيان ذلك: "أجل، يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، لان أموال العدو وذراريه يكون بمثابة غنيمة للمسليمن، أما في الداخل فالأمر ليس هكذا، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل".[13]

وحين ننظر في تاريخ الدعوة الإسلامية في العهد النبوي نجد أن القتال لم يفرض والمسلمون في مكة بل فرض لما انحاز المسلمون إلى المدينة وصارت للإسلام فيها الدولة والكلمة العليا، كما نجد أن الرسول ﷺ لم يقاتل المنافقين الذين كانوا يعيشون مع المسلمين وبين ظهرانيهم درءا للفتنة والاقتتال الداخلي.

وقد صدر الأمر الإلهي للنبي ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[التحريم:٩]

وقد جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.[التحريم:٩]

فيه مسألة واحدة. وهو التشديد في دين الله. فأمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله. والمنافقين بالغلْظة وإقامة الحجة، وأن يعرّفهم أحوالهم في الآخرة، وأنهم لا نور لهم يَجُوزون به الصراط مع المؤمنين".[14] فجهاد الكفار يكون بنوعي الجهاد: المعنوي والمادي، وجهاد المنافقين المساكنين للمسلمين يكون بالجهاد المعنوي وحده درءا للفتنة عن المجتمع الإسلامي.

أما اليهود فقد كانوا منحازين في أماكن خاصة ولذلك قاتلهم المسلمون حين ظهر منهم نقض العهد والعداء السافر للإسلام.

العمل الإيجابي والتسامح مع الخصوم

ومن أمثلة العمل الإيجابي وتطبيقا لقاعدة ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ اتصاف

الأستاذ النورسي رحمه الله بصفة التسامح مع أشد الناس عداء له وإساءة إليه، ومن ذلك أن الأستاذ رحمه الله لم يكن يدعو على من يحاكمونه رحمة بأهاليهم، وقد هم أن يدعو على مدع عام ظلمه كثيرا ولما وقعت عينه على طفلة صغيرة وعرف أنها ابنة ذلك المدعي العام كف عن الدعاء عليه. بل إنه سامح الحزب الذي ناصبه العداء، حزب الشعب الجمهوري، وذلك لأنه نظر إلى الوجه الآخر من القضية، حيث إن عداء ذلك الحزب أسهم من حيث لم يحتسب ذلك الحزب في نشر رسائل النور والتعريف بها لا على المستوى الشعبي بل على أعلى المستويات، حيث كانت تعرض على كبار المسؤولين، ومنهم من تأثر بها. يقول الأستاذ مبينا ما سبق من تسامحه داعيا طلاب النور أن يمضوا على منهجه:

''على إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين. وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر...''

''لقد سامحت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الاحزاب السياسية رغم مقاساتي منه الوفاً من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة. فقد اصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلةً لخلاص خمسة وتسعين بالمئة من المساكين في ان يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات. حيث اسند الذنب إلى خمسة بالمئة من ذلك الحزب، بحكم الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء:١٥] فلا يحق اذن لذلك الحزب الذي عادانا القيام بالشكوى منا بأي وجه كان.''[15]

ولعل هذا الموقف المتسامح من الأستاذ تجاه من خاصموه وآذوه يذكرنا بذلك الموقف العظيم لرسول الله ﷺ يوم فتح مكة ونصره الله على أعدائه وأعلى كلمة الحق ،ووقفت قريش موقف الترقب والخوف مما سيفعله رسول الله ﷺ، وذلك ما يصوره النص الآتي من السيرة النبوية:

''قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مئة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣] الآية كلها. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا:

خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء".[16]

ترك مهاجمة المعارضين:

ومن مظاهر التسامح الذي اختطه الأستاذ النورسي رحمه الله الإعراض عن مهاجمة بعض العلماء الذين وقعوا تحت وطأة الضرورات الموهومة، فصاروا نماذج في الوقوع فيها، وكان منهم من يهاجم الأستاذ ورسائل النور، وهم في قرارة أنفسهم يعرفون الحق لكنهم قيدوا أنفسهم عن اتباعه بالضرورات الموهومة التي وقعوا فيها.

كان هذا الموقف من الأستاذ حين كان لديه في أخريات عمره ملايين من طلبة النور، ولم يكن ناشئا عن ضعف، لكن عن رغبة منه في استئناسهم، وإطفاء نار الأنانية في نفوسهم لعلهم يرون الحقيقة، ويثوبون إلى الحق الذي يفترض أنهم من حملته ودعاته. وانظر إلى هذا الموقف المتسامح في قول الأستاذ الموجه إلى طلاب النور بشأن بعض العلماء الذين أساؤوا إلى رسائل النور والأستاذ النورسي رحمه الله:

"نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم".[17]

ولا يخفى أن أسسا قرآنية ونبوية لهذا الموقف المبني على التسامح والصفح والعفو. فقد تكررت في القرآن الكريم الدعوة إلى الدفع بالحسنى لاستلال ما في الصدور من الاحتقان الناشئ عن حظ النفس وسوسة الشيطان.ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. فصلت:٣٤

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾. المؤمنون:٩٦

وكم حول التعامل بالحسنى العدو إلى صديق، والخصم إلى ولي حميم.

وفي الحديث النبوي الشريف تأكيد لهذا المنهج، وهذا ما نجده في هذا الحوار بين النبي ﷺ وأحد الصحابة الكرام:

"جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ يا رسولَ اللهِ إنَّ لي ذوي أرحامٍ أصلُ ويَقطعونَ وأَعفو ويظلِمونَ وأُحسِنُ ويُسيئونَ أفأُكافئُهُم قالَ لا إذَن تُترَكونَ جَميعًا ولَكِن خُذ بالفضلِ وَصِلْهُم فإنَّهُ لن يزالَ معَكَ منَ اللهِ ظَهيرٌ ما كنتَ علَى ذلِكَ".

(رواه أحمد في المسند، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح وقال الأرنؤوط حسن، موقع صحيح السنة النبوية، الأحاديث الصحيحة فى حق الرحم والقرابة).

الضرورات الموهومة تفسد العمل الإيجابي

العمل الإيجابي له جانبان: الأول: الإيمان والعمل، والآخر: الدعوة إلى الله لإنقاذ إيمان الآخرين، ولن يستطيع أحد أن ينقذ الآخرين ما لم ينقذ نفسه، فمن عجز عن

إصلاح نفسه فهو عن إصلاح غيره أعجز.

وقد نبه الأستاذ النورسي رحمه الله في درسه الأخير لطلابه إلى أمر يمنع الإنسان من الجهاد المعنوي، هو الوقوع تحت سطوة الضرورات الموهومة التي توقعه في المحرمات وتشغله عن حقيقة وجوده وعن حقيقة الدنيا وعن الآخرة. وهذا من مساوئ المدنية الحديثة التي ''زيّدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين، فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتياد والتقليد. فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لانهماكه بالأمور المعاشية والدنيوية ظناً منه أنها ضرورة''.[18] وعند الوقوع تحت هذه الحاجات الموهومة يقع الإنسان في محاذير وممنوعات تحت دعوى ''الضرورات تبيح المحظورات'' وهي دعوى لا حقيقة لها ولا تقبل إلا مع الضرورات الحقيقية.

وقد ذكر الأستاذ النورسي رحمه الله حادثة وقعت معه حين أرسل إليه قائد عام بعض الضباط والعلماء ليعيدوه إلى الأمور الدنيوية بعد الصحوة التي أرته الحقائق، وجعلته يتحول إلى سعيد الجديد، وحين ناقشهم الأستاذ ادّعوا أنهم مضطرون لأنهم واقعون تحت ضرورات الحياة فكان رده عليهم:

''الأعمال النابعة من سوء الاختيار والميول غير المشروعة لا تكون عذراً لجعل الحرام حلالاً''.[19]

ولو وقف الإنسان عند الضرورات الحقيقية لأعفى نفسه من كثير من المواقف التي تذله، وتشغله عن وظيفته الحقيقية، ولمضى في طريق الدعوة متخففا من أعباء الدنيا غير الضرورية.

هذا الموقف من الضرورات الموهومة يردنا إلى المنهج الإسلامي المنزه عن الإسراف، والقائم على الاعتدال في النفقة. فالقرآن الكريم يصف المؤمنين بقوله:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. الفرقان:٦٧

ويوجه المؤمن إلى المنهج المعتدل في الإنفاق بقوله :

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. الإسراء:٢٩

وقد فصل الأستاذ رحمه الله هذا الأمر تفصيلا وافيا في رسالة الاقتصاد.[20]

التعامل الإيجابي مع اختلاف أهل الحق

مما شغل بال الأستاذ النورسي رحمه الله اتفاق أهل الباطل واختلاف أهل الحق، وقد سعى في اللمعة العشرين إلى حل معضلة اختلاف أهل الحق وتحويله إلى

اختلاف إيجابي لا سلبي،وكان سبيله إلى ذلك منهج العمل الإيجابي، ويمكن تلخيص الدواء الذي قدمه الأستاذ النورسي رحمه الله بما يأتي:

لكل داعية من دعاة الإسلام أن يمضي في مسلكه الذي أحبه واختاره، ولكن عليه أن يتحرى الروابط مع الدعاة الآخرين، وله أن يعجب بمسلكه وطريقة دعوته لكن ليس من حقه أن يلغي مسالك الآخرين ،بل عليه أن يسعى للاتفاق مع غيره من أهل الحق لتشكيل الشخص المعنوي الذي يكون سدا منيعا أمام أعداء الدين.[21]

هذا الفهم الإيجابي للاختلاف الذي هو جزء من مسلك البشر في النظر إلى الأشياء يحول الاختلاف من عامل ضعف إلى عامل قوة، وذلك كله مبني على منهج العمل الإيجابي الذي قامت عليه دعوة النور، وهو فهم يحقق معنى الأخوة بين المؤمنين، فمن حقوق الأخوة التفاهم والتعاون والتساند، فالتنازع بين المؤمنين سبب من أسباب الفشل والضعف، وإنما يكون التنازع ثمرة من ثمرات الانقسام وغياب الرؤية الموحدة التي تجمع المختلفين على كلمة سواء، يقول الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. الأنفال:٤٦

ومما امتن الله به على المؤمنين تأليف القلوب وجمع الكلمة بعد الاختلاف والتنازع:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. الأنفال:٦٣

ويؤيد هذا المعنى القرآن الحديث الشريف الآتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه).[22]

حاصل الكلام:

إن منهج العمل الإيجابي البناء منهج مبني على أسس متينة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو منهج يكفل السلم المجتمعي في بلاد الإسلام لقيامه على الجهاد المعنوي ونظرته الإيجابية إلى روافد العمل الدعوي في داخل المجتمع، في داخل المجتمع، ويستنهض همم أهل الإيمان ليكونوا صفا واحدا في الدعوة إلى الله ومقاومة

مخططات أعداء الإيمان.

وكم كانت بلادنا العربية بحاجة إلى هذا المنهج قبل أن يصيبها ما نراه من أحداث مدمرة في عدد من الدول التي بدأت عام ٢٠١١ بما عرف بالربيع العربي،وحاجتها من قبل ومن بعد إلى الرسائل أكبر، لأن انتشار الرسائل يعني السير نحو التغيير بالجهاد المعنوي الذي يحقق الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.الرعد:١١

فحين نغير ما بأنفسنا يهيئ الله تعالى أسباب التغيير التي تنقلنا من المعيشة الضنك إلى حياة السعادة في الدنيا، ويكون حالنا كحال قوم يونس عليه السلام الذين خافوا من نزول العذاب بهم بعد أن تركهم نبيهم يونس عليه السلام فأسلموا وسلموا، وجعل القرآن الكريم حالهم نموذجا لكل مجتمع يريد أن يسلم من العذاب الأليم:

﴿فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعها إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونسَ لمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحيَاةِ الدّنْيا وَمَتّعْناهُمْ إلى حِينٍ﴾.يونس:٩٨

* * *

الهوامش:

[1] استاذ جامعي متقاعد وصاحب دار نشر المأمون، عمان، الأردن.

[2] انظر: الكلمات ٣٦، و٨٥٤.

[3] انظر: المصدر السابق ٣٣.

[4] انظر مثلا: اللمعات ٣٩٥، وتكرر هذا الوصف للسجن في أكثر من موضع في الرسائل.

[5] انظر: اللمعات، اللمعة السادسة والعشرين ٤٠٥.

[6] انظر المكتوبات ٤٤٢.

[7] انظر: سيرة ذاتية ٤٣٧.

[8] المصدر السابق ٤٦٩.

[9] سيرة ذاتية ٤٧٠.

[10] رواه البخاري ،كتاب المناقب باب علامات النبوة.

[11] سيرة ذاتية ٤٦٩.

[12] سيرة ذاتية ٥٤٢.

[13] المصدر السابق ٤٧٠.

[14] موقع التفسير http://www.altafsir.com

[15] سيرة ذاتية ٤٧٣–٤٧٤.

[16] السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٥ طبعة دار الفجر القاهرة ٢٠٠٤.

[17] سيرة ذاتية ٤٧١.

[18] سيرة ذاتية ٤٧٠.

[19] المصدر السابق ٤٧٠-٤٧١.

[20] اللمعات، اللمعة التاسعة عشرة ص ٢١١.

[21] انظر: اللمعات، رسالة الإخلاص، ٢٢٥.

[22] رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

مصطلح الإيجابية في رسائل النور "دراسة وتحليل"

An Analytical Study of the Term 'Positivism' in the Risale-i Nur

ABSTRACT

Prof. Dr. Najib 'Ali 'Abdullah al-Sudi

Today the whole world witnesses crises, strife and unrest that affects all people regardless of their different languages, colors, sects, beliefs or nationalities. People have two different reactions to these problems:

Some of them would start blaming others for their suffering and for hardships they face in life, looking for other people's mistakes and pointing a finger at every shortcoming they might notice, justifying their deeds by accusing others of following false approaches and doing corruption. All they can do is make destructive comments and resort to blaming. If they were to see someone drowning, they would blame him for throwing himself in the water without learning how to swim first. How easy it is to blame, be destructive, criticize, and philosophize; while how difficult it is to act in a constructive manner.

However, there are another kind of people who excel in their behavior. They think deeply about their reality, understand its problems and find solutions for them. With a clear vision and a careful plan of action, they work hard to save themselves and their societies from destruction. Their work is calm. Their aim is clear. They work hard because of their love to do what they do without demeaning others or indulging in their hostility.

History keeps their names and records of their deeds on pages of glory, because they carry light to people in order to guide their steps out of the darkness of ignorance, intolerance, hatred, despair and injustice into the light of knowledge, endurance, love, hope and justice. The above mentioned traits describe the carriers of light (Nur) who are Nur students. By their hands they carry torches of light. They work silently without noise. Their aim is to establish a better world for humanity, and they are active and ambitious. Their ultimate wish is to be among the winners in Paradise and to avoid hell fire. They work for the happiness of mankind. Their path is simple and clear. Their deeds prove their words, and whoever accompanies them is pleased. Their guide is the Risale-i Nur and their leader is Nursi, the reformer of his time.

He drew their path and prescribed their duties in his messages to them named (Risale-i Nur). So, what is this mission? What is its fundamental concept? And what are the requirements?

This research looks for answers to these questions from the Risale-i Nur; exploring the reasons behind it and the desired results for all humanity. I ask God to help me in doing so and to make this research of benefit. God is capable of everything.

ملخص البحث

أ. د. نجيب علي عبدالله السودي[1]

نعيش اليوم -ويعيش العالم كله- أزمات وفتن وقلاقل تقض مضاجع الجميع على اختلاف ألسنتنا وألواننا وأجناسنا ودياناتنا وأوطاننا، وينقسم الناس أمام هذه الفتن والقلاقل على قسمين:

قسم يبدأ باللوم وتحميل الآخر تبعات ما يعانيه وما يعيشه، ويدور في فلك الهجوم على الآخر ولومه، والبحث عن سقطاته وهفواته وبيان فساد مذهبه وأفعاله، لا تسمع منه إلا ضجيجا ونقدا هداما، ولا تجد منه إلا يأسا وقنوطا، يرى الغريق يوشك على الغرق وليس لديه إلا اللوم لماذا نزل وهو لا يجيد السباحة، وما أسهل اللوم، وما أيسر الهدم، وما أبسط الانتقاد والتنظير والتفلسف والضجيج، وما أصعب العمل، وما أرهق البناء وذلك لا يجيده إلا قسم آخر.

قسم يتأمل الواقع ويشخص داءه ويبحث عن الدواء لهذا الداء، ويعمل على إخراج نفسه ومجتمعه من دائرة الفتنة ومربع الهلاك وفق رؤية واضحة وخطة مدروسة، يعمل بصمت دون ضجيج أو بلبلة، مقصده واضح، وغايته محددة، يعمل بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في علمه عداء الأخرين أو التهوين من شأنهم بل لا ينشغل بهم أصلا.

هذا الصنف من البشر هم من يدون التاريخ أسماءهم وأفعالهم في صفحات من نور، لأنهم يحملون النور في أيديهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من ظلمات التعصب إلى نور التسامح، من ظلمات الكراهية إلى نور المحبة، من ظلمات اليأس إلى نور الأمل، من ظلمات الظلم إلى نور العدل. هؤلاء هم حملة النور، وهؤلاء هم طلابه الذين يحملون في أيديهم مشاعل النور، يعملون بصمت دون ضجيج، يعملون من أجل البناء، بناء عالم أفضل للإنسانية، حركتهم دؤوبة، همتهم عالية، رغبتهم الفوز بالجنة والنجاة من النار، هدفهم إسعاد البشرية، منهجهم واضح للعيان، سلوكهم لعلمهم ترجمان، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، أستاذهم في ذلك رسائل النور، ورائدهم مجدد عصره وبديع زمانه سعيد النورسي -رحمه الله-.

رسم لهم منهجهم، وحدد لهم وظيفتهم بكل وضوح في رسائله لهم المسماة ''كليات رسائل النور'' فيا ترى ما هي هذه الوظيفة؟ وما مفهومها؟ وما هي متطلباتها؟

يأتي هذا البحث ليقف مليا أمام رسائل النور محاولا استجلاء هذه الوظيفة السامية التي خطها الأستاذ، باحثا عن مفهومها، ومتطلباتها، والأسباب الداعية للقيام بها، والنتائج المرجوة منها على واقع البشرية جمعاء. أسأل الله أن يوفقني إلى القيام به، والإفادة منه وبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١. وظيفة طالب النور:

قال الأستاذ بديع الزمان النورسي: ''إخواني الأعزاء:

إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله .إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.''[2]

بهذه الكلمات ود''ع الأستاذ طلابه في درسه الأخير الذي ألقاه عليهم قبل وفاته رحمه الله، راسما لهم خارطة الطريق التي يجب أن يسيروا عليها بعد وفاته، محددا لهم وظيفتهم التي يجب أن يعملوا من أجلها ويفنوا حياتهم في سبيلها.

هذه الوظيفة التي عاش بها ولها الأستاذ طيلة حياته متحملا في سبيلها أصناف البلاء، متجملا بالصبر متقلدا الشكر، ضاربا بذلك أروع الأمثلة في السير على خطى الأنبياء في العمل الإيجابي البناء جاعلا من نفسه رحمه الله مثالا لطلابه قائلا لهم: ''أقول متخذًا من نفسي مثالاً: إنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم .وهذا ثابت بكثير من الحوادث، فمثلاً :عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر أية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبين عدم قبولي للتحكم والتسلط، إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءً بنبي الله جرجيس عليه السلام، وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد.''[3]

''علماً أن بديع الزمان لم يتحرك حركة منافية للنظام والأمن طوال حياته بل كان رائده دوماً الحركة الإيجابية البناءة قائلاً لا يجوز إضرار مئات من الناس بجريرة أفراد قلائل. ولهذا لم تحدث حادثة ولو واحدة رغم جميع المظالم التي نزلت به وبطلابه.

بل كان يحث دوماً طلابه على الصبر والثبات والاستمرار في العمل للإيمان وعدم القيام بأي عمل تخريبي.''[4] وفي سبيل القيام بالعمل الإيجابي البناء فقد تحمل الأستاذ معارضات معارضيه لوحده، ولم يفتر ولم يلن ويعلنها صريحة أنه من أجل سعيه للعمل الإيجابي البناء سيتحمل جميع المظالم والاهانات والإثارات، ولذلك نجده يقول: ''إنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم أفتر مقدار ذرة قط .ووفّقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله .فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور، فإنني أسعى بالعمل الايجابي وأتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم.''[5]

ويذهب إلى أبعد من ذلك، ويعلنها للعالم كله أنه مستعد لأن يضحي بكل ما يملك في سبيل هذا العمل، ولقد كان رحمه الله صريحا وواضحا في هذه المسألة، وكان ثابتا ثبات الجبال الرواسي، فنجده يعلن بكل وضوح وصراحة، ويقول: ''ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفُصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن احني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها.''[6]

ويقول في موضع آخر: ''فلا محيد عن العمل الإيجابي البناء وحده، إذ في يدنا نور وليس صولجان السياسة .وحتى لو كانت لنا مائة من الأيدي لكانت تكفي للنور. وإن أساس مسلكنا الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور .فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملاً إيجابياً بناءً''.[7]

وبقي إلى آخر عمره وهو يذكر طلابه ويوصيهم بالاستمرار في العمل الإيجابي البناء، ورغم كل الصعاب التي عاناها كان محبو الأستاذ يتقاطرون إلى زيارته ولا يوفّق منهم بالزيارة الاّ القليل، لشدة الترصد. وكان يتجاذب معهم الحديث حسب مستواهم الفكري والثقافي حيث كان الزائرون من طبقات الشعب كافة.. فكان حديثه مجملاً حول ''أهمية الإيمان في الوقت الحاضر وأن القصد الأساس لرسائل النور تقوية الإيمان وصد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن، وإن أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد. ولهذا يتكالب عليها الأعداء من الملحدين ويختلقون الافتراءات الظالمة والإشاعات المغرضة، فلا محيد عن العمل الإيجابي البناء وحده، إذ في يدنا نور وليس صولجان السياسة. وحتى لو كانت لنا مائة من الأيدي لكانت تكفي للنور. وإن أساس مسلكنا الإخلاص وابتغاء مرضاة الله وحده، وهذا هو مصدر قوة النور. فالعناية الإلهية تحمي خدمتنا ما دمنا مخلصين نعمل عملاً إيجابياً بناءً.''[8]

إن كل هذا الحرص من الأستاذ على التزام طلاب النور بالعمل الإيجابي البناء في حياتهم وخدمتهم الإيمانية ليسوقنا سوقا إلى التوقف أمام هذا المصطلح لمعرفة دلالته ومعناه كما خطه الاستاذ رحمه الله في كليات رسائل النور.

٢. مصطلح العمل الإيجابي البناء:

يعرف الأستاذ العمل الإيجابي البناء تعريفا دقيقا ومحددا، فيقول في: ''العمل الإيجابي البنّاء: وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً''.[9]

والمتأمل في هذا التعريف يجد أنه يسوقنا إلى معرفة معنى العمل، فالأستاذ رحمه الله يفرق بين الفعل والعمل، وهذا ما نجده في كتب اللغة كذلك، يقول الراغب الأصفهاني: ''العَمَلُ: كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات''.[10]

وقال أبو هلال العسكري: ''الفرق بين الفعل والعمل: أن العمل إيجاد الأثر في الشيء يقال فلان يعمل الطين خزفا ويعمل الخوص زنبيلا والأديم سقاء ولا يقال يفعل ذلك لأن فعل ذلك الشيء هو إيجاده على ما ذكرناه''.

وقيل: ''العمل هو عبارة عن إيجاد الأثر في الشيء ببطء مع امتداد زمان''.[11]

وخلاصة الكلام في هذا هو:

أن العمل إيجاد الأثر في الشيء، ويطلق على الآثار المعمولة في الشيء. والفعل هو إيجاد الشيء نفسه.

١. أن العمل شيء مستمر دؤوب، ولا يقال للفعل الواحد المنقضي مرة واحدة: عمل.

٢. أن العمل يعم كل ما يصدر عن الذات من فعل وانفعال، والفعل قسيم الانفعال في الحقيقة.

٣. أن العمل لا يكون إلا بقصد، والفعل قد يكون بدون قصد كفعل البهائم، ولا يقال: عمل البهائم.

والمتتبع لحياة الأستاذ رحمه الله ولحياة طلاب النور يلمس جليا أنهم يسعون إلى إنقاذ الناس وإنقاذ إيمانهم، والحفاظ على الأمن الداخلي والاستقرار الاجتماعي، وكليات رسائل النور مليئة بالشواهد، ولن نطيل الحديث في هذا الباب لأنه ليس

مجاله ولا مكانه، لكن يكفينا أن نعرف أن الأستاذ كان ينطلق هو ومعه طلابه في عملهم قاصدين وجه الله، وكان عملهم مستمرا ودؤوبا.

١. الإيجابية في رسائل النور:

كانت العمل الإيجابي هو ديدن الأستاذ في كل تصرفاته وأقواله وأفعاله، والمتتبع لرسائل النور يجد ذلك واضحا في تقسيمه للأمور والقضايا، فنجده يوضح متى يكون الأمر إيجابيا ومتى يكون سلبيا، ليبين لطلاب النور المسلك الإيجابي من المسلك السلبي في أي أمر يواجههم في حياتهم، ونأخذ على ذلك الأمثلة الآتية:

- العدالة الإيجابية والعدالة السلبية:

قال الأستاذ مبينا الفرق بين العدالة الإيجابية والعدالة السلبية: ''نعم، إن العدالة شقان أحدهما إيجابي، والآخر سلبي.

أما الإيجابي فهو: إعطاء كل ذي حق حقه. فهذا القسم من العدالة محيط وشامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجة البداهة. فكما أثبتنا في ''الحقيقة الثالثة'' بأن ما يطلبه كل شيء وما هو ضروري لوجوده وإدامة حياته التي يطلبها بلسان استعداده وبلغة حاجاته الفطرية وبلسان اضطراره من الفاطر ذي الجلال يأتيه بميزان خاص دقيق، وبمعايير ومقاييس معينة، أي أن هذا القسم من العدالة ظاهر ظهور الوجود والحياة.

أما القسم السلبي فهو: تأديب غير المحقين، أي إحقاق الحق بإنزال الجزاء والعذاب عليهم. فهذا القسم وإن كان لا يظهر بجلاء في هذه الدنيا إلا أن هنالك إشارات وأمارات تدل على هذه الحقيقة. خذ مثلاً سوطَ العذاب وصفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود بل بالأقوام المتمردة في عصرنا هذا، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها.''[12]

- جهة الإنسان الإيجابية وجهته السلبية:

حدد الأستاذ جهتي الإنسان بقوله: ''نعم، أيها الإنسانُ! إنّ فيك جهتين:

الأولى: جهةُ الإيجاد والوجودِ والخير والإيجابية والفعل.

والأخرى: جهةُ التخريب والعدم والشر والسلبية والانفعال.

فعلى اعتبار الجهة الأولى ''جهة الإيجاد'' فإنك أقلُّ شأناً من النحلة والعصفور وأضعفُ من الذبابة والعنكبوت. أما على اعتبار الجهة الثانية ''جهة التخريب'' فباستطاعتك أن تتجاوز الأرضَ والجبال والسموات، وبوسعِكَ أن تحمل على عاتقك ما أشفقن منه فتكسبَ دائرةً أوسعَ ومجالاً أفسح؛ لأنك عندما تقوم بالخير والإيجاد

فإنك تعمل على سعةِ طاقتك وبقدر جهدك وبمدى قوتك، أما إذا قمتَ بالإساءةِ والتخريب، فإن إساءتكَ تتجاوز وتستشري، وإن تخريبَك يعم وينتشر."[13]

ـ أسس مدنية القرآن الكريم الإيجابية وأسس المدنية الحاضرة السلبية:

يبين الأستاذ الفرق بين أسس بناء القرآن الكريم للمدنية، والأسس التي تقوم عليها المدنية الحاضرة في اللوامع ص ٨٥٥ فيقول: "إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها:

فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة.

هدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

دستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد. ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.

أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية:

نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء.

وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة.

دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم.

رابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف

والمهنة وأخوة الإيمان. وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية.

وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع ضد أي عدوان خارجي.''

- العمل الصالح الإيجابي والعمل الصالح السلبي:

يوضح الأستاذ أن العمل الصالح قد يظهر لنا بإحدى صورتين، فقال: ''إن العمل الصالح نوعان:

أحدهما: إيجابي واختياري.

والآخر: سلبي واضطراري. فالآلام والمصائب كلها اعمال صالحة سلبية اضطرارية، كما ورد في الحديث الشريف وفيه سلواننا وعزاؤنا.''[14]

- الحب الإيجابي والحب السلبي:

يبيّن الأستاذ الفرق بين الحب الإيجابي والحب السلبي في سياق ما كتبه عن حب آل البيت قائلا: ''إن الحب قسمان:

أحدهما: حب (بالمعنى الحرفي) وهو حب عليّ والحسن والحسين وآل البيت محبة لله وللرسول وفي سبيلهما. فهذا الحب يزيد حب الرسول ﷺ ويكون وسيلة لحب الله عز وجل فهذا الحب مشروع، لا يضر إفراطُه، لأنه لا يتجاوز الحدود ولا يستدعي ذم الغير وعداوته.

وثانيهما: حب (بالمعنى الاسمي) وهو حبهم حباً ذاتياً، ولأجلهم، أي حب عليّ من أجل شجاعته وكماله، وحب الحسن والحسين من أجل فضائلهما ومزاياهما الكاملة فحسب، من غير تذكّر للنبي ﷺ، حتى أن منهم من يحبهم ولو لم يعرف الله ورسوله. فهذا الحب لا يكون وسيلةً لحب الله ورسوله. وإذا ما كان في هذا الحب إفراط فإنه سيفضي إلى ذم الغير وعداوته.

وهكذا أفرط منهم -كما ذكر في الحديث الشريف- في الحب لعليّ وتبرأوا من أبي بكر وعمر، فوقعوا في خسارة عظيمة. فكان هذا الحب السلبي -غير الايجابي- سبباً لخسارتهم''.[15]

- الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي:

ذكر الأستاذ معرض بيان الفرق بين الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي ما ينتفع به في الدراسة التفصيلية لمصطلح الإيجابية، فقال: ''إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البنّاء المثبت. ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج

مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء.''[16]

- القومية الإيجابية والقومية السلبية:

كتب الأستاذ عن الفكر القومي الذي ظهر، وعن تأثيره في واقع الأمة، ثم يبين بوضوح الجوانب الإيجابية في القومية والسلبية كذلك، فذكر في المكتوب السادس والعشرون: ''ولكن القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع.

أما القومية الإيجابية فنابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية.

هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلاً عنه''.[17]

- الحركة الإيجابية والحركة السلبية:

كانت حياة الأستاذ مبنية على الحركة الإيجابية في مواجهة الصعاب، لكنه يذكر في المكتوب التاسع والعشرون أن دفع الموانع قد يسوق المرء إلى الحركة السلبية، فقال: ''نحن لا نتحرك في خدمتنا المقدسة إلاّ حركة إيجابية، ولكن دفع الموانع التي تعيق كل أمر من أمور الخير، يسوقنا أحياناً إلى حركة سلبية مع الأسف.''[18]

- النتيجة الإيجابية والنتيجة السلبية:

وما زال الأستاذ يدل طلاب النور على التمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي حتى على مستوى المنطق، فنجده يقول في اللمعة الحادية عشرة: ''ويرد مثالا للنتيجة الايجابية: طلعت الشمس فالنهار اذاً موجود. ويرد مثالا للنتيجة السلبية: لا نهار فالشمس اذاً لم تطلع. فهاتان النتيجتان -الايجابية والسلبية- ثابتتان وقاطعتان في المنطق''.[19]

- العبادة الإيجابية والعبادة السلبية:

يذكر الأستاذ في اللمعة الخامسة والعشرون في معرض حديثه عن أدوية البلاء والمصائب أن العبادة تنقسم إلى قسمين فيقول: ''ذلك لأن العبادة قسمان:

الأولى: العبادة الإيجابية المتجسّدة في إقامة الصلاة والدعاء وأمثالها.

الثانية: العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجأً إلى خالقه الرحيم مستجيراً به متوسلاً إليه، منطلقاً من أحاسيسه التي تُشعره بعجزه وضعفه أمام تلك الأمراض والمصائب. فينال بذلك التضرع عبادةً معنوية خالصة متجردة من كل أنواع الرياء.''[20]

- الرغبات الإيجابية والرغبات السلبية :

يتحدث الأستاذ في الشعاع الثاني عن ثمرات التوحيد، ويذكر أن من ثمرات التوحيد أن يصبح الإنسان صاحب كمال عظيم بين المخلوقات، ويبين سبب ذلك ذاكرا أن في الإنسان رغبات إيجابية ورغبات سلبية لا يحققها له إلا من بيده مقاليد الأمور: ''ففي الانسان الوف من الرغبات الايجابية والسلبية امثال هذه الرغبة، رغبة البقاء. تلك الرغبات ممتدة الى جهة الابد والخلود ومنتشرة في اقطار العالم كله. فالذي يُطمئن هذه الرغبات ويضمد جرحي الانسان الغائرين، العجز والفقر، ليس الاّ الواحد الأحد الذي بيده مقاليد كل شيء''.[21]

- الشعور القومي الإيجابي والشعور القومي السلبي:

يتحدث الأستاذ رحمه الله عن نمو الشعور القومي لدى الإنسان، ويميز بين النمو الإيجابي المطلوب، والنمو السلبي المرفوض، فيقول في السانحات: ''فنمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً:

فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف.

أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند. والإسلام يرفض هذا الأخير.''[22]

- التيار الإيجابي والتيار السلبي:

يتحدث الأستاذ عن السياسة الحاضرة القادمة من أوروبا، وتأثيرها في إيجاد تيارين قادمين، فيقول في السانحات: ''فمادام المنبع في أوروبا فالتيار القادم إما سيكون تياراً سلبياً أو إيجابياً:

فالذين يتبعون السلبي هم كالحرف الذي يعرّف ''دلّ على معنى في نفس غيره، أو لا يدل على معنى في نفسه'' بمعنى أن جميع أفعاله ستكون لصالح الخارج مباشرة.

لأن إرادته لا حكم لها. فلا تنفعه النية الخالصة. ولاسيما التيار سلبي فيكون أداة لا تعقل للخارج بضعف من جهتين.

أما التيار الآخر الإيجابي فيلبس لبوس التأييد والموافقة من الداخل، فهو كالاسم الذي يعرّف ''دلّ على معنى في نفسه''. فأفعاله لنفسه، ولكن ما يترتب عليها للخارج. إلاّ أنه لا يؤاخذ عليه لأن لازم المذهب ليس مذهباً. ولا سيما إذا انضم بجهتين إلى الإيجابي والضعيف في التيار الخارجي، فيمكن أن يجعل الخارجَ أداةً له لا تشعر.''[23]

- الأمور الإيجابية والأمور السلبية:

يصنف الأستاذ الأمور كما هي عادته إلى إيجابية وسلبية، ويميز بينها ويضرب على ذلك أمثلة لتتضح لطلاب النور فيكون مسلكهم الأمور الإيجابية، ويبتعدون عن الأمور السلبية، فيقول رحمه الله: ''بينما الحقيقة هي وجوب توزيع الأمور الإيجابية والحسنات والأفضال على الجماعة وعلى الجيش، أما الأمور السلبية والتقصيرات والتخريبات فيجب توجيهها إلى القيادة وإلى الرأس المدبر وإلى الممسك بزمام الأمور. ذلك لأن وجود أي شيء لا يتحقق إلا بتحقق جميع شرائطه وأركان وجوده، والقائد هنا شرط واحد فقط من هذه الشروط. أما انتفاء أي شيء وفساده فيكفي له عدم وجود شرط واحد أو فساد ركن واحد فقط. لذا يمكن عزو ذلك الفساد إلى الرأس المدبر وإلى الرئيس''.[24]

مرتكزات العمل الإيجابي:

يحدد الأستاذ رحمه الله مرتكزات معينة يقوم عليها العمل الإيجابي البناء، يجب على طالب النور الالتزام بها بل والحرص عليها، وتتمثل في الآتي:

- الإخلاص:

ينادي الاستاذ إخوانه وطلابه بأعلى صوته، مبينا لهم أهمية الإخلاص ويقول لهم في اللمعة الحادية والعشرون: ''يا أخوة الآخرة! ويا أصحابي في خدمة القرآن :اعلموا – وأنتم تعلمون– أن الإخلاص في الأعمال ولا سيما الأخروية منها، هو أهم أساس، وأعظم قوة، وأرجى شفيع، وأثبت مرتكز، وأقصر طريق للحقيقة، وأبرّ دعاء معنوي، وأكرم وسيلة للمقاصد، وأسمى خصلة، وأصفى عبودية.''[25]

ويكرر مناداته لهم مرة أخرى، دالا لهم على الأمور المهمة والدروب العظيمة، ناصحا لهم بالاستناد إلى الإخلاص، واجتناب ما يقدح فيه، وعدم الوثوق بالنفس الأمارة، قائلا: ''فيا أخوتي! إن الأمور المهمة للخير والدروب العظيمة للصلاح، تعترضها موانع وعقبات مضرة كثيرة .فالشياطين يكدون أنفسهم ويجهدونها مع خدام تلك الدعوة المقدسة، لذا ينبغي الاستناد إلى الإخلاص والاطمئنان إليه، لدفع تلك

الموانع وصد تلك الشياطين .فاجتنبوا -يا أخوتي- الأسباب التي تقدح بالإخلاص وتثلمه كما تجتنبون العقارب والحيات .فلا وثوق بالنفس الأمارة ولا اعتماد عليها قط.''[26]

وغيرها الكثير من النصوص والرسائل التي كتبها الأستاذ لطلابه يأمرهم فيها بالإخلاص في العمل، وعدم النظر في النتائج، ومن يرد أن يستزيد في هذا الموضوع فعليه بالرسائل ففيها بغيته.

- الإيمان:

يوضح الأستاذ رحمه الله أن الدين لا يقوم على جزء واحد هو العمل أو الإيمان بل لابد من وجود الأمرين معا ليكتمل للمرء دينه، ويبين أن رسائل النور تقوم بهذه المهمة، فيقول في الشعاع الثاني عشر ص٣٣٨: ''إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين، فهل يكفي الخوف من السجن أو من شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفو الكبائر عن الجرائم التي تسمم الحياة الاجتماعية كالقتل والزنا والسرقة والقمار ويمتنعوا عنها؟ إذن يستلزم أن نخصص لكل شخص شرطياً مراقباً لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيها وتبتعد عن هذه القذارات. ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الايمان، وعندما يتذكر الانسان سجن جهنم والغضب الإلهي فانه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة.''

ويقول في تقرير هذه المعاني: ''اعلم! أن الأهم الألزم بعد علوم الإيمان، إنما هو العمل الصالح؛ إذ القرآن الحكيم يقول على الدوام: (الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات).''[27]

- التقوى:

يخاطب الأستاذ إخوانه الأوفياء قائلا: ''اخوتي الاعزاء الاوفياء! لقد فكرت -في هذه الايام- في أسس التقوى والعمل الصالح، اللذين هما اعظم اساسين في نظر القرآن الكريم بعد الايمان.''[28]

ثم يعرف لهم التقوى والعمل الصالح فيقول: ''فالتقوى: هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات. والعمل الصالح: هو فعل المأمور لكسب الخيرات.''[29]

و يذكر لهم رحمه الله أن التقوى من أهم الاسس التي يجب على طالب النور الارتكاز عليها إذا ما أراد النجاة، فيقول: ''إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدام القرآن الكريم، في هذا الوقت هي:

اتخاذ التقوى أساساً في الأعمال كلها، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم والآثام المحيطة بهم، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة، فالتقوى هي التي تجعل -دون ريب- الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة، وذلك باجتنابه تلك المحرمات.''[30]

- التكمل بالعلم:

من أهم مرتكزات العمل الإيجابي البناء أن يعمل الإنسان على علم، ولذلك نجد الأستاذ يشير إلى أن وظيفة الإنسان الفطرية هي التكمل بالتعلم فيقول في الكلمة الثالثة والعشرين ما نصه: ''إن وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمل ''بالتعلم'' أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة، والعبودية ''بالدعاء''.[31]

مظاهر العمل الإيجابي البناء:

للعمل الإيجابي مظاهر يظهر من خلالها، وقد كان الأستاذ رحمه الله حريصا كل الحرص على بيان هذه المظاهر لطلابه حتى يلتزموا بها ففرق شاسع بين التنظير والتطبيق، والأستاذ يركز على مسألة التطبيق العملي في حياة طالب النور، والالتزام بكل مظاهر العمل الايجابي البناء، والتي يمكننا ابرازها من خلال رسائل النور على النحو الآتي:

- حصر مقصد العمل في انقاذ الايمان:

يحصر الأستاذ مقصد طالب النور في انقاذ الإيمان، نجد ذلك مذكورا في السيرة الذاتية حيث يقول رحمه الله: ''إن القصد الأساس لرسائل النور تقوية الإيمان وصد الإلحاد الذي يهدد الأمة والوطن، وإن أهم قضية في الوقت الحاضر إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد. ولهذا يتكالب عليها الأعداء من الملحدين ويختلقون الافتراءات الظالمة والإشاعات المغرضة، فلا محيد عن العمل الإيجابي البناء وحده، إذ في يدنا نور وليس صولجان السياسة . وحتى لو كانت لنا مائة من الأيدي لكانت تكفي للنور.''[32]

- التعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية:

من المظاهر الأساسية للعمل الايجابي البناء أن طالب النور ينخرط في الحياة الاجتماعية ويكون جزء من المجتمع ويسير وفق قانون التعاون، ينادي الاستاذ طلابه إلى ضرورة ذلك ضاربا لهم الأمثلة قائلا: ''إنكم يا إخوتي بمثابة مولدات الكهرباء التي تمدّ الضوء إلى بلد عظيم وليس إلى اسپارطة وحدها، فدواليب الماكينة مضطرة إلى

التعاون فيما بينها .فإن كلاً من تلك الدواليب -ناهيك عن الغيرة والاستياء- تجد الراحة مما تكسبه من القوة الفائقة التي تمتلكها الدواليب الأخرى حيث انها تخفف عنه عبء الوظيفة.''[33]

ويذكر لهم أن الأنسان بحاجة ماسة إلى التعاون فيقول في الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٥٤: ''أما الانسانُ فعلى العكس من ذلك تماماً، فهو عندما يَقدم الى الدنيا يقدِمُها وهو محتاجٌ الى تعلّم كل شئ وادراكه؛ اذ هو جاهلٌ بقوانين الحياة كافة جهلاً مطبقاً، حتى إنه قد لا يستوعب شرائطَ حياته خلال عشرين سنة. بل قد يبقى محتاجاً الى التعلم والتفهم مدى عمره. فضلاً عن أنه يُبعث الى الحياة وهو في غاية الضَعف والعَجز حتى إنه لا يتمكن من القيام منتصباً الاّ بعد سنتين من عمره، ولا يكاد يميّز النفَع من الضرّ الا بعد خمس عشرة سنة، ولا يمكنه أن يحقّق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلاّ بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية. ''ويشير رحمه الله أن الإنسان الإيجابي هو ذلك الإنسان الذي ينتعش بنمو الشفقة على بني جنسه، يقول: ''فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع الى التعاون والتعارف.''[34] وغيرها الكثير من النصوص التي لا يتسع المقام لذكرها هنا، فنكتفي بهذا القدر.

- عدم التهاون في الدين:

يشير الأستاذ إلى أن العمل الإيجابي البناء يقتضي عدم التهاون في الدين، وأنه ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، فيقول في تأكيد هذا المعنى: ''ليس بالإمكان القيام بعمل ايجابي بنّاء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور واوشكت الحضارة الاوربية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهيار .أما القيام بعمل سلبي فليس الاسلام بحاجة اليه، كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب.''[35]

- عدم التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله:

ينصح الأستاذ طلاب النور بترك مآلات الأمور إلى الله، وعدم التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله، فيقول: ''إن وظيفتنا هي العمل الايجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الالهي دون التدخل بما هو موكول امره إلى الله. اننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا''،[36] ويذكر لهم مثالا من شخصه في مواجهة المعاملات الشائنة بقوله: ''إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الايجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخل بما

هو موكول أمره إلى الله بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءً بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد.''[37]

- عدم استعمال القوة في الداخل:

يشير الأستاذ أن على طالب النور ألا يستخدم جهاده داخل مجتمعه، وإنما يجب عليه أن يقف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، تستشف هذه المعاني من قوله: ''ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام .إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل''.[38] ويبين لهم أن طلاب النور لا يستخدمون قوتهم في الداخل فيقول: ''ولهذا فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في الداخل''.[39]

- الابتعاد عن الخلاف والنزاع:

يوصي الأستاذ طلابه بالابتعاد عن التنازع والخلاف ويبين لهم السبب في المكتوب الثاني والعشرون، فيقول: ''حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل ايجابي بناء.''[40]

- عدم مهاجمة العلماء الذين ركنوا للبدعة:

يوصي الأستاذ إخوانه طلاب النور بعدم مهاجمة العلماء الذين ركنوا للبدعة فيقول لهم: ''إخواني! لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض إلجاءات العصر ضرورة، وركنوا إلى البدع .لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة، بدون علم وعملوا وفقها .ولهذا فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في الداخل ''

- عدم التحرش بالمناوئين:

كما يوصي الأستاذ رحمه الله طلابه وإخوانه بعدم التحرش بالمعارضين حتى ولو كانوا من العلماء الأئمة قائلا: ''فلا تتحرشوا بهم وان كان المعارضون لنا من العلماء الائمة .انني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط.''[41]

- عدم الالتفات إلى الدنيا:

يذكر الأستاذ أن حملة النور وطلابه لا يلتفتون للدنيا لأن وجهتهم أخروية، فإن نظروا إلى الدنيا فإنما ينظروا إليها سعيا في معاونة الآخرين في تأمين الأمن الداخلي، يقرر هذا الأمر بقوله:'' اننا لا نلتفت إلى الدنيا، فاذا ما نظرنا اليها فنحن لا نسعى سوى معاونتهم فيها .فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل ايجابي. وبسبب هذه الحقائق وامثالها نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم.''[42]

- التجاوز عن الهجوم على أخطاء المخطئين:

من متطلبات العمل الإيجابي البناء التجاوز عن الهجوم على أخطاء المخطئين، ولذلك يوصي الأستاذ أخوته من طلاب النور بالتزام ذلك، يشهده لهذه المعاني قوله: ''إخواني !إن مرضي قد اشتد كثيراً. ولعلي أتوفى قريباً، أو أمنع من المكالمة كلياً - كما كنت أمنع أحياناً منها - لذا فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين .وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً .لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا . ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر.''[43]

- عدم مس السياسيين بضرر:

يوصي الأستاذ دائما طلاب النور بالابتعاد عن السياسة، ومنافسة السياسيين في أمور الدنيا، بل ويوصي بمسامحتهم، وعدم مسهم بسوء ما داموا لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل يسعى طلاب النور إلى نفع هؤلاء السياسيين الذين لا يقترفون سوءا في حق رسائل النور، فيقول رحمه الله: ''ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً. لذا انظروا اليهم كـ 'أهون الشرين' ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم.''[44]

الهدف والغاية من العمل الإيجابي البناء:

يحدد الأستاذ في رسائله لطلاب النور الهدف والغاية والثمرة التي تتحقق من عملهم بإيجابية، فيخاطبهم بقوله: ''إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.''[45]

لقد كان الأستاذ رحمه الله واضحا كل الوضوح في أن طلاب النور يقومون بالعمل الإيجابي البناء بكل ما أوتوا من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي، ولذلك لم تحدث أي حادثة سلبية تحسب على طلاب النور: ''فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي.''[46]

والتاريخ يذكر ويشهد بملئ فيه أن طلاب النور في أي مكان وفي أي زمان كانوا ركيزة من ركائز الأمن، ولم تسجل على طالب نور حقيقي أي حادثة مخلة بالأمن، وأي حادثة أيا كانت تكون مخلة بالأمن تحدث من أي منتسب لرسائل النور لا تمثل

رسائل النور أو طلاب النور بأي حال من الأحوال، وإنما تمثل شخصه وفرده ورسائل النور وطلاب النور منه براء.

والله شاهد على ذلك، ووصايا الأستاذ دالة عليه، وأخلاق طلاب النور أكبر برهان، والواقع أنصع بيان.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يجدر بنا الإشارة إلى جملة من القضايا المهمة، وهي:

١. ليس للأمة مخرج مما هي فيه اليوم إلا بالتزامها بالإيمان التحقيقي.

٢. لن يتحقق الإيمان في حياة الأمة إلا بالعودة إلى القرآن الكريم.

٣. خير وسيلة لفهم القرآن الكريم، والوصول إلى مرتبة الإيمان التحقيقي تكون من خلال كليات رسائل النور.

٤. لنشر أسس وقواعد رسائل النور لابد من العمل الإيجابي البناء، وتجنب العمل السلبي الهدام.

٥. العمل الإيجابي البناء هو منهج رسائل النور، ووظيفة طلابها.

٦. مؤلف رسائل النور وطلابه هم أبرز الأمثلة وأروعها في مجال الالتزام بالعمل الإيجابي البناء.

٧. طالب النور من خلال عمله الإيجابي البناء يسعى لتأمين الأمن الداخلي للأمة.

٨. أي نشاط أو عمل سلبي هدام يهدد الأمن الداخلي للأمة لا يمثل رسائل النور ولا يمثل طلابها.

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئيه، وأن يجعله في ميزان حسناتنا أجمعين.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل...

قائمة المصادر والمراجع:

١. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣- ٢٠٠٣

٢. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣- ٢٠٠٣

٣. اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣-٢٠٠٣
٤. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣-٢٠٠٣
٥. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر - القاهرة- ط٣-٢٠٠٣
٦. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣-٢٠٠٣
٧. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر -القاهرة- ط٣-٢٠٠٣

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ اللغويات جامعة تعز، اليمن.
[2] سيرة ذاتية - ص: ٤٦٩.
[3] سيرة ذاتية - ص: ٤٦٩.
[4] سيرة ذاتية – ص ٢٥١.
[5] سيرة ذاتية – ص ٤٧١.
[6] سيرة ذاتية – ص ٤٧٣.
[7] سيرة ذاتية – ص ٣٦٤.
[8] سيرة ذاتية – ص ٣٦٤.
[9] اللمعات ٢٢٨.
[10] المفردات في غريب القرآن ص ٥٨٧.
[11] الفروق اللغوية ص ١٣٤-١٣٥.
[12] الكلمات ص ٩١.
[13] الكلمات ص ٣٦٠.
[14] اللوامع ص ٨٥٩.
[15] الكلمات ص .١٣٨.
[16] الكلمات ص ٣٧٤.
[17] المكتوبات ٤١٥.
[18] المكتوبات ص ٥٤١.
[19] اللمعات ص ٨٥.
[20] اللمعات ص ٣١٦.
[21] الشعاعات ص ١٩.
[22] صيقل الإسلام ص ٣٦٥.
[23] صيقل الإسلام ص ٣٦١.
[24] السيرة الذاتية ص ١٨٩.
[25] اللمعات ص ٢٤١.
[26] اللمعات ص ٢٤٢.
[27] المثنوي ص ٢١٦.
[28] الملاحق ص ١٦٨.
[29] المصدر تفسه ص ١٦٨.
[30] الملاحق ص ١٦٩.
[31] الكلمات ٣٦٥.
[32] سيرة ذاتية – ص ٣٦٤.
[33] سيرة ذاتية ص ٢٤٨.
[34] صيقل لٌسلام ٣٣٥.
[35] المثنوي العربي النوري ص٢٠٢.
[36] سيرة ذاتية ص ٤٦٩.
[37] سيرة ذاتية ص ٤٦٩.

[38] سيرة ذاتية ص ٤٧٠.
[39] سيرة ذاتية ص ٤٧١.
[40] المكتوبات ص ٣٤٧.
[41] سيرة ذاتية ص ٤٧١.
[42] سيرة ذاتية ص ٤٧١.
[43] سيرة ذاتية ص ٤٧٣.
[44] المصدر نفسه ص ٤٧٣.
[45] سيرة ذاتية ص ٤٦٩.
[46] سيرة ذاتية ص ٤٧٠.

الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في بناء عالم أفضل من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي

Positivism and the Aims of Worship and its Role in Building a Virtuous World According to Bediuzzaman Said Nursi's Risale-i Nur

ABSTRACT

Dr. Yusuf Fawazi

This article focuses on positivity in the purposes of worship and their role in rectifying the reality of the nation in the light of Risale-i Nur. The writer defines positive action and its centrality within Risale-i Nur, first. Then, he explains how Nursi emphasized on purification of the hearts of his students and all readers of his books in the light of the holy Qur'an and prophetic tradition. Nursi also tried to eliminate negativity from hearts and minds, and replace it with positivity, following in this act the example of the prophet Muhammed who had transformed hearts and lives of his noble companions.

Positive action, as defined by the writer, is the act that has a positive impact on our worldly and religious deeds and words, in other words, it is the act that corrects the path of individual and society and changes their look to the other, and transforms negativity of man who ruins earth by his misconduct to a positive productive human being, who is worthy of fulfilling the mission of khalifah or vicegerent on earth.

Then, the author elaborates on positive acts in the purposes of worship in the light of Risale-i Nur, exploring the wisdom of prescribing these types of worship. For example, positivity in standing in prayer is demonstrating the unity of the Muslim community. Thus, prayer has the utmost importance in Islam to emphasize unity. The wolf eats only the sheep that stray from the flock.

Positivity in Zakat, obligatory charity is clear as it is a positive act to serve individual and community as it leads to cohesion and solidarity because of the harmony achieved between the rich and the poor. And positivity in fasting lies in the relationship between human being as a servant of God and God as his Lord. In addition to that, it is a valuable chance for solidarity between the rich and the poor. Positivity in Hajj, pilgrimage, is to achieve the unity of the nation. Hajj is a great Islamic meeting that strengthens bonds between Muslims, and unites them. So, they become closer to each other in minds and efforts.

ملخص البحث

الدكتور يوسف فاوزي[1]

ركزت هذه المقالة على بيان الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في تصحيح واقع الأمة من خلال رسائل النور، فقام الكاتب أولا بتعريف العمل الإيجابي والمقصود منه ومركزيته في رسائل النور؛ حيث ركز الأستاذ في رسائله كافة جهوده على تهذيب نفوس طلابه وكل قارئي الرسائل وفق منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، وحاول نزع السلبية وزرع الإيجابية مكانها في القلوب والعقول والأرواح، متخذا مسلك النبوة في تغيير نفوس الصحابة الكرام.

والعمل الإيجابي كما يعرفه الكاتب هو الفعل المحمود الأثر في أفعالنا وأقوالنا دنيوية كانت أو دينية، وهو ذلك العمل الذي يصحح مسار الفرد والمجتمع ويغير نظرته نحو الآخرين ويحول الإنسان من إنسان سلبي يعيث في الأرض فسادا إلى إنسان سوي إيجابي العمل والأثر تحقيقا لمهمة الاستخلاف في الأرض.

ثم ركز الكاتب اهتمامه بالعمل الإيجابي في مقاصد العبادات في الرسائل من خلال الحكمة من تلك العبادات: فالإيجابية في مقصد الصلاة هي إيجابية وحدة الأمة ووقوفها موقف الرجل الواحد، فصلاة الجماعة في رسائل النور هي وحدة الأمة، ومن هنا وجب الحرص عليها لتحقيق هذه الوحدة بدل سلبية التفرق، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. والإيجابية في مقصد عبادة الزكاة هي تلك الأعمال الإيجابية التي تخدم الفرد والمجتمع، من حيث تؤدي إلى تماسكه وتضامنه بسبب الانسجام المتبادل بين الأغنياء والفقراء. والإيجابية في مقصد الصيام أولها علاقة العبد مع ربه ومن الناحية الاجتماعية، فهو فرصة عظيمة لعمل إيجابي عظيم، ألا وهو تضامن أغنياء الأمة مع فقرائها. والإيجابية في مقصد الحج هي تحقيق وحدة الأمة باعتباره مؤتمر إسلامي عظيم من شأنه أن يقوي الجامعة الإسلامية، ويجعل الأمة على قلب رجل واحد، إذ الحج يتضمن توحيد الأفكار وتشريك المساعي.

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا، أما بعد:

لقد هيأ الله لهذه الأمة رجالا أفذاذا، تكفلوا بحراسة معالم الدين، والذب عن

حياض الشريعة الغراء، وإحياء معالمها، وهداية الحيارى إلى رياضها، وبث الأمل في النفوس اليائسة في عالم كثرت فيه المدلهمات الباعثة على اليأس والقنوط، فكانوا رفقاء درب الرسل والأنبياء، جاهدوا جهاد الكلمة والقلم، فكتب الله لكم القبول في الدارين أمارة من أمارات حسن النية والصدق مع الله.

ومن بين أولئكم المجاهدين الأستاذ المجدد بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، الذي خلد رسائل غاية في النفاسة هي بحق رسائل نور تضيء معالم الطريق في ظلمات ليل حالك، تشخص أمراض النفوس والقلوب، وتصف دواءها من معين الكتاب والسنة وشرائع الإسلام وسيرة المصطفى ﷺ، ويزيد من نفاسة هذه الرسائل أنها حوت جل العلوم الإسلامية بطريقة ألصق بواقع المسلمين اليوم، فكان سؤال الإصلاح سؤالها المحوري عليه دارت الرسائل كلها.

وقع اختياري على موضوع ''العمل الإيجابي في مقاصد العبادات ودوره في بناء عالم أفضل من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي''، وهو موضوع مرتبط بمحور العلوم الإسلامية تخصص الفقه، راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يكتب له التوفيق والقبول.

القيمة المضافة في البحث:

يمكننا هذا البحث بتوفيق من الله إعادة قراءة كثير من الظواهر السلبية في حياتنا اليوم على ضوء رسائل النور، مركزة على الجانب المقاصدي للشعائر التعبدية في الإسلام، وكيف لها أن ترقى بالنفس البشرية من دركات الظلم إلى درجات النور والرقي، وإبراز إسهام رسائل النور في تصحيح التصور التعبدي في أذهان كثير من الناس، لتكون عباداتنا ذات بعد إيجابي في حياتنا.

إشكالية البحث:

يضع البحث أمامه الإشكالات التالية محاولا الإجابة عنها في ثنايا العرض:

المقصود بالعمل الإيجابي؟

وهل تمكنت رسائل النور من بيان الإيجابية في مقاصد الشعائر الإسلامية؟

وهل يمكن لهذه الإيجابية أن تبني عالما أفضل في حياتنا اليومية؟

وإلى أي مدى يمكن اعتماد رؤية رسائل النور للعمل الإيجابي في مقاصد العبادات ضمن مشروع أكاديمي لتكوين الطلاب الجامعيين ليكونوا دعاة في هذا الصدد؟

وقد آثر الباحث عرض عناصر الورقة في المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بمفهوم ''العمل الإيجابي''، ومركزيته في رسائل النور.

المبحث الثاني: العمل الإيجابي في مقاصد العبادات في رسائل النور.

المبحث الثالث: دور العمل الإيجابي لمقاصد العبادات في رسائل النور في بناء عالم أفضل.

المبحث الأول: التعريف بمفهوم "العمل الإيجابي"، ومركزيته في رسائل النور:

كرست رسائل النور جهودها طوال عقود من الزمن مذ اللحظة التي دبجتها فيها يراع الأستاذ المصلح بديع الزمان النورسي إلى تهذيب النفوس وتخليتها من الرواسب السلبية وفق منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، هذا الكتاب المعجز الذي ربى به المصطفى ﷺ صحابته الكرام الذين كانوا قبل ذلك أبناء مجتمع جاهلي طغت عليه السلبية في كثير من مناحي الحياة، فنتجت عن تربية القرآن الإيجابية لهم أن غدوا سادة الدنيا.

وقبل بيان مركزية الدعوة للعمل الإيجابي في رسائل النور، يجدر بنا أن نعرف أولا ما المقصود بالعمل الإيجابي؟

يتكون هذا المصطلح -العمل الإيجابي- من كلمتين، نعرف كل واحدة على حدة، ثم مخلص إلى تعريف عام له.

- تعريف مصطلح "العمل":

يقول ابن فارس: (عمل) العين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل)،[2] فهو يدل على المهنة والفعل والجمع أعمال.[3]

وتقول العرب رَجُلٌ (عَمِلٌ) بكسر الميم أي مطبوع على العمل،[4] كما ترد في لغة العرب كلمات أخرى لها معان مختلفة، فالعُمالة بالضم: رزق العامل،[5] واليَعْمَلَةُ الناقة النجيبة المطبوعة على العمل،[6] والعامل في الصدقة الذي يسعى في جمعها،[7] إلى غير ذلك من الكلمات الدالة على الحركية والفعل.

نخلص من هذه المعاني إلى أن المقصود من مصطلح "العمل" هو الفعل الناتج عن إرادة معينة، تسعى إلى تحقيق هدف محدد، بغض النظر عن نوعية هذا الهدف هل محمود أو مكروه، إيجابيا كان أو مكروها.

- تعريف مصطلح "الإيجابي":

وجدت عند مراجعة للقواميس اللغوية أنّ "الإيجاب" هو الأمر اللازم المتحتم الواجب إتيانه وامتثاله،[8] وهو مصطلح يرد كثيرا في كلام الفقهاء والأصوليين للدلالة على كون الفعل واجب إتيانه من لدن المكلف لا تخيير فيه.[9]

ثم شاع استعمال المصطلح في الدلالة على الخيرية في العمل، عكسه السلبي، ومنه رجل إيجابي في مشاريعه أي يتخذ خطوات ناجحة فيها،[10] وفي المجال الدبلوماسي يقال: اتخذت هذه الدولة الحياد الإيجابي أي عدم الوقوف بجانب أي طرف من الأطراف المتصارعة.[11]

كما نعبر عن النجاح بقولنا: كانت النتائج إيجابية، وفي الارتياح لسلامة صحتنا أو صحة غيرنا: كانت نتائج التحاليل الطبية إيجابية، ولو كان العكس لقلنا سلبية.

وعليه يمكن الخلوص إلى تعريف مصطلح ''الإيجابي'' بأنه: الهدف أو المقصد المحمود الطيب الأثر، فيتميز عن الآثار والنتائج السلبية الغير المرغوب فيها.

- تعريف مصطلح ''العمل الإيجابي'' باعتباره لقبا:

بعد تعريفنا بالمصطلحين (العمل/الإيجابي) كلّ على حدة، خلصت إلى تعريف المصطلح المركب ''العمل الإيجابي'' باعتباره لقبا، فانتهيت إلى أنّ: (العمل الإيجابي هو الفعل المحمود الأثر في أفعالنا وأقوالنا دنيوية كانت أو دينية)، وهذا تعريف اجتهادي قابل للفحص والمراجعة.

- ''العمل الإيجابي'' ومركزيته في رسائل النور:

حمل الأستاذ المجدد بديع الزمان النورسي هم الإصلاح في مجتمع تكالب عليه أعداء الإسلام، فعملوا على نشر القيم الهدامة المبعدة عن طريق الله، فكانت رسائل النور مصححة لرؤية ومسار لفرد والمجتمع، وسعت إلى إسعافه للتحوّل من إنسان سلبي يعيث في الأرض فسادا إلى إنسان سوي إيجابي العمل والأثر تحقيقا لمهمة الاستخلاف في الأرض.

وظلت قضية العمل الإيجابي شغل الأستاذ النورسي الشاغل منذ دخوله في طور سعيد الجديد إلى وفاته رحمه الله، فقال في درسه الأخير الذي ألقاه على طلبته:

''إخواني الأعزاء إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله''.[12]

كما أكّد (رحمه الله) على أنّ النفس البشرية يتقاسمها جهتان:

جهة الإيجاب وجهة السلب، يشهد لها قوله: ''نعم أيها الإنسان إن فيك جهتين: الأولى جهة الإيجاد والوجود والخير والإيجابية والفعل، والأخرى جهة التخريب والعدم والشر والسلبية والانفعال''.[13]

بل يمكننا القول إن رسائل النور برمتها من أولها إلى آخرها هي دعوة للإيجابية، في سلوكيات النفس، وذلك كما يتجلى في موقف المسلم من متغيرات الحياة، في علاقته مع غيره ومع ربه، في عباداته، في تأسيه بنبيه ﷺ.

وتخلص رسائل النور إلى أن منفذ النجاة للنفس البشرية هو العمل الإيجابي دون غيره، قال الأستاذ رحمه الله: ''وإذا كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقا ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون أثرا بعد عين، والعلاج الوحيد لهذه الحالة والحيلولة دون رؤية نتيجتها الوخيمة هو في تسعة أمور آتية -منها-:

''العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا''.[14]

أسست مركزية العمل الإيجابي في رسائل النور لضرورة استيعاب دراسة كل جوانب حياتنا، ومن هذه الجوانب الجانب المقاصدي للعبادات، العبادات التي إن استحضرنا مقاصدها غدت أعمالا إيجابية الأثر والمآل، وفيما يلي عرض لهذا الجانب.

المبحث الثاني: العمل الإيجابي في مقاصد العبادات في رسائل النور:

العمل الإيجابي في الحكمة من العبادة:

يتطرق الأستاذ النورسي رحمه الله في رسائله إلى مسألة يراها ممهدة لما سيأتي بعدها من الكلام عن مقاصد العبادات، وهي ما الهدف والغاية من هذه العبادة التي كلف بها العبد؟ وهل هي في حد ذاتها إيجابية؟، يجيبنا الأستاذ النورسي رحمه الله عن هذا السؤال وفي سياق عرض معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾،[البقرة:٢١] ببيانه أن العبادة تجارة عظمى وسعادة كبرى، وأن الفسق والسفه خسارة جسيمة وهلاك محقق،[15] مدللا على ذلك بقصة طريفة لجنديين مسافرين، حمل كل منهما حقيبته وسلاحه، فسلك أحدهما طريق النظام -الجندية- فنجا، أما الآخر فتمرّد وترك الجندية فهلك، ليخلص إلى حقيقة مفادها: ''أن ذينك المسافرين أحدهما أولئك المستسلمون المطيعون للقانون الإلهي، والآخر هم العصاة المتبعون للأهواء، وأما ذلك الطريق فهو طريق الحياة الذي يأتي من عالم الأرواح ويمر من القبر المؤدي إلى عالم الآخرة، ...والحقيبة والسلاح فهما التقوى والعبادة''.[16]

فإذا سلك العبد طريق العبودية لله نجا، لأنه سائر في طريق يحكمه القانون والنظام، إذ يستشعر نفسه عبدا لله، بخلاف ما لو تمرد وسلط طريق الجحود لكانت رحلته

ضياعا في ضياع، والنظام كله عمل إيجابي يزيد من المردودية الحسنى للعمل بخلاف الفوضى والتسيب، بل إن هناك إيجابية أخرى في العبودية لله هي ضالة الإنسان على وجه الأرض، إنها السعادة ''نحصل من هذا أن سعادة الدنيا أيضا -كالآخرة- هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله. فعلينا أن نردد دائما: الحمد لله على الطاعة والتوفيق...وأن نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلمون''.[17]

العمل الإيجابي في مقصد إخلاص العبادة لله:

ولا يغفل الأستاذ النورسي رحمه الله وهو يعرّفنا بالإيجابية في العبادة، أن إخلاص هذه العبادة لله هو الضامن لجعلها وبقائها إيجابية، فالانزلاق إلى الرياء سلبية ما بعدها سلبية، كما أن البعد عن الإخلاص سبب في العناد المسبب للعداوة بين الناس، قال رحمه الله: ''إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضيع الإخلاص، ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها، فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله، ثم لا إنه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم...وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر (الإخلاص والعدالة)''.[18]

العمل الإيجابي في مقصد عبادة الصلاة:

الصلاة عماد الدين، وهي في رسائل النور ليست مجرد عبادة ذات حركات مخصوصة تؤدى في أوقاتها المخصوصة فحسب، بل هي أكثر من ذلك، فهي وسيلة لعمل أوسع وأكثر إيجابية في حياة الإنسان الدنيوية قبل الأخروية، قال الأستاذ النورسي (رحمه الله): ''إن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معا، فضلا عن أنها ليست عملا مرهقا للجسم، وفوق ذلك فإن سائر أعمال المصلي الدنيوية المباحة ستكون له بمثابة عبادة لله، وذلك بحسن النية لله... فيستطيع إذن أن يحول المصلي جميع رأس مال عمره إلى الآخرة، فيكسب عمرا خالدا بعمره الفاني''.[19]

ثم إن هذه الصلاة قيدت بأوقات خمسة في اليوم والليلة، ووراء هذا التقييد مقاصد نبيلة تدفع بالعبد للإيجابية في صلاته وكل أموره، فوقت الفجر إلى طلوع الشمس يذكر الإنسان ببداية عمره، وبداية خلق الله للسماوات والأرض، فيتعظ الإنسان أن البدايات جوهر النهايات فليجتهد في عمله،[20] وأما وقت صلاة الظهر فيذكر الإنسان فهو يشبه منتصف العمر وعنفوان الشباب فليجتهد الإنسان في العمل،[21] وأما وقت صلاة العصر فيشبه زمن الشيخوخة وعصر السعادة الذي يشبه عصر الرسول ﷺ، ولا يمكن للعبد أن يسعد في هذا العمر إلا إذا كان إيجابي العمل في المراحل السابقة،

فهي نتاج وقت الشيخوخة وسعادتها،[22] وأما وقت صلاة المغرب فإنه يذكر بغروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف، ويذكر أيضا بوفاة الإنسان، فيحاسب الإنسان نفسه، ويراجع سلبياته ليقلبها إلى إيجابيات قبل أوان الرحيل،[23] وأما وقت صلاة العشاء فيذكر بغشيان عالم الظلام وستره آثار عالم النهار بكفنه الأسود، فهو يذكر بلحظة الموت وانقضاء عمر الإنسان، فيعد عدته قبل ذلك الوقت المعلوم.[24]

أما عن الإيجابية في مقصد صلاة الجماعة فهي إيجابية وحدة الأمة ووقوفها موقف الرجل الواحد، يستلهم هذا المعنى الأستاذ النورسي في فتح رباني عند تأمله لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)،[الفاتحة:٥] قال رحمه الله: ''تأملت ذات يوم في (ن) المتكلم مع الغير في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وتحرى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد إلى صيغة الجمع (نعبد) ...فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك النون، إذ رأيت أنه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أديتها في جامع بايزيد يكون كل فرد منها بمثابة شفيع لي... ورأيت أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة شاهد ومؤيد لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي، فولد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة، وأرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة إلى الحضرة الإلهية المقدسة. وبينما كنت أتأمل في هذا، إذا بستار آخر يرفع، ورأيت أن جميع (مساجد اسطنبول) قد اتصلت وترابط بعضها ببعض، فأصبحت تلك المدينة كهذا الجامع''.[25]

فصلاة الجماعة في رسائل النور هي وحدة الأمة، ومن هنا وجب الحرص عليها لتحقيق هذه الوحدة بدل سلبية التفرق، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

هكذا هي الصلاة وأوقاتها في رسائل النور، نافذة للعمل الإيجابي المحفز للإنسان على العمل الجاد للخلاص في الآخرة وعمارة الأرض وقوة الأمة لنيل رضا الله جل في علاه.

العمل الإيجابي في مقصد عبادة الزكاة:

إن في عبادة الزكاة أعمال إيجابية تخدم الفرد والمجتمع، وفي رسائل النور بيان شاف لهذه المقاصد تجسد عظمة الإسلام إذا امتثل المسلمون بهذه العبادة الجليلة وأدّوها حق الأداء، فالزكاة عمل إيجابي لسلامة المجتمع من التقلبات والثورات الناجمة عن غضب الفقراء من احتقار الأغنياء للأموال، بدل تماسك المجتمع لتضامنه، قال الأستاذ النورسي (رحمه الله): ''إن الله تعالى قد فرض علينا فيما رزقنا من ماله العشر في قسم من الأموال، وواحدا من أربعين في قسم آخر كي يجعلنا ننال ثواب أدعية خالصة تنطلق من الفقراء، ويصرفنا عما توغر في قلوبهم من الضغينة

والحسد"،[26] وقال أيضا: "ثم إن الإسلام حامي الفقراء والعوام من الناس، وذلك بوجوب الزكاة وحرمة الربا"،[27] كما أن دفع الزكاة سبب في البركة والاستزادة من المال.[28]

ولقد حدثنا التاريخ عن سلبية احتكار الأموال وهضم حقوق الفقراء، والتاريخ يعيد نفسه اليوم فجل الأزمات المالية المعاصرة سببها تعطيل فريضة الزكاة ونسيان حقوق الفقراء، وتفعيلها سبب وحدة الأمة وقوتها مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا).[29]

العمل الإيجابي في مقصد عبادة الصيام:

الركن الرابع من أركان الإسلام صيام رمضان، وهو أيضا عبادة حوت كثيرا من المقاصد الجليلة الهادية للعمل الإيجابي البناء في حياة الفرد والمجتمع، ويتطرق الأستاذ النورسي لبيان الأعمال الإيجابية من مقاصد هذه العبادة بالنظر إليها من جوانب متعددة، ذكر ما يثلج الصدر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾،[البقرة:١٨٥] فالصيام عبادة تظهر ربوبيته سبحانه وتعالى إذ يجتمع العباد في عبادة الصيام ثم هم عند مغيب الشمس يقبلون دعوة الله إلى مائدة الإفطار، في صورة بديعة لعلاقة العبد مع ربه ورحمته سبحانه به بعد يوم من الجوع والعطش، فيا خسارة من لم يمتثل لهذه العبادة، وهنا يظهر العمل الإيجابي لهذه الشعيرة.[30]

كما أن صيام رمضان مفتاح شكر حقيقي خالص، وحمد عظيم عام لله سبحانه، فالغني الشبعان لن يدرك قيمة الطعام ولو كان كسرة خبز يابسة في الأيام العادية إلا في حال الصيام، فيزداد تقديره لنعم الله سبحانه.[31]

أما من الناحية الاجتماعية، فالصيام فرصة عظيمة لعمل إيجابي عظيم، وهو التضامن أغنياء الأمة مع فقرائها، فالغني بصيامه يشعر بعطش وجوع الفقير، فيستشعر وجوب التضامن معه، وهنا تكسب الأمة قوتها بتضامن أبنائها.[32]

وأما من ناحية النفس البشرية الأمارة بالسوء، فالصيام مناسبة عظيمة لتربية النفس على استشعار أنها مملوكة لله لا مالكة، وهو عمل إيجابي يؤهل النفس المسلمة لما سيأتي بعده من التكاليف.[33]

كما أن ارتباط الأمة بالقرآن في شهر الصيام تهذيب لها، وهو مصدر طاقة لها، فيهذب المسلم نفسه عن الدنايا استعدادا لتلقي وحي السماء كما تلقاه المصطفى ﷺ في هذا الشهر الفضيل، فضلا عن مضاعفة الأعمال فيه، فيزداد إقبال العبد على كل ما هو إيجابي من الأعمال.[34]

ولا يغفل الأستاذ النورسي رحمه الله عن ذكر إيجابية الصيام في كونه سبب في الحِمية التي تقي صحة الإنسان من مضاعفات بات يعرفها كثير من الناس بسبب إسرافهم في الأكل والشرب، فضلا عن انسياق النفس إلى شهواتها، أما الصيام بحِميته فيولد حِمية معنوية تتمثل في تزكية النفس وتهذيبها واستعدادها للتلقي الروحي وفق تعاليم القرآن الكريم.[35]

إن هذه المقاصد من شأنها أن تدفع المسلم إلى إيجابية تامة في سلوكياته، وهي سلوكيات من شأنها أن ترقى بعالمنا إلى مستوى أضل في الدارين، وأن تجعل الإنسان في أحسن تقويم.

العمل الإيجابي في مقصد عبادة الحج:

لم يكتب للإمام النورسي رحمه الله أداء فريضة الحج،[36] لكنه كان مدركا تماما أن هذه الفريضة العظيمة مؤتمر إسلامي عظيم من شأنه أن يقوي الجامعة الإسلامية، ويجعل الأمة على قلب رجل واحد، قال رحمه الله: ''إن إهمال السياسة الإسلامية الرفيعة في الحج والمتضمنة توحيد الأفكار بالتعارف وتشريك المساعي بالتعاون هو الذي أدى إلى تهيئة الوسط الملائم للأعداء ليستخدموا ملايين المسلمين في العداء للإسلام''.[37]

إن انعدام هذه النظرة تجاه عبادة الحج، كان سببا في انتشار العداوة بين الأمة بدل الألفة، فأدى إلى اندلاع حروب إلهية داخلها وبين أبنائها،[38] فالعمل الإيجابي في مقصد عبادة الحج هو السعي لبناء أمة متماسكة تنشد عالما أفضل.

وفي عصرنا اليوم يجب الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة لدورها الفعّال في إعداد الحجاج للإحساس بواجب تضامنهم، وأنّهم أمة واحدة على الرغم من اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وألسنتهم، وأن مؤتمر الحج هو الخطوة الأولى في إعادة بناء وترميم البيت المسلم من الداخل.

المبحث الثالث: دور العمل الإيجابي لمقاصد العبادات في رسائل النور في بناء عالم أفضل:

بعد استعراضنا في المبحث السابق بيان العمل الإيجابي لمقاصد العبادات في رسائل النور للإمام النورسي رحمه الله نود الآن الإجابة عن السؤال التالي: هل يمكن لهذه المقاصد أن تسهم في بناء عالم أفضل؟

لا يخفى على أحد مرارة الوضع الذي وصلت إليه أمتنا اليوم من الفرقة والشتات

والهوان، وحالها اليوم شبيه بالحال التي كانت عليه وقت أن بدأ الأستاذ النورسي كتابة الرسائل لتكون هادية للحيارى، لقد انطلق رحمه الله من واقع أمة ضعيفة داخليا وخارجيا، فوجب الإصلاح من الداخل بالرجوع إلى العبادة التي كلف بها المسلم أولا، وبيان مقاصد هذه العبادة، لتكون نبراسا للإصلاح العام.

فالصلاة لها دور كبير في دفع الأمة إلى العمل المنظم، فهي صلوات خمس نظمت أوقاتها على مدار اليوم والليلة، وهكذا يمكن للأمة أن تعيد تنظيم مسارها وفق هذا التنظيم الرباني البديع، بالمسابقة إلى العمل، ومراجعته ليكون في أحلى حلة بهية.

ثم إن الزكاة لها الأثر البليغ في حفظ وحدة الصف داخل الأمة، فيكون الفقير والغني إخوانا متحابين يشد كل طرف بالآخر، وهذه القوة الداخلية طريق للقوة الخارجية أمام أعداء الأمة في زمان نحن أحوج ما يكون لهذه القوة.

أما الصيام فهو مدرسة في العمل الإيجابي، بدء بتهذيب النفوس من هوانها، ودفعها للتضامن والتآزر، والتخفف من رغد العيش، للرقي بها في مدارج الرقي والسمو، تمهيدا لها لما هو أكبر.

وكذلك الحج المؤتمر الإسلامي السنوي، يلتقي فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ليتعارفوا ويعطف بعضهم على البعض، كما أن فيه إيقاظا للمسلمين من غفلتهم وتنبيها على خطأ ظنهم من أن عددهم قليل وأن صورتهم أمام عدوهم مخزية، بل يشعر المسلم بأن له إخوانا يحتاجون إلى مد يده لبناء الأمة ونيل عزتها، وهذا هو العمل الإيجابي العظيم المنشود من عبادة الحج.

هكذا تتضافر مقاصد هذه العبادات في الدفع بأبنائها نحو الإيجابية المطلقة للإنسان كما هو في القرآن، نحو أنموذج الإنسان الكامل (سيدنا رسول الله ﷺ)، إنسان يشعر بمسؤوليته تجاه نفسه وربه وإخوانه وذويه، يشارك في خدمة القرآن الذي به يرفع الله راية هذا الدين، فتعود للأمة عزتها ومجدها الغابر.

هذا عن دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل على وجه العموم، أما على وجه الخصوص وهو في الجانب الأكاديمي، فإن باستطاعة الأكاديميين الذين طالعوا وتربوا برسائل النور أن يربوا أبناءهم الطلبة على هذه الإيجابية تربية تطبيقية، فيعلم الطالب العمل الإيجابي بمجموعة من القيم مستقاة من هذه المقاصد التعبدية في رسائل النور مثل:

-التربية على حسن تنظيم الوقت، لتنظيم المردودية الإيجابية البناءة.

-الإحساس بواجب التضامن والتآزر مع إخوانه، فليس المقصود تخريج طالب

حامل لشهادة جامعية فحسب، بل المقصد الأول هو تخريج طالب حامل لهم الأمة مستعد للانخراط في الخدمة الإيمانية كما انخرط فيها عشاق رسائل النور الأوائل.

-تهذيب الروح لنجدتها من غفلتها في شهواتها، وإعدادها لحمل رسالة الإصلاح.

-إن العلم والمعرفة ليسا مقصودين لذاتهما، بل المقصود خشية الله والزاد الإيماني والإعداد للآخرة.

كل هذه القيم وغيرها يمكننا تربية أبنائنا الطلبة عليها ليستحضروا وجوب الإيجابية في كل الأعمال، ليكونوا سفراء خير لهذه الرسائل.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج

١. العمل الإيجابي هو الفعل المحمود الأثر في أفعالنا وأقوالنا دنيوية كانت أو دينية.

٢. ركزت رسائل النور على بيان الإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في تصحيح واقع الأمة.

٣. تنطلق الرؤية التصورية لدور هذه المقاصد في بناء عالم أفضل لأمتنا من منظور القرآن العظيم والسيرة النبوية.

٤. تناول الأستاذ النورسي الحديث عن مقاصد العبادات في رسائل النور على ضوء الواقع المعيش للأمة في حياته.

٥. تفيدنا الرؤية المقاصدية لرسائل النور في تصحيح واقعنا المعيش كما عالجها الأستاذ النورسي رحمه الله.

٦. تفيد الرؤية المقاصدية لرسائل النور في تربية الطلاب تربية إيمانية عملية.

ثانيا: التوصيات

١. تنظيم ندوات مستقلة للحديث عن مقاصد العبادات من خلال كليات رسائل النور للإمام النورسي.

٢. تنظيم دورات وورشات تطبيقية لفئة الشباب خاصة للاستفادة العملية من رؤية رسائل النور لمقاصد العبادات وأثرها في الرقي بالفرد والمجتمع.

٣. ضرورة التركيز على تدريس مِقاصد العبادات ببيان أثرها في العمل الإيجابي البناء والفعال في تغيير الواقع المعيش لأمتنا من خلال رسائل النور.

٤. تخصيص مادة مستقلة في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية لتدريس مقاصد العبادات وفق رؤية رسائل النور.

فهرس المصادر والمراجع:

١. أساس اللغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢. البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٤. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

٦. الفصول في الأصول لأبي بكر، أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧. كليات رسائل النور، الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

٨. كليات رسائل النور، المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٩. كليات رسائل النور، الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.

١٠. كليات رسائل النور، اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، (بدون تاريخ الطبع).

١١. كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

١٢. كليات رسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النور، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

١٣. كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، (بدون تاريخ الطبع).

١٤. كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٥. كليات رسائل النور، صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

١٦. لسان العرب، لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٧. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩. المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين، محمد بن علي الطيب البَصْري المعتزلي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٢٠. مختار الصحاح، زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٢. معجم كاللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط.الأولى، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ التعليم العالي المساعد بكلية الشريعة جامعة ابن زهر، أغادير/المغرب.

[2] معجم مقاييس اللغة، لابن الفارس (١٤٥/٤). –عمل–.

[3] المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (١٧٨/٢). –عمل–.

[4] مختار الصحاح للرازي (ص:٢١٨).

[5] الصحاح للجوهري (١٧٧٥/٥). –عمل–.

[6] نفسه (١٧٧٥/٥). –عمل–.

[7] المصباح المنير (٤٣٠/٢).

[8] ينظر: العين للخليل الفراهيدي (١٩٥/٣)، أساس اللغة للزمخشري (٣٢٠/٢)، لسان العرب لابن منظور (٧٩٣/١).

[9] ينظر: الفصول في الأصول للجصاص (٧٩/٢)، المعتمد لأبي الحسين البصري (٣٣/١)، البحر المحيط للزركشي (٢٣٣/١).

[10] معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٤٠٠/٣).

[11] نفسه (٢٤٠٠/٣).

[12] كليات رسائل النور، السيرة الذاتية (ص:٤٦٩).

[13] كليات رسائل النور، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون (ص:٣٦٠).

[14] كليات رسائل النور، اللمعات، اللمعة العشرون (ص:٢٢٨).

[15] كليات رسائل النور، المكتوبات (ص:٧).

[16] نفسه (ص:٧).

[17] نفسه (ص: ٨–٩).

[18] كليات رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون (ص:٣٥٠).

[19] كليات رسائل النور، الكلمات، الكلمة الرابعة، (ص:١٢).

[20] ينظر: الكلمات، الكلمة التاسعة، (ص:٣٤).

[21] كليات رسائل النور، الكلمات، الكلمة التاسعة، (ص:٣٤).

[22] نفسه (ص:٣٤).

[23] نفسه (ص:٣٤).

[24] نفسه (ص:٣٥).

[25] كليات رسائل النور، المكتوبات، القسم الأول من المكتوب التاسع والعشرين (ص:٥٠٦–٥٠٧)، وينظر: المثنوي العربي النوري (ص:٢٨٠).

[26] كليات رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، (ص:٣٥٤).

[27] كليات رسائل النور، المكتوبات، المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين، (ص:٤١٨)، وانظر: القسم السابع من المكتوب التاسع والعشرين (ص:٥٦٢)، ونوى الحقائق في آخر المكتوبات (ص:٦٠٤–٦٠٥)، وإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (ص:٥٣–٥٤).

[28] كليات رسائل النور، اللمعات، اللمعة التاسعة عشرة، (ص:٢٢٣).

[29] رواه مسلم (رقم:٢٥٨٥).

[30] كليات رسائل النور، المكتوبات، رسالة رمضان، (ص:٥١٣–٥١٤).

[31] نفسه (ص:٥١٤–٥١٥).

[32] كليات رسائل النور، المكتوبات، رسالة رمضان (ص:٥١٥).

[33] نفسه (ص:٥١٦).

[34] نفسه (ص:٥١٧).

[35] نفسه (ص: ٥١٩-٥٢٠).

[36] صرح رحمه الله بهذا في الشعاع الرابع عشر حيث قال: (فلقد زارت رسائل النور تلك الأماكن المقدسة بدلا عنا كما هي نيتنا وكما أبلغنا المسافرون إلى الحج)، انظر: الشعاعات (ص:٥٣٣)، كما أوضح أن المانع من سفره هذا كان راجعا للمضايقات التي مورست عليه. ينظر أيضا: الشعاعات، الشعاع الرابع عشر (ص:٥٦٢).

[37] كليات رسائل النور، صيقل الإسلام (ص:٣٦٥).

[38] نفسه (ص:٣٦٥).

التوجيه الإيجابي للأحاديث النبوية في رسائل النور

The Positive Approach to Prophetic Hadiths in the Risale-i Nur

ABSTRACT

Dr. 'Ali Mustafa

Reader of Resale-i Nur notices the endeavor of Nursi to understand Islamic texts of the Qur'an and the hadith, the prophetic tradition, in a positive way that complies with Islamic rational basics, distancing from negative understanding that leads to extremism in thoughts and stances. This way of understanding the prophetic tradition is clear in Nursi's contemplation, answers to his students' questions, or his court hearings which he had through his life.

This vision guides to correct understanding of hadith. Nursi tries to keep himself away from negative conception of hadith as it leads to misunderstanding it and doubt it.

It is noted that Nursi tries not to reject any hadith. He explains it positively, in way that is consistent with Islamic and rational basics. Moreover, Nursi refuses alleged contradiction between hadith and Qur'an or between them and ration.

Despite the fact that this approach to hadith had been followed by previous scholars, Nursi has his own reformative approach. Thus, Nursi adds new scope in the methodology of positive understanding of the prophetic Hadith.

This research explains Nursi's approach in his positive understanding of hadith and discusses its aspects of reform. It comes in three parts.

Part one: The positive understanding of hadith according to Nursi and other scholars.

Part two: Positive understanding of hadith that are related to divinity and prophethood.

Part three: Positive understanding of hadith that are related to the universe.

Conclusion: Includes the findings and recommendations.

ملخص البحث

د. علي مصطفى[1]

يلاحظ دارس رسائل النور نزوع الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلى فهم النصوص الشرعية كتابا وسنة فهما إيجابيا يتفق مع الأصول الشرعية والقواعد العقلية المرعية؛ مستبعدا الفهم السلبي المخالف لها والمؤدي إلى الشذوذ في الأفكار والمواقف في كثير من الأحيان، سواء في تأملاته الفكرية أو أجوبة أسئلة طلبة النور أو المرافعات القضائية أمام مختلف المحاكم التي مثل أمامها طيلة حياته.

ويندرج ضمن هذه الرؤية توجيه الأستاذ الأحاديث النبوية توجيها إيجابيا، ينتهي به إلى بيان المعنى الصحيح الذي ترشد إليه تلك الأحاديث، ناقدا الفهم السلبي الذي أدى إلى استشكال هذه الأحاديث أو الطعن فيها أو تأسيس فهم سلبي بناء عليها.

ومن الملاحظ أن الأستاذ يأبى أن يردّ الحديث ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حيث يفهم الحديث فهما إيجابيا متفقا مع الأصول الشرعية والعقلية مستبعدا الفهم المخالف لتلك الأصول، ويرفض نصب التعارض بين الحديث من جهة وبين القرآن وصريح العقل من جهة أخرى.

وبالرغم من أنّ هذا مسلك التعامل مع مختلف الحديث كان سائدا عند السابقين ومتداولا بينهم، فإنّ للأستاذ نظرات تجديدية تؤكّد تميّز تعامله معها بفروق جدية في منهجية الفهم الإيجابي للحديث النبوي عند الأستاذ بديع الزمان.

يحاول هذا البحث الوقوف على معالم التوجيه الإيجابي للحديث النبوي عند الأستاذ وجوانب التجديد فيها ضمن ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: التوجيه الإيجابي للحديث النبوي بين العلماء بديع الزمان.

المطلب الثاني: التوجيه الإيجابي للأحاديث المتعلقة بالألوهية والنّبوّة.

المطلب الثالث: التوجيه الإيجابي للأحاديث المتعلقة بالكونيات.

الخاتمة: أبرزت فيها النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: رسائل النور، بديع الزمان النورسي، مشكل الحديث، تأويل الحديث.

المطلب الأول: التوجيه الإيجابي للحديث النبوي بين العلماء وبديع الزمان

تنبه العلماء مبكرا إلى أن بعض متون الأحاديث يُتَوَهَّم منها أحيانا معاني باطلة

مخالفة للثابت من نصوص الشريعة أو صريح العقل أو الحس أو العلم؛ فاشتغلوا بتفسيرها والجواب عن الإستشكالات التي حولها، من أجل فهمها فهما صحيحا يتفق مع أصول الشريعة، ويستبعد المعنى الباطل الذي يتوهمه الناظر في المتن المشكل. وقد اهتم بديع الزمان بهذه المتون وأدلى بدلوه في توجيهها توجيها إيجابيا يتفق مع ثوابت الشرع وصريح العقل، وبهذا يكون بديع الزمان قد حذا حذو العلماء السابقين ونسج على منوالهم في اعتماد المعنى الإيجابي للحديث واستبعاد المعنى السلبي والفهم الشاذ المخالف للثابت والمستقر في الشرع والعقل.

يسجّل الباحث أن الأستاذ ومع موافقته تلك امتاز بعرض مباين لهم، ذلك أنّ قارئ رسائل النور يجد بديع الزمان قد سلك منهجا مغايرا لمنهج العلماء السابقين في توجيه الأحاديث النبوية، ويتضح هذا الاختلاف في ملمحين اثنين:

الملمح الأول: بين التفسير والتأويل

اشتغل العلماء السابقون في تفسير المتون المشكلة لكشف غموضها وفك تعارضها مع غيرها بإعمال النسخ والجمع والترجيح واعتمدوا المستويات الدلالية في اللغة كالعام والخاص والمطلق والمقيد والنص والظاهر والمؤول والحقيقة والمجاز إلخ، وقد تعددت مناهجهم واتجاهاتهم في كشف الغموض وفك التعارض بين الأحاديث تاركين لنا ثروة علمية قيّمة لازال أهل العلم ينهلون منها ويستعينون بها فيما يستجد من إشكالات.

لكن بديع الزمان اشتغل في تأويل النصوص المشكلة وفهمها فهما إشاريا معتمدا على ثقافته الشرعية وقدرته المميزة على استكناه المعاني واستدعائها، وإبراز العلاقات الخفية بينها.

صحيح أن المعنى الذي يقدمه ليس ظاهرا يدرك مباشرة وأنه يحتاج إلى طول تدبّر للوقوف عليه وإدراك العلاقة بينه وبين لفظ الحديث؛ إلا أنه معنى يتفق مع قواعد الشريعة من جهة والقواعد العقلية والحسية من جهة أخرى مع عدم المنافاة بينه وبين لفظ الحديث ومعناه الظاهر؛ مما يشعر القارئ بالمتعة العقلية واللذة الروحية عند مطالعة هذه المعاني العميقة.

وهذا التأويل الإشاري وإن كان منهجا مطروقا في تأويل القرآن إلا أنه غير مطروق من قبل حسب علمي في تأويل مشكل الحديث؛ فيكون الاعتماد على المعنى الإشاري في تأويل مشكل الحديث إضافة مميزة وتجديدا علميا يحسب لبديع الزمان في تطوير علم مشكل الحديث.

الملمح الثاني: بين نقد السند ونقد المتن

من المعلوم أن التأويل فرع القبول؛[2] أي أن العالم إذا اشتغل بتوجيه معنى الحديث فإن هذا يدل على صحته عنده؛ فقد ثبت عنده أنه صادر عن النبي ﷺ؛ ولذلك يشتغل بمعناه، وإلاّ فلا فائدة من الاشتغال بمعنى كلام لم يصدر عن المعصوم ﷺ ولا يجوز نصب التعارض أصلا بين كلام النبي ﷺ وكلام غيره؛ لأن كلام النبي ﷺ مقدم على كلام كل أحد.

لكن الناظر في كتب مختلف الحديث يلحظ أن العلماء يبحثون في معاني أحاديث ضعيفة ويحاولون حل التعارض بينها وبين ما صح من الحديث، ولعل هذا ناشئ من أمرين:

الأول: إن هذا الحديث مختلف في صحته بين العلماء، ولعل من يشتغل بتوجيه معناه يرى أنه صحيح، وما أكثر الأحاديث المختلف في صحتها.

الثاني: إنهم يشتغلون بتوجيه معناه تنزلا؛ أي على فرض صحته، وكثير من العلماء يتوسعون في هذا إتماما لبيان الحجة ومراعاة للخلاف في صحة الحديث.

إلا أنهم لا يشتغلون في توجيه الأحاديث الموضوعة وشديدة الضعف؛ لأنها ليست أحاديث نبوية لثبوت عدم صدورها عن النبي ﷺ، وإنما ألحقت بالأحاديث النبوية تجوزا؛ لأن الوضاعين والمتروكين ادعوا أنها أحاديث فبحث العلماء دعواهم هذه ضمن نقدهم لأحاديث سائر الرواة.

أما بديع الزمان فلم أره يشتغل بنقد الأسانيد ولا يحاول أن يضعّف الأحاديث أو يحكم بأنها موضوعة من مدخل الجرح والتعديل أو علل الأسانيد، وقد تكلم في هذا الأمر بوضوح قائلا: ''ولما كانت الأنظار قد لفتت إلى هذا الحديث الشريف المتشابه دون مبرر -بل بما فيه ضرر- وأن هناك أحاديث أخرى متشابهة له بكثرة؛ يلزم بيان (حقيقة) دفعاً للشبهات وإزالة للأوهام. أقول: إن ذكر هذه (الحقيقة) ضروري بغض النظر عن ثبوت الحديث''.[3]

يتضح من كلامه أنه يشتغل بتوضيح المعنى الصحيح واستبعاد المعنى المتوهم خطأ عن الحديث بغض النظر عن درجة صحته، مما يدل على أنه لا يلزم أن يكون قد حكم بصحة كل حديث تأوّله. وهذا يشبه ما يتأوّله العلماء السابقون على سبيل التنزّل كما سبق بيانه. وربما غلّط بعض رواة الحديث بسبب روايتهم ما يتعذّر تأويله من المتون المنكرة كما فعل في حديث الأرض على الثور والحوت حيث قال: وأما ما جاء من حكايات خارجة عن طور العقل في بعض الكتب الإسلامية حول الثور والحوت. فإما أنها من الإسرائيليات، أو هي تشبيهات وتمثيلات، أو أنها تأويلات

بعض الرواة، حسبها الذين لا يتحرون الدقة أنها من الحديث نفسه وأسندوها إلى كلام الرسول ﷺ".[4]

وفي الوقت نفسه فإنه لا يعيب على أهل الحديث مسلكهم في رد الأحاديث الضعيفة والموضوعة بسبب الإسناد، وإنما يرى أنه قد خفي عليهم المعنى الذي يشير إليه الحديث، وأن الأولى حسب رأيه قبول الحديث وتأويله إشاريا كما يفعل دائما.[5]

ولعل الذي ألجأ بديع الزمان إلى هذا المنهج أنه ألّف الرسائل بعيدا عن الكتب والمراجع التي تحوي الجرح والتعديل وعلل الأسانيد؛ فقد قضى حياته بين السجن والنفي في ظروف لا تسمح له بمراجعة الكتب،[6] ومع ذلك فقد أبدع في التأليف مما يدل على ثقافة واسعة في علوم الشريعة كان قد حصلها في شبابه قبل المحنة. ولا شك أن التأليف بعيدا عن المكتبة يسبب قلة النقل عن الآخرين والاعتماد الكلي على الذاكرة والقدرة على الاستنتاج وتوليد الأفكار؛ لذلك جاءت رسائل النور مليئة بالأفكار والخواطر الإيمانية التي لا تجدها عند غيره لأنها نتاج علمه، وقل ما ينقل عن غيره،[7] وهذه المواضع المنقولة سردها للاستشهاد بها أو لنقدها غالبا.

وتتبدى حافظته الحديثية عند كلامه على المعجزات النبوية فقد سرد المئات من أحاديث المعجزات وقسمها تقسيما مبتكرا للاستدلال بها على صدق النبوة.[8] أما الكلام على علل الأسانيد والجرح والتعديل فهو ميدان آخر يحتاج إلى إمعان النظر في الكتب وكثرة المذاكرة مع الأقران وهو ما تعذر إمكانه في حق بديع الزمان.

المطلب الثاني: التوجيه الإيجابي للأحاديث المتعلقة بالألوهية والنبوة

تعرض بديع الزمان لعدد من الأحاديث النبوية المتعلقة بالألوهية والنبوة، ورد المعاني الباطلة المتوهمة من متونها، ثم أعمل فكره في استخراج معاني إشارية تتفق مع أصول الشريعة وقطعياتها، وفيما يلي وقفات مع نماذج من تلك الأحاديث.

أولا: حديث إن الله خلق آدم على صورة الرحمن[9]

قال بديع الزمان: "لقد ورد في حديث شريف (إن الله خلق آدمَ على صورة الرحمن)، أو كما قال ﷺ. فسَّرَ قسمٌ من أهل الطرق الصوفية هذا الحديث الشريف تفسيراً عجيباً لا يليق بالعقائد الإيمانية، ولا ينسجم معها. بل بلغ ببعضٍ من أهل العشق أن نظروا إلى السيماء المعنوي للإنسان نظرتهم إلى صورة الرحمن! ولما كان في أغلب أهل العشق حالة استغراقية ذاهلة والتباس في الأمور، فلربما يُعذَرون في تلقّياتهم المخالفة للحقيقة. إلاّ أن أهل الصحو، وأهل الوعي والرشاد يرفضون رفضاً

باتاً تلك المعاني المنافية لأسس عقائد الإيمان، ولا يقبلونها قطعاً. ولو رضي بها أحدٌ فقد سقط في خطأ وجانَبَ الصواب."[10]

يتبين من كلام بديع الزمان أنه يرفض تفسير هذا الحديث تفسيرا يعتمد على تشبيه الله بخلقه رفضا قاطعا؛ لأن تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقات أصل قطعي من أصول العقائد الدينية في الإسلام دلّت عليه أدلة سمعية وعقلية كثيرة، ومن أظهرها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[الشورى:١١]

ثم يبيّن المقصود من الحديث وهو " أن الإنسان مخلوق على صورة تُظهر تجلّي اسم الله الرحمن إظهارا تاما"،[11] ثم يضرب مثالا لتقريب المعنى فيقول: "وفي الحديث الشريف إشارة كذلك إلى أن في الإنسان والأحياء من المظاهر الدالة على " الرحمن الرحيم" ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه، فدلالة الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جلية، تشبه في قطعيتها وجلائها دلالة المرآة الساطعة بصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها. فكما يمكن أن يقال لتلك المرآة: إنها الشمس، إشارةً إلى مدى سطوعها ووضوح دلالتها عليها، كذلك يصح أن يقال -وقد قيل في الحديث- إن في الإنسان صورة الرحمن، إشارة إلى وضوح دلالته على اسم الرحمن وكمال مناسبته معه ووثوق علاقته به."[12]

إذن، فالمقصود من الحديث أن خلق الإنسان يدل على خالقه، وعظمة خلقه تدل على عظمة خالقه ومدبّره. وهذا المعنى الإشاري الذي استنبطه بديع الزمان من الحديث قد صرّح به القرآن في غير ما آية، فقد أمر الله تعالى الإنسان أن يتفكر في نفسه فيما حوله ليستدل على خالقه، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾،[الذاريات:٢٠-٢١] إن القصد من الأمر بالتفكر في المخلوقات هو الاستدلال على وجود الله وعظمته وكماله ليترسخ الإيمان به وتعظيمه وتعظيم أمره ونهيه.

ثانيا: حديث لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن[13]

قال بديع الزمان: "وكذا حسبي من جعلني مظهرا جامعا لتجليات أسمائه، وأنعم عليّ بنعمة لا تسعها الكائنات بسر حديث (لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن)، يعني أن الماهية الإنسانية مظهر جامع لجميع تجليات الأسماء المتجلية في جميع الكائنات".[14]

من الواضح أن المعنى الحرفي للحديث غير مراد، وأن المقصود باتساع قلب المؤمن بالله أن هذا القلب قد امتلأ إيمانا بالله ومحبة وخشية، فصارت حركاته وسكناته ناطقة بعظمة الله وكماله، واستحالت دليلا من دلائل وجوده وتوحيده وجلاله.

ويذهب بديع الزمان إلى أن امتلاء القلب بالله بهذا المعنى سر كمال سعادة الحياة، فقال: ''أما كمال سعادة حياتك فهو الشعور بما يتجلى من أنوار التجليات الإلهية في مرآة حياتك وحبها وإظهار الشوق إليها وأنت مالك للشعور ثم الفناء في محبتها ترسيخ تلك الأنوار المنعكسة وتمكينها في بؤبؤ عين قلبك. ولأجل هذا قيل... هذا المعنى للحديث القدسي الذي رفعك لأعلى عليين.''[15]

ولعلّ أعلى عليين الذي يقصده بديع الزمان ما عبّر عنه الحديث الشريف من وصف حال من أحبه الله، فقد قال رسول الله ﷺ: ''وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه''.[16]

ثالثا: حديث لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك[17]

من المعلوم أن الدلالة على الله وعبادته وتوحيده هي غاية الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾،الذاريات، ٥٦ وقد سخر الله كل ما في السماوات والأرض للإنسان كي يقوم بهذه المهمة العظيمة، مهمة عمارة الأرض بعبادة الله وتعظيمه، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ.﴾الجاثية:١٣

فغاية الخلق إذن ليست شخص النبي محمد ﷺ، هذا ما يدلّ عليه القرآن صراحة في آيات كثيرة، ولكن بديع الزمان أورده عدة مرات[18] مستشهدا به ومستخرجا منه معنى إشاريا بديعا يتفق مع القرآن في تقرير غاية الخلق، ويستبعد المعنى الحرفي الظاهري الباطل المخالف للثابت في الشرع.

صحيح أن بديع الزمان يقرر أن غاية خلق الكون هي محمد ﷺ حيث يقول: ''إن ذلك النبي الكريم ﷺ هو علة الكون الغائية، أي أنّه موضع نظر خالق الكون، نظر إليه وخلق الكون، ويصح القول أنه لو لم يكن قد أوجده ما كان يوجد الكون''.[19] ثم يقرر أن هذا المعنى مستمد من الحديث المذكور فيقول: ''إن محمداً ﷺ الذي استقبل مظاهر ربوبية رب العالمين، وسرمدية ألوهيته، وآلائه العميمة التي لا تعد ولا تحصى، استقبلها بعبودية كلية وتعريف لربّه الجليل. هذا النبي الكريم ضروري كضرورة الشمس لهذا الكون؛ إذ هو أستاذ البشرية الأكبر، ونبيها الأعظم ﷺ، وفخر العالم، القمين بخطاب (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) وكما أن حقيقته -أي الحقيقة المحمدية- هي سببُ خلق العالم، ونتيجتُه وأكملُ ثمراته. كذلك تتحقق بها وبالرسالة الأحمدية الكمالات الحقيقية للكائنات قاطبة، إذ تصبح مرايا باقية للجميل الجليل السرمدي تعكس تجليات صفاته الجليلة، وآثاره القيّمة الموظفة لدى أفعاله الحكيمة

جلّ جلالُه، ورسائله البليغة المرسلة من الملأ الأعلى، وتغدو حاملة لعالم باق، منتجة دار سعادة خالدة ودار آخرة أبدية يشتاق إليها ذوو الشعور كلهم.. وأمثالها من الحقائق التي تتحقق بالحقيقة المحمدية والرسالة الأحمدية''.[20]

يتضح من كلام الأستاذ أن المقصود بعلة الكون الغائية ليس شخص النبي ﷺ على الرغم من شرف شخصه الكريم، وإنما المقصود رسالته ودعوته إلى توحيد الله وعبادته، إذ أن رسالة الإسلام هي التي عرفت المخلوقات بخالقها ودلّتهم على عبادته وتوحيده، فلولا الرسالة لما كان للكون فائدة، ولولا الرسول لما كانت الرسالة. وبهذا المعنى الدقيق يتفق الحديث مع القرآن في تقرير العلة الغائية من خلق الكون.

ويزيد بديع الزمان هذا المعنى وضوحا بقوله: ''واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامَهم ورمزَ فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد ﷺ. فنوّر بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية، وخُمس البشرية ذوي الأهمية، طوال قرون عدة، حتى كأن الكائنات قد خُلقت لأجله، لبروز غاياتها جميعاً به، وظهورها بالدين الذي بُعث به، وانجلائها بالقرآن الذي أُنزل عليه''.[21]

بعد تأمل كلام الأستاذ يتبين أنه أوّل الحديث تأويلا سائغا ووجّه الحديث توجيها يتفق مع القرآن في بيان الغاية من خلق الكون.

المطلب الثالث: التوجيه الإيجابي للأحاديث المتعلقة بالكونيات

هناك بعض الأحاديث المتعلقة بخلق الملائكة والأرض يُتَوَهَّم معنى غريبا أو باطلا يتعارض مع الشرع والعقل، بعضها صحيح من حيث الإسناد وبعضها ضعيف أو شديد الضعف، وقد تأولها بديع الزمان تأويلا إشاريا لطيفا يتفق مع الشرع ولا يخالف العقل.

أولا: حديث إن لله ملائكة لها أربعون أو أربعون ألف رأس، في كل رأس أربعون ألف فم، وفي كل فم أربعون ألف لسان يسبح أربعين ألف تسبيحة[22]

إن غرابة هذه الهيئة مع عدم وجود هذا الحديث في كتب الحديث وافتقاره إلى الإسناد يدفع أهل العلم إلى الحكم بوضعه وعدم الاشتغال بروايته أو تأويله، لكن الأستاذ ذكره عدة مرات[23] بألفاظ متقاربه وتأوله تأولا يدفع عنه الغرابة، ويجعله موافقا للعقل.

قال الأستاذ: ''لما كانت الكرة الأرضية تسبح لله بعدد رؤوس الأنواع الموجودة فيها؛ من حيوان ونبات وجماد وبعدد ألسنة أفراد تلك الأنواع وبمقدار أعضاء تلك الأفراد وبعدد أوراقها وثمارها، فإنّ تقديم هذه العبودية الفطرية غير الشعورية العظيمة جدا وتمثيلها وعرضها بعلم وشعور على الحضرة الإلهية المقدّسة يتطلّب حتما ملكا

موكلا له أربعون ألف رأس وفي كل رأس أربعون ألف لسان يسبح بكل لسان أربعين ألف تسبيحة، مثلما أخبر المخبر الصادق بهذه الحقيقة نفسها''.[24]

يريد الأستاذ أن يقول لنا أن لا غرابة في هيئة الملك هذه؛ لأن مخلوقات الله الكثيرة والمتشعبة يسبح كل جزء منها ربه، فعادي أن يوكل بكل هذه المخلوقات ملائكة تماثلها في الضخامة كي تعرض هذه التسبيحات الكثيرة على الله تعالى.

ويستدل الأستاذ بهذه الهيئة الضخمة للملك الموكل بأعمال الإنسان أن الملك يحصي تسبيحات الإنسان بدقة متناهية فلا يفوته إحصاؤها على الرغم من الأصوات والخلجات التي لا تحد الصادرة عن الإنسان.[25] وكما أنه دقيق ومنتظم في إحصاء عبادات الإنسان فإن عبادته الخاصة أيضا في غاية الانتظام والكمال والسعة والكلية.[26]

ولا يُفَوِّت الأستاذ الفرصة بضرب الأمثلة التقريبية كما هو أسلوبه المفضل لتوضيح المعنى وتقريبه، فقال: ''هناك بعض الموجودات الجسمانية الضخمة تُنجز وظائفَ عبوديتها بأربعين ألف رأس وبأربعين ألف نمط وشكل. فالسماءُ مثلا تسبّح بالشموس والنجوم، والأرضُ أيضا مع أنها واحدة من المخلوقات، فإنها تقوم بوظائف عبوديتها وتسبيحاتها لربّها بمائةِ ألف رأس، وفي كل رأس مئاتُ الألوف من الأفواه، وفي كل فم مئاتُ الألوف من الألسنة، فلأجل أن يُظهر المَلك الموكّل بكرة الأرض هذا المعنى في عالم الملكوت، لابدّ أن يَظهر هو الآخر بتلك الهيئة والصورة. حتى إنني رأيت ما يقارب الأربعين غصنا -بما يشبه الرأس- لشجرة متوسطة من أشجار اللوز، ومن ثم نظرت إلى أحد أغصانِها فكان له ما يقارب الأربعين من الأغصان الصغيرة بمثابة الألسنة، ورأيت هناك أربعين زهرة قد تفتحتْ من أحد تلك الألسنة. فنظرتُ بدقة وأمعنت بحكمة إلى تلك الأزهار، فإذا في كل زهرة ما يقارب الأربعين من الخيوط الدقيقة المنتظمة ذات الألوان البديعة والدقة الرائعة، بحيث إن كلّ خيط من تلك الخيوط يُظهر تجلّيا من تجلّيات أسماء الصانع ذي الجلال ويستنطق اسما من أسمائه الحسنى. فهل من الممكن أن صانع شجرة اللوز ذا الجلال، وهو الحكيم ذو الجمال، الذي حمّل تلك الشجرة الجامدة جميعَ تلك الوظائف ثم لا يركّب عليها مَلَكا موكلا، يناسبها، وبمثابة الروح لها، ويفهم معنى وجودها، ويعبّر عن ذلك المعنى ويعلنه للكائنات ويرفعه إلى الحضرة المقدسة؟''[27]

ولا يتبين من كلام الأستاذ السابق هل ظهور هيئة الملك بهذه الصورة هي حقيقة خلقته أم أنها صورة تقريبية يظهر بها الملك ليتمكن من القيام بوظائفه؟! وكذلك قوله في الكلمات: ''إن المخبر الصادق قد صوّر مثلا الملائكة الموكلين بحمل العرش وكذا حملة الأرض والسماوات أو ملائكة آخرين – بأن للملك أربعين ألف رأس في

كل رأس أربعون ألف لسان يسبح بأربعين ألف نوع من التسبيحات. هذه الحقيقة الرفيعة في أمثال هذه الأحاديث الشريفة تعبّر عن انتظام العبادة وكليتها وشمولها لدى الملائكة''.[28] فهل هذه الهيئة حقيقة أم مثال؟!

لكني وقفت على كلام له في توجيه حديث لطم موسى عين ملك الموت يدلّ على أن هذه الهيئة ليست خلقته الحقيقية، قال: ''لقد بينّا... وحسب دلالات أحاديث نبوية شريفة: بأن هناك من الملائكة من يملكون أربعين ألف رأس، وفي كل رأس أربعون ألف لسان -أي لهم ثمانون ألف عين أيضاً- وكل لسان يسبح بأربعين ألف تسبيحة. فما دام الملائكة الموكلون موكلين حسب أنواع عالم الشهادة، وهم يمثلون تسبيحات تلك الأنواع في عالم الأرواح، فلابد أن يكون لهم تلك الصورة والهيأة. لأن الارض -مثلاً- وهي مخلوقة واحدة، تسبح لله. وهي تملك أربعين ألف نوع من الأنواع، بل مئات الألوف منها، والتي كل منها بحكم رؤوس مسبحة لها، ولكل نوع من الأنواع ألوف من الأفراد التي هي بمثابة الألسنة.. وهكذا. فالملك الموكل على الكرة الأرضية ينبغي أن يكون له أربعون ألف رأس، بل مئات الألوف من الرؤوس، ولابد أن يكون لكل رأس مئات الألوف من الألسنة.. وهكذا. فبناء على هذا المسلك: فإن عزرائيل عليه السلام له وجه متوجه إلى كل فرد، وعين ناظرة إلى كل فرد، لذا فلطمُ سيدنا موسى عليه السلام ليس هو لطمة على الماهية الشخصية لسيدنا عزرائيل -حاشاه- ولا على شكله الحقيقي، وليس فيه إهانة، ولا رد له، بل تصرفه هذا نابع من كونه راغباً في زيادة دوام مهمة الرسالة واستمرار بقائها، ولأجل هذا لطم -وله أن يلطم- تلك العين التي تراقب أجله، والتي تريد أن تنهي وظيفته على الأرض. والله أعلم بالصواب ولا يعلم الغيب الاّ هو. قل إنما العلم عند الله''.[29]

والخلاصة أنه ذكر أن اللطم لم يتوجه إلى حقيقة خلقة ملك الموت لكنه توجه إلى العين التي هي واحدة من ثمانين ألف عين التي يظهر بها ملك الموت للقيام بوظيفته، وهذا يدل على أنه أوّل الحديث تأويلا مجازيا وهو يرى أنّ هذه الهيئة ما سيقت إلا لبيان معنى إشاري يبين العلاقة بين ضخامة هيئة الملائكة وعملها الموكلة به وهو إحصاء تسبيحات المخلوقات الكثيرة المنتشرة في الكون، وهو عمل يقتضي أن يكون الموكل به مخلوقا بهيئة تتسم بالضخامة والكثرة حسب ضخامة وكثرة وانتشار المخلوقات التي يراقبها.

ثانيا: حديث لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه[30]

سئل الأستاذ عن صحة حديث لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه بعد أن دارت مناقشة حوله، ويبدو أن السائلين قد استغربوا معنى هذا

الحديث، وزاد في استغرابهم أنه مخرج في الصحيحين، ويبدو أن المناقشة لم تسفر عن شيء مقنع؛ فأرسلوا إلى بديع الزمان ليحل لهم الإشكال، فأجاب ما ملخصه:[31]

بما أن الحديث في الصحيحين فهو صحيح ثابت عن النبي ﷺ، وكما أن في القرآن آيات متشابهات فكذلك في الحديث النبوي أحاديث متشابهات، وهي ما يطلق عليها العلماء مشكل الحديث، فالواجب إزالة إشكاله وبيان المعنى الصحيح المقصود؛ لأن المعنى الحرفي الظاهر غير مراد قطعا.

ثم وجّه لطم موسى عين الملك ثلاثة مسالك:[32]

المسلك الأول: ''إن عزرائيل عليه السلام هو الذي يقبض روح كل فرد. فلا يمنع فعل هنا فعلاً هناك؛ لأنه نوراني، والشيء النوراني يمكنه أن يحضر ويتمثل بالذات في أماكن غير محدودة، بوساطة مرايا غير محدودة. فتمثلات النوراني تملك خواصه. وتعتبر عينه وليست غيره. فتمثلات الشمس في المرايا المختلفة مثلما تُظهر ضوء الشمس وحرارتها، فتمثلات الروحانيين -كالملائكة- تُظهر أيضاً خواصها في المرايا المختلفة في عالم المثال، فهي عين أولئك الروحانيين وليست غيرهم. فالملائكة يتمثلون في المرايا حسب قابليات المرايا. فحسب هذا المسلك: ليس محالاً قط، ولا هو بأمر فوق المعتاد، ولا هو أمر غير معقول، أن يتعرض مثال ملك الموت المتمثل للإنسان عند قبض روحه -وهو مثال جزئي إنساني- إلى لطمة سيدنا موسى عليه السلام وهو الشخصية العظيمة المهيبة من أولي العزم من الرسل، ثم فقؤه لعين تلك الصورة المثالية لملك الموت، الذي لبس زي تلك الصورة''.

المسلك الثاني: ''إن الملائكة العظام من أمثال سيدنا جبرائيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام، كل منهم بمثابة ناظر عام ورئيس، لهم أعوان من نوعهم وممن يشبهونهم، ولكن بطراز أصغر، فهؤلاء المعاونون الصغار مختلفون حسب اختلاف المخلوقات الموكلين بهم. فالذين يقبضون أرواح الصالحين يختلفون عن الذين يقبضون أرواح الطالحين، فهم طوائف مختلفة من الملائكة. فحسب هذا المسلك: فإن سيدنا موسى عليه السلام، لم يلطم سيدنا عزرائيل عليه السلام، بل لطم الجسد المثالي لأحد أعوانه، وذلك بعنفوان النبوة الجليلة وبسطة جسمه وجلادة خلقه وحظوته عند ربه القدير. وهكذا يصبح الأمر معقولاً جداً''.

المسلك الثالث: بما أن الملائكة لها أربعون ألف رأس وأربعون ألف لسان لتتمكن من القيام بوظائفها مع كل إنسان وفي كل مكان كما سبق الكلام عليه في المطلب الثالث ''فإن عزرائيل عليه السلام له وجه متوجه إلى كل فرد، وعين ناظرة إلى كل فرد، لذا فلطمُ سيدنا موسى عليه السلام ليس هو لطمة على الماهية الشخصية لسيدنا عزرائيل -حاشاه- ولا على شكله الحقيقي، وليس فيه إهانة، ولا رد له، بل تصرفه هذا

نابع من كونه راغباً في زيادة دوام مهمة الرسالة واستمرار بقائها، ولأجل هذا لطم -وله أن يلطم- تلك العين التي تراقب أجله، والتي تريد أن تنهي وظيفته على الأرض. والله أعلم بالصواب ولا يعلم الغيب إلاّ هو. قل إنما العلم عند الله''.

والخلاصة من التوجيهات الثلاثة أن اللطم لم يكن متوجها إلى الخلقة الحقيقية للملك وإنما توجه للصورة المثالية التي تشكل بها ملك الموت أو أحد أعوانه، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه عدد من شراح الحديث أن اللطم كان للعين الإنسية في الهيئة الإنسية التي تشكل بها ملك الموت عندما جاء ليقبض روحه، وهو تصرف عادي؛ لأنه ظن أنه رجل أراد قتله.[33]

ثالثا: حديث الأرض على الثور والحوت[34]

ذكر بديع الزمان هذا الحديث مثالا على التشبيهات والتمثيلات التي يسيء الناس فهمها بحملها على الحقيقة فتتحول من تشبيهات لطيفة إلى معان باطلة تحيلها العقول، فقال: '' هناك كثير من التشبيهات والتمثيلات البلاغية تؤخذ كحقائقَ مادية، إما بمرور الزمن أو بانتقالها من يد العلم إلى يد الجهل، فيقع الناسُ في الخطأ من حسبان تلك التشبيهات حقائقَ مادية. فمثلا: إن المَلَكين المسمَيين بالثور والحوت، والمتمثلين على صورتَيهما في عالَم المثال، وهما من ملائكة الله المُشرفة على الحيوانات البرية والبحرية، قد تحوّلا إلى ثورٍ ضخم وحوتٍ مجسم في ظن الناس وتصورهم الخاطئ، مما أدى إلى الاعتراض على الحديث''.[35]

وقبل أن أبيّن توجيه الحديث الذي استنبطه بديع الزمان لا بد من بيان أنه لا يقرّ الخرافات الكثيرة من الإسرائيليات التي رويت مع هذا الحديث مما يحيلها العقل ولا يقبلها الشرع، قال في بيان رأيه عندما سئل عن الخرافات التي لا يقرها العلم: ''تذكرون يا أخي في سؤالكم: أن علماء الدين يقولون: الأرض تقوم على الحوت والثور، علماً أن الجغرافية تراها كوكباً معلقاً يدور في السماء كأي كوكب آخر، فلا ثور ولا حوت! الجواب: هناك رواية صحيحة تُسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما، تقول: سُئل الرسول ﷺ: على أي شيء تقوم الأرض؟ أجاب: على الثور والحوت. وفي رواية أخرى، قال مرة: على الثور ومرة: على الحوت. ولكن عدداً من المحدثين طبقوا هذه الرواية على حكايات خرافية وقديمة وردت عن الإسرائيليات، ولاسيما من علماء بني إسرائيل الذين أسلموا فهؤلاء غيروا معنى الحديث وحولوه إلى معنى عجيب غريب جدا، حيث طبقوا الحديث على ما شاهدوه من حكايات حول الثور والحوت في الكتب السابقة''.[36] وقال: ''وأما ما جاء من حكايات خارجة عن طور العقل في بعض الكتب الإسلامية حول الثور والحوت. فإما أنها من الإسرائيليات، أو هي

تشبيهات وتمثيلات، أو أنها تأويلات بعض الرواة، حسبها الذين لا يتحرون الدقة أنها من الحديث نفسه وأسندوها إلى كلام الرسول ."ﷺ[37]

ثم يشرع الأستاذ في بيان المعنى البلاغي الذي ارتآه، وقد بيّن أنه يمكن توجيه الحديث بثلاثة وجوه:[38]

الوجه الأول: ''أما الأرض التي هي شقيقة صغيرة للسموات ورفيقة أمينة للسيارات فقد عُين لها ملكان مشرفان يحملانها، يطلق على أحدهما: ''الثور'' وعلى الآخر ''الحوت''. والحكمة في تسميتهما بهذين الاسمين هي أن الأرض قسمان: البر والبحر أي اليابسة والماء، فالذي يعمر البحر أو الماء هو الحوت أو السمك، أما الذي يعمر البر والتراب فهو الثور، حيث أن مدار حياة الإنسان على الزراعة المحمولة على كاهل الثور. فالملكان الموكلان بالأرض إذن هما قائدان لها ومشرفان عليها، لذا لهما تعلق وارتباط ومناسبة -من جهة- مع طائفة الحوت ونوع الثور. ولربما -والعلم عند الله- يتمثلان في عالم الملكوت وفي عالم المثال على صورة الحوت والثور. فإشارة إلى هذه المناسبة والعلاقة، وإيماء إلى ذينك النوعين من مخلوقات الأرض، قال الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ: ''الأرض على الثور والحوت''، فأفاد بجملة واحدة وجيزة بليغة عن حقيقة عظيمة عميقة قد لا يعبر عنها في صحيفة كاملة''.

الوجه الثاني: ''لو قيل: بمَ تقوم هذه الدولة؟ فالجواب: على السيف والقلم: أي تستند إلى قوة سيف الجيش وشجاعته وإقدامه وعلى دراية قلم الموظفين وعدالتهم. وحيث أن الأرض مسكن الأحياء، وسيد الأحياء الإنسان، والقسم الأعظم من الناس يقطنون السواحل ومعيشتهم على السمك، والباقون تدور معيشتهم على الزراعة التي هي على عاتق الثور ومحور تجارتهم على السمك. فمثلما يمكن القول: أن الدولة تقوم على السيف والقلم يمكن كذلك القول: إن الأرض تقوم على الثور والحوت؛ لأنه متى ما أحجم الثور عن العمل ولم يلق السمك ملايين البيوض دفعة واحدة، فلا عيش للإنسان وتنهار الحياة، ويدمر الخالق الحكيم سبحانه الأرض. وهكذا أجاب الرسول الكريم ﷺ عن السؤال بحكمة سامية وببلاغة معجزة وبكلمتين اثنتين مبيناً حقيقة واسعة تتعلق بمدى ارتباط حياة الإنسان بالحيوان فقال: الأرض على الثور والحوت''.

الوجه الثالث: ''إنه حري بلسان ذلك النبي الكريم المعجز أن يقول مرة: على الثور، مشيراً به إلى حقيقة عميقة لا تدرك إلا بعد قرون عديدة، حيث أن الأرض في تلك الفترة -أي فترة السؤال- كانت في الصورة المثالية لبرج الثور، بينما عندما سئل ﷺ السؤال نفسه بعد شهر قال: على الحوت؛ لأن الأرض كانت في ظل برج الحوت. وهكذا أشار ﷺ بقوله: ''على الثور والحوت'' إلى هذه الحقيقة العظيمة التي ستظهر

في المستقبل وتتوضح... وأشار به إلى حركة الأرض وسياحتها... ورمز به إلى أن البروج السماوية الحقيقية والعاملة هي التي في مدار الأرض السنوي، والأرض هي القائمة بالوظيفة والسياحة في تلك البروج، بينما التي بالنسبة للشمس عاطلة دون اجرام سيارة فيها. والله اعلم بالصواب".

يتضح مما سبق أن المقصود بالثور والحوت ليس حقيقة اللفظ، وإنما هو معنى مجازي يقصد به الملكان الموكلان بالأرض، وأطلق عليهما لفظ الثور والحوت إشارة إلى أن الأرض إما بحر أو بر، وقوام حياة الإنسان في البحر السمك وفي البر الثور الذي يحرث الأرض. أو أن قوام حياة الإنسان إما صيد السمك من البحر أو زراعة البر بالثور فيصد أن يقال إن قيام الحياة على الأرض إنما يكون بالحوت والثور. والوجه الثالث يدل على إعجاز علمي اكتشفه الإنسان فيما بعد حيث أن الأرض تدور فتكون في زمن فى ظل برج الثور، وفي زمن آخر في ظل برج الحوت.

الخاتمة

ضمّنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات:

١. اهتم بديع الزمان بتوجيه متون الأحاديث النبوية إلى المعاني الإيجابية، ويبتعد عن الفهم السلبي والشاذ المخالف لصحيح النقل أو صريح العقل.

٢. يظهر التجديد في تعامل بديع الزمان مع المتون التي تُتَوَهَّم منها معاني باطلة في أمرين: الأول: اتجاهه إلى تأويل تلك المتون تأويلا إشاريا يراعي أصول الشريعة وصريح العقل ولا يجافي دلالة لفظ الحديث أيضا. الثاني: أنه يلجأ إلى تأويل المتون المشكلة بقطع النظر عن أسانيدها هل هي ثابتة عن النبي ﷺ أم لا.

٣. المعاني الإشارية التي يتأوّلها بديع الزمان للمتون المشكلة فيها إبداع يُشعر القارئ باللذة العقلية والمتعة الروحية.

٤. على الرغم من غنى رسائل النور بالأحاديث النبوية استدلالا وتأويلا إلا أن الجانب الحديثي في رسائل النور لم ينل ما يستحق من البحث والدراسة من قبل الباحثين؛ فأكثر ما كتب حول رسائل النور يعالج مسائل الفكر والدعوة وأسئلة النهضة، أما الدراسات الحديثية فلم أقف إلا على دراستين غير منشورتين، ولم أستطع الحصول عليهما مع الأسف.

٥. من أهم القضايا الحديثية التي بحثها بديع الزمان في الرسائل وبذل جهدا مميزا في دراستها وتستحق اهتمام الباحثين: مشكل الحديث، وأحاديث الفضائل، وأحاديث أشراط الساعة، ودلائل النبوة.

* * *

الهوامش:

[1] كلية الإلهيات، جامعة حران، شانلي أورفة/ تركيا.

[2] انظر، الشوكاني، محمد بن علي، ت (١٢٥٠) هـ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩م (١٣٨/٢).

[3] سعيد النورسي، المكتوبات، مطبوع ضمن سلسلة من كليات رسائل النور، ترجمة إحسان الصالحي، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، ط١ ، ١٩٩٢م، المكتوب الثامن والعشرون، ص (٤٥٦).

[4] سعيد النورسي، اللمعات، مطبوع ضمن سلسلة من كليات رسائل النور، ترجمة إحسان الصالحي، دار سوزلر للنشر، إسطنبول ، ط١ ، ١٩٩٢م، اللمعة الرابعة عشر، ص (١٤٢).

[5] انظر، سعيد النورسي، الكلمات، مطبوع ضمن سلسلة من كليات رسائل النور، ترجمة أحسان الصالحي، دار سوزلر للنشر، إسطنبول ، ط١ ، ١٩٩٢م، الكلمة الرابعة والعشرون، ص (٣٨٦).

[6] انظر، سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص (٢٥٦).

[7] انظر، المصدر السابق.

[8] انظر، سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب التاسع عشر: المعجزات الأحمدية، ص (١١١).

[9] أخرج البخاري، محمد بن إسماعيل، ت (٢٥٦) هـ، في الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، كتاب الاستئذان، باب السلام، رقم الحديث (٥٨٧٣)، (٢٢٩٩/٥). وأخرج مسلم ابن الحجاج، ت (٢٦١) هـ، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم الحديث (٢٨٤١)، (٢١٨٣/٤) كلاهما عن أبي هريرة مرفوعا: " خلق الله آدم على صورته". أما اللفظ الذي ذكره الأستاذ "خلق الله آدم على صورة الرحمن" قد أخرجه عبد الله بن أحمد، ت (٢٩٠) في كتاب السنة، تحقيق محمد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ، (٤٧٢/٢)، والبيهقي، أحمد بن الحسين، ت (٤٥٨) هـ في الأسماء والصفات، تحقيق عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط٩ (٦٤/٢). وانظر الخلاف في تصحيحه عند ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني،ت(٨٥٢) هـ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز ومحب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، مصورة عن الطبعة السلفية (١٨٣/٥).

[10] سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص (١٥٣).

[11] سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص (١٥٣).

[12] المصدر السابق، ص (١٥٤).

[13] ذكر ابن تيمية أن هذا الحديث من الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، وفسره تفسيرا قريبا مما ذكره بديع الزمان، انظر، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت (٧٢٨)، مجموع الفتاوى، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م (٣٧٦/١٨). وقال العراقي: لا أصل له، انظر، العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، ت (٨٠٦) هـ، تخريج الإحياء المسمى المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (٧١٢/٢). وكذا قال كل من وقفت عليه ممن تكلم على الحديث.

[14] سعيد النورسي، الشعاعات، مطبوع ضمن سلسلة من كليات رسائل النور، ترجمة إحسان الصالحي، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، ط١ ، ١٩٩٢م، الشعاع الرابع، ص (١٠١)، واللمعات، اللمعة التاسعة والعشرون، ص (٥٠٩).

[15] سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة الحادية عشرة، ص (١٣٩-١٤٠).

[16] رواه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث (٦١٣٧)، (٢٣٨٤/٥).

[17] ذكره الصاغاني في الموضوعات، انظر، الصاغاني، الحسن بن محمد، ت (٦٥٠) هـ، الموضوعات، تحقيق

نجم خلف، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ (١٧) /٥٢)، وقال العجلوني: لكن معناه صحيح وإن لم يكن حديثا، العجلوني، إسماعيل بن محمد، ت (١١٦٢) هـ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي (١٦٤/٢).

[18] انظر، سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص (٧٥)، المكتوبات، المكتوب التاسع عشر، ص (٢٣٤،٢٣٥،٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٠)، الشعاعات، الشعاع التاسع، الشعاع الخامس عشر، ص (٢٣٧،٦٥٥).

[19] سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب التاسع عشر، ص (٢٥٤).

[20] سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع التاسع، ص (٦٥٥).

[21] سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع التاسع، ص (٢٣٧).

[22] لم أجده في كتب الحديث.

[23] انظر، سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة الرابعة عشر والتاسعة والعشرون، ص (١٨٧،١٨٨،٦٠٦)، المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، ص (٤٥٤)، الشعاعات، الشعاع التاسع، ص (٣٢٧)، الملاحق، مطبوع ضمن سلسلة من كليات رسائل النور، ترجمة إحسان الصالحي، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، ط١، ١٩٩٢م، ملحق أمير داغ-٢، ص (٣٥٧).

[24] سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع التاسع، ص (٣٢٧).

[25] انظر، سعيد النورسي، الملاحق، ملحق أمير داغ٢، ص (٣٥٧).

[26] انظر، سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة والعشرون، ص (٦٠٦).

[27] سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة والعشرون، ص (٦٠٦).

[28] سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة الرابعة عشرة، ص (١٨٧).

[29] سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، ص (٤٥٤-٤٥).

[30] عن أبي هريرة رضي الله عنه: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه"، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى، رقم الحديث (٣٢٢٦)، (١٢٥٠/٣)، وأخرجه مسلم في الصحيح واللفظ له، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، رقم الحديث (٢٣٧٢)، (١٨٤٢/٤). وزيادة "ففقأ عينه في مسلم دون البخاري".

[31] انظر، سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، ص ٤٥١-٤٥٥).

[32] سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون، ص (٤٥٣-٤٥٥).

[33] انظر، ابن حجر، فتح الباري (٤٤٣/٦،٤٤٢).

[34] ذكر المفسرون في تفسير نون والقلم رواية عن ابن عباس موقوفة عليه فيها ذكر الثور والحوت، انظر مثلا: الطبري، محمد ابن جرير، ت (٣١٠) هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م (٥٢١/٢٣). وصححها الحاكم في المستدرك، انظر، الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، ت (٤٠٥) هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٩٩٠م، كتاب التفسير، رقم الحديث (٣٨٤٠)، (٥٤٠/٢). وقد ذكر السيوطي روايات كثيرة بتفصيلات أخرى في هذا الموضوع، انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت (٩١١) هـ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩م (٢٤١/٨).

[35] سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة الرابعة والعشرون، ص (٣٨٩)، وانظر، سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص (١٠٥)، وانظر، سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الحادي عشر، ص (٣٢٦).

[36] سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص (١٣٨).

[37] سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص (١٤٢).

[38] المصدر السابق، ص (١٤٠-١٤٢).

النظرة الإيجابية وأهميتها في تحصين الدعوة عند الأستاذ النورسي

Ustad Nursi's Views on the Importance of the Positive Outlook in Upholding His Cause

ABSTRACT

Dr. 'Abd al-Hadi Dahani

Nursi's main interest was not to point a finger at people's failures. Rather, he was occupied by helping them to fix their mistakes. He had realized that getting involved in tracking the failures and poor conduct of others would destroy love between people, and waste one's energy and shatter his inner peace; and that is one of the grievous mistakes committed by many people who call others to God. As a spiritual person, Nursi used to diagnose the failures of society and prescribe the remedies calmly. He wanted to preserve Allah's order of satr which indicates keeping people's sins covered, asking God for his certain and comprehensive cure. Thus, the Risale-i Nur has implemented this approach and derived its light from the light of Qur'an and Sunnah; addressing people who work in Da'wa, encouraging them to hold to the Straight Path and gently carrying people to adhere to this path, so that they become guided in their ways of Da'wa.

Circumstances of life might differ, but the path of Da'wa (The Call to God), never changes. It carries its remedies and light of guidance to those who are drowned in the depths of darkness of atheism, ignorance, corruption and instability. This path is one of God's stable signs in His creation. However, people of the path might change and their change affects the way they walk through the path. As God the Almighty says: (Verily, God does not change the condition of a people until they change what is within themselves) Qur'an 13:11.

The Risale-i Nur states that the true Da'i (caller to God) who is sincere in his call, does not limit his call to the boundaries of time and place because he derives his approach from the universality of Islam and the comprehensiveness of the Qur'an. This approach was enacted by Prophet Muhammad, peace be upon him. God says: (But no, by your Lord they will not [truly] believe until they make you [O Muhammad] judge concerning that over which they dispute among themselves and then find within themselves no discomfort from what you have judged and submit in [full willing] and submission) Qur'an 4:65.

The question then arises: who among the callers to God is interested in explaining the positive practical methods in combating corruption? Who offers the correct remedy with mercy and compassion, as exemplified in the Risale-i Nur? It is very easy to curse the darkness, and make a lot of noise about it, neglecting reality and not having patience in dealing with people. However, to light a candle that illuminates, and then dissipates darkness, is always the best solution. That is to be positive, and to offer the appropriate remedy and correct ideas; explaining the methods of their implementation. This is the approach that is followed by Nursi in keeping positive action when calling to God, in order to safeguard Da'wa from falling into deadly errors.

ملخص البحث

ذ. عبد الهادي دحاني[1]

لم يكن الأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى منشغلا في منهج دعوته بالتنبيه على عيوب الناس، بل بإصلاحها، لأنه يدرك بأن انشغال المرء بأخطاء الآخرين وعيوبهم والتشنيع بهم، إنما يفقده الحب الذي بينه وبينهم، ويبدد طاقاته، ويفقد سلامه الداخلي، وتلك من الأخطاء القاتلة التي يقع فيها الكثير من الدعاة. لقد كان الأستاذ النورسي إنساناً روحياً، يشخص نقائص المجتمع، ويصف لها العلاج الذي يزيلها ويستأصلها ليتعافى منها المجتمع، دونما جلبة أو تشهير، ملتزما في ذلك ستر الله عز وجل، ستره الخافي، ودواءه الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه، والذي لا يغادر سقماً. وعلى هذا المنهج كانت رسائل النور بلسماً شافياً، ونبراساً هادياً يستمد نوره من القرآن العظيم ومن السنة النبوية الشريفة، تتوجه إلى الدعاة بالسير على الصراط، ونهج السبل التي تحمل الناس على الاستقامة على هذا الصراط، حتى يهتدوا به في ميادين دعوتهم.

إن الظروف قد تختلف نسبياً في قساوتها وضراوتها، لكن منهج الدعوة إلى الله الذي يحمل بلسم الشفاء ونور الهداية إلى الناس الغرقى في ظلمات الإلحاد والجهل وبراثن الفساد واضطراب الأحوال لا يتغير ولا يتبدل، لأنه سنة ثابتة عند الله، أما الذي يتغير فهو من يحمل هذا المشعل الدعوي من الدعاة، فيتجلى تغييره إيجاباً أو سلباً، وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾. الرعد:١١

لقد أبانت رسائل النور في منهجها بأن الداعية إلى الله، المخلص في دعوته، لا

يعرف في دعوته الربانية حدود الزمان والمكان، لأنه يستمد منهجه في ذلك من عالمية الإسلام ومن شمولية القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان، وهو المنهج القويم الذي سنه رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ، وفي ذلك يقول عنه الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. النساء:٦٥

فمن من الدعاة اليوم يهتم بشرح الأسلوب العملي الايجابي للقضاء على الفساد الذي يحل بالإنسان؟ من منهم يتقدم في رأفة وشفقة بالعلاج المناسب كما جسدته رسائل النور في أسلوبي الرأفة والشفقة؟ إنه لمن السهل جداً أن نلعن الظلام، وأن نقيم الدنيا حوله ولا نقعدها كما يفعل البعض خارج معاناة الواقع، وخارج الصبر على الناس وتحملهم، ولكن الأصلح من هذا كله أن تشعل شمعة لتنير الحيز والمكان، ثم تبدد الظلام، أن تكون إيجابياً وتقدم العلاج الناجع والحل الذي ينزل برداً وسلاماً، أن تطرح الفكرة الصائبة، وتشرح أسلوب تنفيذها. وهذا هو المنهج الذي يطرحه الأستاذ بديع الزمان النورسي لسلوك العمل الايجابي في الدعوة إلى الله تعالى، وتحصينها من الأخطاء المهلكة.

مقدمة:

كم من الجهود الجماعية والفردية المبذولة اليوم في إنقاذ إيمان الناس وسط هذه الظروف العصيبة؟ كم من الطاقات المتصرفة في لمّ شعث الإيمان الذي تفرق بين إرهاب واغتراب، وبين تطرف وغلو، وبين تفريط وإفراط؟ أين هي آثار هذه الجهود والطاقات في واقع الناس اليوم؟ لماذا أخفقت في لملمة شتات الإيمان ورأب الصدع، أو في أن يبدو منها على الأقل بعض الأثر في تضميد الجراح وتجميع الخلاف على كلمة سواء أو ما يقاربها؟..

ألم يكن عصر الأستاذ بديع الزمان النورسي أقوى عتواً من هذا العصر إلحاداً وفتنة وطمساً لمعالم الدين، وحربا شرسة على المتدينين عموماً، حرب إبادة لا تبقي ولا تذر؟ فلماذا نجحت جهود رجل واحد في إنقاذ إيمان الناس في هذه الظروف القاهرة وإرجاعهم إلى الله وإلى دين الإسلام مرداً جميلاً، في حين لم تفلح كثير من هذه الجهود الفردية والجماعية المبذولة في عصرنا الحاضر؟

كم من الجماعات ومن الأشخاص بدأوا طريق الدعوة إلى الله بسلوك متوازن تطبعه أخلاق الفضيلة والإخلاص في العمل، لكن انشغالهم بالسلبيات التي طغت على المبادرات وعلى اقتناعهم الداخلي بالعمل الإيجابي والاهتمام به، وانشغالهم بعيوب الآخرين وإهمال إصلاح أنفسهم وشؤونهم، غرس في أنفسهم الكراهية ونزع منها حب الناس وتقبلهم، وضيق الصدور بعد انشراحها، حتى انتهي بهم الأمر إلى **الضياع**، ثم انحرفوا بعد ذلك عن المبادئ التي من أجلها انطلقوا في ميادين العمل الدعوي، وهذا يتنافى مع مفهوم الإيجابية في الدعوة التي تدعو إلى ترك الأنانية ونكران الذات والإخلاص في العمل. فإن كان هدف الشخص وغايته – كما يعتبره الأستاذ بديع الزمان- هو الاتحاد بضياء القلب ونور الفكر، وكان مسلكه المحبة، وشعاره ترك حب الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات المحورية، وطريقته الحمية الإسلامية، فقد يكون شيخا مرشدا حقا. ولكن إن كان مسلكه إظهار مزاياه بتنقيص الآخرين، ويلقن محبته إلى مريديه بخصومة الآخرين، وينحاز إلى نفسه ويلتزم جانبها بما يستلزم الاختلاف وشق العصا، وكان يظهر أن محبته متوقفة على خصومة الآخرين، مما ينتج الغيبة والميل إليها، فما هو إلا ''متشيّخ'' يتطلع إلى الرئاسة، أو ذئب ''متغنّم'' في زيّ غنم، فلا ينتهي به الأمر إلا إلى جعل الدين وسيلة لجر مغانم الدنيا، أو منخدع بلذة منحوسة مشؤومة، أو باجتهاد خطإ يجعله يحسن الظن بنفسه، ويفتح طريق سوء الظن في المشايخ الكرام والذوات المباركة.[2]

وبهذا تظهر أهمية دراسة رسائل النور من الزاوية المشار إليها في المستهل، ذلك أنّ الأستاذ بديع الزمان النورسي لم يكن منشغلا بالتنبيه على عيوب الناس بل بإصلاحها، لأنه يدرك بأن انشغال المرء بأخطاء الآخرين وعيوبهم والتشنيع بهم، يفقده الحب الذي بينه وبينهم، بينما يستطيع بالحب والعمل الهادئ أن يكسبهم، ويعلم أيضا أن انشغال المرء بالسلبيات يبدد طاقاته، ويفقد **سلامه الداخلي**، ويصبح إنسانًا متضايقا مضطربا ثائرا عالي الصوت لا احترام وتقدير للآخرين من حوله. وإن كان السلبيون يبحثون عن النقائص لكي ينتقدوها، فإن **الإنسان الروحي**، إذا وقف على نقيصة من نقائص المجتمع، حاول سترها وعمل على إصلاحها أو معالجتها حتى تزول ويتعافى منها المجتمع، دونما تشنيع أو حرص على النقد من أجل النقد.

إن أصحاب النظرة المتفائلة يشكرون الله علي النصف الممتلئ من الكأس، أما أصحاب النظرة السوداء، فإنهم يتذمرون بسبب النصف الفارغ، ولا يدركون بأن

إضاءة شمعة أفضل وأولى من لعن الظلام، وهذا هو العمل الإيجابي المطلوب من الدعاة فرادى وجماعات، لأن بهذه الإضاءة ينقشع الظلام تلقائيا دون أن نلعنه، أما لعن الظلام، فهو عمل الذين ينشغلون بالسلبيات، ويظنون أنهم بذلك يقضون علي الظلام ويتخلصون منه.

إن مجرد لعن الظلام لا ينقذ أحدا من ظلمته، ولكن الظلام ينقشع من تلقاء ذاته، بعمل ايجابي هو نشر النور وتنوير العقول. إن من يضج ويصيح لكي يفضح الأخطاء ويكشف العيوب والنقائص، أو يبكي بسببها وينوح، وينعى الخير الذي ضاع، لا يقدم أية خدمة أو علاج، أما الذي يكتب صفحة جديدة ناصعة في تاريخ المجتمع، في هدوء وفي قوة، فهو الذي يقدم الشفاء لأمراض المجتمع، وينشر الخير والصلاح، ويحارب الفساد والظلم، ويغير المنكر، وهذا هو الأكثر ثباتا وتفهماً.

إن أغلب الدعاة المعاصرين اليوم يركزون جهدهم الإصلاحي في أن يلعنوا الفساد، وهذا أمر سهل يقدر عليه كل فرد من أفراد المجتمع، عالمهم وجاهلهم على السواء، ولكن من بين كل هؤلاء من يهتم بشرح الأسلوب العملي الايجابي للقضاء على الفساد، ثم يتقدم في رأفة وشفقة بالعلاج المناسب، متوكلا على الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه. إنه لمن السهل جدًا أن توبخ فكرة خاطئة، وأن تقيم الدنيا حولها وتقعدها كما يفعل البعض خارج معاناة الواقع، وخارج الصبر على الناس وتحملهم، ولكن الأصلح من هذا كله أن تكون إيجابيا وتقدم الفكرة الصائبة، وتشرح أسلوب تنفيذها. وكما أن نقد الأخطاء لا يصححها ولا يعالجها، ولا التشهير بها يصلحها كذلك، أو يأتي ببديل صالح عنها، كذلك الحزن على المشاكل لا يحلها، بل يحلها العمل الايجابي. إن الحزن على المريض لا يشفيه من مرضه، إنما الذي يشفيه بإذن الله تعالى هو ما توفر له من وصف العلاج وتقديم الدواء. وكذلك الحزن بسبب انتشار الجهل أو الأمية لا يفيد شيئًا، بل النافع هو نشر التعليم ومحاربة الجهل.

فلسفة العمل الإيجابي في دعوة النور:

إن الظروف قد تختلف نسبيا في قساوتها وضراوتها، لكن منهج الدعوة إلى الله الذي يحمل بلسم الشفاء ونور الهداية إلى الناس الغرقى في ظلمات الإلحاد والجهل وبراثن الفساد واضطراب الأحوال لا يتغير ولا يتبدل، لأنه سنة ثابتة عند الله، أما الذي يتغير فهو من يحمل هذا المشعل الدعوي من الدعاة، فيتجلى تغييره إيجاباً أو سلباً،

وذلك مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾.[الرعد:١١] إن الداعية إلى الله، المخلص في دعوته، لا يعرف في دعوته الربانية حدود الزمان والمكان، لأنه يستمد منهجه في ذلك من عالمية الإسلام ومن شمولية القرآن الكريم الصالح لكل زمان ومكان، وهو المنهج القويم الذي سنه رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ، وفي ذلك يقول عنه الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾،[النساء:٦٥] حيث يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، كما ورد في الحديث: ''والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به''.[3]

إن مكابدة الصعاب وتحمل الأذى في سبيل الله من أجل إحياء الإيمان في القلوب، وإنقاذه من الذوبان في حطام الدنيا الفاني، هو المنهج الذي سار عليه الرسول ﷺ في سيرته مع قومه، حين خرج إلى الطائف داعيا وهادياً، يحدوه الأمل في هداية قبائل بني ثقيف، الذين جاءهم بقلب يحمل الخير والهدى للعالمين، فلما جلس إليهم وكلمهم، سخروا منه، وردوا عليه رداً منكرا، وأغروا به السفهاء، فاجتمع عليه الأهالي، ووقفوا له صفين، يمر من بينهم، وقد أمطروه ضربًا بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان، وقذفوه بالهجاء والشتائم، وظلوا يطاردونه ويصيحون به حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، وقد تكالبوا عليه وهم يضربونه على مدار هذه المسافة الطويلة، وقد نصبوها له عنوة لإهانته وإذلاله ﷺ، وقد فما كان منه إلا أن قطعها مرغما، يمشي مرة ويركض أخرى مع ما يكابده من الأذى، حتى وصل البستان فدخله ليلوذ به، ويحتمي بشجراته من الضرب والمطاردة، وهو الذي جاء قومه منقذاً. فجلس إلى شجرة عنب وكأنما هي المرة الأولى التي يجلس فيها بعد سنين، فقد أعياه الضرب والركل، ودماء شريفة تنزف من وجهه الكريم، ومن قدميه الشريفتين، فضلاً عن ذلك الجرح النفسي في قلبه المتصدع المكلوم، والأسى الذي ينكأ جروح الماضي. وعلى الرغم من هذه المعاناة القاسية، ومن هذا السلوك المهين والمشين الذي لقيه من بني ثقيف، فقد عضَّ ﷺ على أحزانه وتعالى على جراحاته، وتوجه إلى ربه ضارعا خاشعا، رافعا يديه إلى السماء، مناجيا ربه، معتذرا إليه، متحببا إليه بكلمات كريمة، وبدعاء صادق نبع من أعماق قلبه الحزين، وقد امتزجت كلماته بحرقة وجدانه المكسور، وهو يقول: (اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي،

وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك).[4]

لقد سامت قبائل بني ثقيف رسول الله الكريم الخسف بفعالهم الدنيئة وبتصرفاتهم الخرقاء والحمقاء، وهو نبي مرسل، فما كان منه مع ذلك إلا الصبر على الأذى وتحمل الشدائد، بل زاد على ذلك أن دعا لهم ولم يدع عليهم، فقال في إيجابية منقطعة النظير: ''اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون''. وكان رسول الله ﷺ إذا أوذي يقول: يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، وأخبر عن نبي من الأنبياء أنه ضربه قومه فجعل يقول: ''اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون''، وقد أكرمه الله جزاء صبره على الابتلاء بغمامة أظلته يوم هام على وجهه من الطائف، وبعث إليه جبريل عليه السلام يناديه ويقول له: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك وقد أرسل لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبلان بمكة-، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. وقد وقع الأمر كما تمناه النبي ﷺ، وخرج من صلب أبي جهل عكرمة رضى الله عنه، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة سيف الله المسلول خالد بن الوليد.

هكذا المسلم يرى الأمل دائما غير منقطع، وينظر إلى الواقع، وإن اشتد عليه بإيجابية وتفاؤل، وإن كان هذا النوع من السلوك يصعب الصبر عليه إلا لمن رزقه الله الصبر الجميل والقلب الرؤوف، لأن النفس تأبى الضيم، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام في حقيقة الأمر، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون والصالحون من عباد الله. إن ما جرى للنبي ﷺ لا يقدر على تحمله بشر، ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من الرسل والأنبياء، وقد اجتمعت فيه ﷺ ثلاث خصال برهنت على صبره الخارق، وهي: العفو عن القوم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والعز والسرور والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له، وزيادة العلم ونوره، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾،[الأنعام:٣٤] فبالصبر

واليقين ينال الصالحون الإمامة في الدين، فإذا انضاف إلى هذا الصبر قوة اليقين والإيمان، ترقى العبد في درجات السعادة بفضل الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد سار الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في عصره العصيب على ما سار عليه الرسول الكريم ﷺ من سلوك الصبر المرّ، واستمد من سيرته خصال النبوة، واقتنعت نفسه بأن الشكوى واللجوء إنما يكون إلى الباري جل وعلا، الذي يجيب المضطر ويكشف الضر ويشفي السقيم ويقضي الحاجات، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.[البقرة:١٨٦] وبين الأستاذ بديع الزمان ذلك في رأيه السديد وموقفه من كل من ظلمه وأبخس حقه فقال:

"لما كانت الشفقة دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم".[5]

إنها الإيجابية الحقة التي ينبغي أن يفخر الإنسان بتعلمها من الرسول العظيم والنبي الكريم، نبي الرحمة المهداة للعالمين، سيد الخلق محمد ﷺ، إنها خير قدوة نقتدي بها من معلم البشرية في العمل الإيجابي، فالإيجابية عنده هي عطاء ليس له حدود، وارتقاء فوق كل السدود، ومبادرات إنسانية لا تكبل بالقيود. إن الإنسان ليتعلم من هذا السلوك الإيجابي من سيرة المصطفى ﷺ بأن الإيجابية تقتضي محاربة نقائص النفس في سلوك الداعية، فلا يكون داعية إيجابياً من صبره نافذ، وعزمه قليل، وهمه هزيل. ولا يكون داعية من ينام ملء جفنه، ويأكل ملء بطنه، ويخلد إلى كثرة الراحة، ويحب الكسل والخمول، فهذا ليس بداعية، ولا يتحقق بالإيجابية. إن الإيجابية دافع نفسي، واقتناع عقلي، وجهد فردي، وقد يكون جماعيا مع انسجام وتضافر بين أفراد الجماعة. والداعية الإيجابي لا يكتفي بتنفيذ التكاليف والقيام بالواجبات، بل يتعدى ذلك إلى المبادرة الحسنة والبحث عن النجاح والفلاح، ويزيد على مجرد الأداء الإتقان في الأداء والعمل، وبذلك يكون له تأثير وفعالية، دون جفاء أو استثقال، قد جعل الدعوة إلى الله محور حياته، فتعلق بها قلبه، وتاقت لها نفسه.

وعلى هذا النهج القويم الذي رسمته سنة النبي المصطفى ﷺ سار أتباعه من الدعاة

المخلصين في دعوتهم إلى الله، يجددون للأمة أمر دينها على مرّ الأزمان والعصور، تحدوهم الإيجابية النبوية في الإقبال على الدنيا بعزيمة وصبر، والتطلع إلى الآخرة بيقين وإيمان، في كل فترة تجود قدرة الله عز وجل بمرشد مجدد، يبعثه لنصرة الدين الحق وإنقاذ الإيمان، وربط الناس بالقرآن.

وفي الفترة التي تمزقت فيها الخلافة الإسلامية بعد سقوط الدولة العثمانية، وتكالب على الإسلام أعداؤه من كل حدب وصوب، وتوالت النكبات على بلاد الأناضول بعد دخول الجيوش الغازية، وعصفت بالناس عواصف الإلحاد والفساد، قيض الله الأستاذ بديع الزمان النورسي ليلقي على كاهله عبء النهوض بالأمة من كبوتها، والتصدي للتيار الملحد والمفسد الذي اكتسح البلاد والعباد، وكاد يسلخ الشعب التركي من دينه ويفصله عن تاريخه وإسلامه. لقد نذر بديع الزمان نفسه للدعوة إلى الله في هذه الظروف العصيبة الملأى بالأحداث الجسام، والتي لا يريد الذين يقفون وراءها أن تبقى للإسلام باقية، فقام خير قيام بالرسالة التي أناطه الله بها من إنقاذ الإيمان، وحمل هم الأمة كلها، تحركه في ذلك عزيمته القوية ابتغاء وجه الله، بعيدا عن محافل المصالح، آخذا بزمام المبادرة الإيجابية التي تملأ عليه نفسه وروحه، وتأخذ عليه كيانه كله، ليعيش آلام عصره كما يعيش أفراحه، ويحمل همّ أمته إجلالا وشفقة، فشق طريق الإصلاح، ليحول الحمأ المسنون والماء الكدر إلى نبات بهيج وعطر فوَّاح، إنها إيجابية لا تخضع للظروف مهما كانت قساوتها، بل تستفيد منها، إنها إيجابية تغييرية مقاومة، ترفض الاستسلام والتواكل والانتظار.

مظاهر الإيجابية في دعوة النور:

العجز والفقر:

تتجلى الإيجابية في جملة جهود الأستاذ النورسي، ومن مظاهرها العظيمة في سيرته إدراكه العميق لمعنى الحياة وقيمة الدنيا التي لا تعدو أن تكون مزرعة للآخرة، فهان عنده كل شيء سوى الباقية وتعلق بالباقي، لأن ما عند الخلق ينفذ وما عند رب الخلق باق، كما قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾.[النحل:٩٦] وقد استبشر بمطلق الإيجابية التي جعلت منه رجلا خالداً بإيمانه وبأعماله، غير مكترث بأي عارض من عوارض الدنيا ومنغصاتها ومعوقاتها، وقد وصف بنفسه تعامله الإيجابي مع هذه المحنة العظيمة فقال: "حينما اشتد خناق الأمراض وألوان الغربة وأنواع الظلم علي، وجدت أن علاقاتي تنفصم مع الدنيا، وأن الإيمان يرشدني بأنك مرشح لدنيا

أخرى أبدية، وأنك مؤهل لمملكة باقية وسعادة دائمة، ففي هذه الأثناء تركت كل شيء تقطر منه الحسرة، ويجعلني أتأوه وأتأفف، وأبدلته بكل ما يبشر بالخير والفرح، ويجعلني في حمد دائم. ولكن أنّى لهذه الغاية أن تتحقق، وهي غاية المنى ومبتغى الخيال وهدف الروح ونتيجة الفطرة، إلا بقدرة غير محدودة للقدير المطلق، يعرف جميع حركات مخلوقاته وسكناتهم قولا وفعلاً، بل يعرف جميع أحوالهم وأعمالهم، ويسجلها كذلك. وأنىَّ لها أن تحصل إلا بعنايته الفائقة غير المحدودة لهذا الإنسان الصغير الهزيل المتقلب في العجز المطلق، حتى كرمه واتخذه خليلا مخاطبا، واهبا له المقام السامي بين مخلوقاته''.[6]

لقد اتخذ الأستاذ بديع الزمان النورسي موقفا إيجابياً من الأوضاع المزرية التي أحدقت به، حتى كادت تصده من شدة هولها عما في رسائل النور من أنوار مسلية وإمدادات مشوقة، ودفعته إلى الغفلة دفعاً بعدما جردته من كل شيء، حتى من شعوره وإحساسه، لولا لطف الله به، وفي ذلك يقول: ''ولم ألتفت إلى ما في رسائل النور من أنوار مسلية وإمدادات مشوقة- جراء غفلة أورثها الضجر والضيق- وإنما نظرت مباشرة إلى قلبي وتحسست روحي، فرأيت أنه يسيطر علي عشق في منتهى القوة بالبقاء، وتهيمن علي محبة شديدة للوجود، ويتحكم فيّ شوق عظيم للحياة، مع ما يكمن فيَّ من عجز لا حد له وفقر لا نهاية له''.[7]

هكذا انتصر الأستاذ بديع الزمان للأمل على اليأس، وللحياة الباقية على الفانية، رغم المنافي والسجون، ورغم ما صدر في حقه من أحكام الإعدام، فلم يتسرب إلى نفسه اليأس ولا التراجع والاستسلام، ولم تصده هذه المحن العاتية عن تحقيق أهدافه، فهو غير مكترث بما يحيكه الخصوم والأعداء من مؤامرات، قد سلم من أمراض العجز البشري، ومن أسقام الفقر الإنساني، عزاؤه في ذلك أنه منتسب إلى مالك كريم بعبوديته ومملوكيته، مرددا في توكل ويقين وإيجابية قول الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. آل عمران:١٧٣ وما دام هو عبد لغني مطلق، فإن فقره الأليم قد أصبح مدار شهية لذيذة، أخذت حظها الوافر من المعنى العظيم لهذه الآية الكريمة، ومن ثم فلا شيء يحول بينه وبين تحقيق أهدافه من هذا الوجود إلا أن يشاء الله شيئاً. وحتى وهو في السجن مكبل اليدين، ضعيف ومريض، ليس له سند من أحد يعينه ويناصره أو يثبته، وإن رجلا في حالة انهيار شديد كهاته، ليس أمامه غير الاستسلام للقدر الذي هو فيه، أو الإذعان إلى جلاده يلتمس منه العفو أو التخفيف، لكن الرجل لا يستسلم ولا

يستكين، ولا يرتجي أحداً، بل يلجأ إلى الله بكل قوة من يقين وإيمان، متشبثا بقول الله عز وجل: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوكِيل). وإذا بالآية العظيمة تبشره باستناده على هوية الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم، ذي قدرة مطلقة، فتمنحه بذلك الإيجابية المطلقة، لتتبدل حاله من ضعف إلى قوة، ومن يأس إلى أمل غير محدود، وإذا به أيضاً يحس بقوة معنوية هائلة، ويرى نفسه قد استقوى بقوة عظيمة مكنته من التغلب على الشدائد والمحن، حيث وصفها بقوله: ''فكنت أشعر أنني أملك من الاقتدار الإيماني ما يمكنني من أن أتحدى بها جميع أعدائي في العالم، وليس الماثلين أمامي وحدهم، لذا رددت ومن أعماق روحي: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوكِيل)''.[8]

وقد طأطأ الأستاذ بديع الزمان النورسي رأسه لمعاني هذه الآية العظيمة بتدبر وإمعان، وذكر أنه قرأها خمسمائة مرة في كل يوم، وكتب بعضاً من هذه المعاني الغزيرة لم يتجاوز فيه التسعة فقط، مما انكشف له من أنوارها ومراتبها القيمة بعين اليقين، أما تفاصيلها المعروفة بعلم اليقين لا بعينه، فأحالها إلى رسائل النور، وسماها بالمراتب الحسبية، نسبة إلى قول الله تعالى (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوكِيل)، وكشف بعض أسرارها، مما شاهده وتذوقه بحق اليقين، فأرشده إلى أن لذة البقاء وسعادته موجودة بنفسها، بل أفضل منها وأكمل في الإيمان والإذعان واليقين في بقاء الباقي ذي الكمال، سبحانه وتعالى ربنا.[9]

إنها المعاني الحسبية التي تدل دلالة واضحة على أن الإنسان لا يخرج من الدنيا إلا حزينا، سواء كان محسناً أو مسيئاً، إن كان مسيئاً فحزنه على إساءته، وإن كان محسناً فحزنه على تقصيره في العمل والإحسان. ومن ترك العمل أو قصر فيه، فإنه إلى الوراء يتراجع، فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، وإما إلى أمام وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة التي خلقها الله تعالى وقوف البتة، وما هي إلا مراحل تطوى أسرع طيّ إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، فليختر العبد المكان الذي يليق به، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.[10]

ب- الشفقة والتفكر:

إذا كان العجز والفقر أساسا العبودية، فإن الشفقة توصل إلى اسم الله الرحيم، كما أن التفكر يوصل إلى اسم الله الحكيم، ونيل تجلي اسمه الرحيم وفيضه العميم ينتج الخدمة الإيمانية. والشفقة مصدر مستمد من شفقة النبي ﷺ بأمته، والرسول الكريم ﷺ

الذي تجلى عليه هذا الاسم بأعلى مراتبه مثلما تجلت عليه بقية الأسماء الإلهية، وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا يوماً قول الله عز وجل في إبراهيمَ عليه السلام فيما اشتكى منه من عبث الأصنام وإضلالها وإضرارها بالناس: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،إبراهيم:٣٦ وقول عيسى عليه السلام في شأن قومه وفي السياق نفسه: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾،المائدة:١١٨ فرفعَ نبي الرحمة ﷺ يديهِ وقال: ''اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي''، وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل! اذهب إلى محمد، وربُّكَ أعلم ، فسَلهُ ما يُبكيكَ؟، فأتاهُ جبريل عليهِ الصلاة والسلام، فسَأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل! اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ: (إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوؤُكَ).[11]

وعلق الإمام النووي على هذا الحديث المعبر عن تجلي شفقة النبي ﷺ خير تعبير، فقال: ''هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتناؤه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة، زادها الله تعالى شرفا بما وعدها الله تعالى بقوله: ''إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوؤُكَ''، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة وأرحمها وأكملها شفقة، ومنها: بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به. وللنبي ﷺ، وهو قدوة الأستاذ النورسي المثلى، من الصفات والأخلاق أعظمها وأكملها، قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.القلم:٤ وقد تجلى ذلك في شفقته ﷺ، وفي سهولته ولينه، وفي قربه من الناس، حيث كان مخالطا لهم في السراء والضراء، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبا، وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه معصية أو محذور، وإن عزم على أمر لم يستبدّ به دونهم، بل يشاورهم ويأخذ برأيهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال، ولذلك خصه الله تعالى بحسن الصفات من الشفقة والرأفة والرحمة فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾التوبة:١٢٨ وأدرك جيداً مجدد عصره الأستاذ النورسي

نداء الرسول الكريم ﷺ واستغاثته لربه بقوله ''أمتي أمتي..'' وأحسه في أعماق روحه وضميره إحساسا كبيراً، وسعى لإنقاذ الأمة من براثن الإلحاد والجهل والظلم، وعانى في سبيل ذلك ما عاناه الرسول ﷺ من الحرقة والحسرة والألم على مصير أمته.

وقد سار طلاب النور على هدي نبيهم ﷺ وعانوا في مسيرهم ما عاناه الأنبياء والمصلحون، وقد بين الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ما لقيه هؤلاء الطلاب الصابرون من صنوف الأذى والتعذيب، وما تعرضوا له من الامتحان الصعب، فكان يوصيهم ويثبتهم، ويقوي عزائمهم بالصبر والتحمل، واليقين في موعود الله تعالى بالفرج، فيقول: ''إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلابي الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائماً مقابل ما لقوه من العنت بالثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها''.[12]

ج- محاربة داء التكفير:

لقد اتخذ الأستاذ بديع الزمان النورسي من مبدأ الإيجابية ضرورة لازمة لدعوته، ووقف ضد كل حركة سلبية كيفما كان نوعها ومشربها، فواجه حركات الإلحاد والكفر والشرك والضلالة بالمباحث الإيمانية، فألّف رسالة الإخلاص لمواجهة الرياء وحب الظهور، وكسب إعجاب الآخرين، وكتب رسالة الأخوة ليسد قنوات آفات العداوة والشحناء والبغضاء والغيبة بين المسلمين، وسجل المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين للوقوف حيال العنصرية التي هي أكبر عدو للاتحاد الإسلامي. والخلاصة أنه ألف وكتب تجاه كل عمل سلبي بحثاً أو رسالة ليبطل تأثيره وفعاليته.

ومن جملة السلبيات التي وقف ضدها بكل حساسية ظاهرة التكفير، وقد عالجها انطلاقا من قاعدة ''حسن الظن بالناس''، فتجنب الحديث المباشر والحساس عن الظاهرة لما لذلك من تداعيات وعواقب غير مرضية، ولذلك نجده يختار الأسلوب الذي يقرب ويجمّع بدلا من الأسلوب الذي ينفّر ويمزّق، فيقول: ''إن من يعرف ''سعيد'' عن كثب يعلم أنه يتجنب تكفير الآخرين تجنباً شديداً ما استطاع إليه سبيلاً، بل يحاول أن يجد تأويلاً حتى لو رأى كفراً بواحاً''[13]. ويعزز كلامه بنصوص من القرآن أو السنة، كحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي يقول فيه: ''قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا اَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْه''.[14]

والأستاذ بديع الزمان لا يرى أن يقال للإنسان كافر بمجرد حكم واحد أو لمجرد

حكم مبني على صفة من صفات الكفر تحتاج إلى مزيد من التريث لإثباتها، لأنه -كما يقول الأستاذ- قد يملك شخص صفات أخرى بريئة من الكفر قد نشأت من الإيمان، فهو إذن يحوز أوصافاً أخرى نابعة من الإيمان، تمنع من أن يوصم بالكفر إلا إذا عُلم يقيناً أن تلك الصفة قد نشأت من الكفر، لأنها قد تنشأ من أسباب أخرى. ففي دلالة الصفة شك، وفي وجود الإيمان يقين، والشك لا يزيل اليقين، فينبغي للذين يجرؤون على تكفير الآخرين بسرعة، أن يتريثوا وأن يتدبروا، ما داموا لا يعلمون علم اليقين إنكار من ينتقدونهم للإسلام أو كفرهم الصريح.[15]

ويبدو من تحفظ الأستاذ بديع الزمان النورسي عن التكفير تمسكه بالنظرة الإيجابية تجاه الآخرين من المخالفين والمعاندين، ولذلك نجده يوجه طلاب النور إلى الاهتمام القاصد بدور الإيمان في إنقاذ حياة البشر من الهلاك، وعدم الخوض في مسائل التكفير، فالخلق كلهم عيال الله، منهم المهتدى المسترشد بهدايته، ومنهم الضال الذي عميت بصيرته، فغرق في أودية الضلال والهلاك، فهو يوجه طلابه إلى المبادرة بإسعاف هؤلاء وإمدادهم بالأمل، ومساعدتهم على الاستقامة على الحق والتمييز بينه وبين الباطل، والتفريق بين الهدى والضلال، ومن ثم فهو يعتبر هؤلاء المحرومين من الإيمان بمثابة الغرقى في بحار الدنيا، وإنقاذهم أمانة في أعناق طلاب النور، يتحتم عليهم خلاصهم وتزويدهم بوقود الإيمان. من أجل ذلك لابد من المبادرة اللازمة إلى العمل الإيجابي الذي أوصى به الأستاذ بديع الزمان لإنقاذ الناس من الهلاك والضياع، حيث لا يرضيه أن يقف متفرجا على هؤلاء الغرقى وهم يهلكون تحت الأمواج الهوجاء المتلاطمة، كما يصنع السلبيون الذين تتعالى صيحاتهم واحتجاجاتهم دونما طائل، يلومون الغرقى على دخولهم اليمّ لأنهم لا يحسنون السباحة، بل يعمد إلى نزول الماء ويبادر إلى إنقاذهم وإسعافهم غير ملتفت ولا آبه بالمثبطين من حوله، من الذين كبلتهم السلبية، فلا يقدمون عملا ولا مبادرة في الوقت الذي يحتاج فيه الغرقى إلى الإنقاذ من الهلاك المحتوم.

٣- جهاد النورسي من أجل الحفاظ على عقيدة الإسلام ووحدة المسلمين:

وقف النورسي عند الحاجة إلى الحقائق الإيمانية، واعتبرها من شعائر الإسلام في دولة الإسلام، ومن ثم نهض يحيي هذه الشعائر بكل ما أتيح له من الوسائل والإمكانات إلى أن وصل إلى إحداث جامعة الزهراء لتكون منارة للإسلام تجمع المسلمين على العقيدة السمحة والتوحيد، ولتقدم الحقائق الإيمانية التي تخدمها

رسائل النور على الوجه الأكمل والصحيح، ولتسد الحاجة الماسة لهذه الحقائق الإيمانية في وقت بدأ فيه الملحدون يلمزون المسلمين وطلاب النور على وجه الخصوص، وينفون عنهم حقائق الإيمان، ويدعون بأن الذي يحركهم إنما هو نابع من مقاصد دنيوية وما يستتبعها من حاجات مادية، ويتهمونهم ويعرضونهم للظلم الشديد من جراء هذا الاتهام الباطل والافتراء الجائر.

ومن أجل تمتين رابطة التوحيد في المجتمع، ومن أجل سد الباب في وجه الملحدين والمعاندين ودحض افتراءاتهم، حرص الأستاذ بديع الزمان النورسي على وحدة الصف حرصا شديدا، ولم يدع لخصوم الإسلام وأعدائه مجالا ينفذون منه إلى هذا الصف لزرع البلبلة وبث التفرقة، فعمد إلى بساط القومية وسحبه من تحتهم، ونادى بالقومية الإيجابية النابعة من حاجة المجتمع الداخلية المستندة إلى التعاون والتساند، لتتحقق بذلك القوة النافعة لجميع أفراده، وتكون بذلك سندا قويا للأخوة الإسلامية، واعتبر هذا الفكر الإيجابي القومي خادما للإسلام، وقلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا يحل محل الاسلام، ولا يكون بديلا عنه، بل يدعم الأخوة التي يمنحها الإسلام لتبقى خالدة في عالم البقاء. ولهذا لا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلا ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية، وبخلافه، أي بإقامة القومية بديلا عن الاسلام، تكون جناية خرقاء.[16]

كما حرص بالأساس على وحدة الشعب التركي الذي يعتبره أكثر عددا من أي قوم من الأقوام الاسلامية الأخرى، لأن المجتمع التركي كله مسلم في نظره، أما الأقوام الأخرى ففيهم المسلمون وغير المسلمين، لذلك لم تنقسم الأمة التركية بفضل هذا التوحيد ولم ينفرط عقدها، وهو يحمد الله تعالى على ذلك، ويخص الشعب التركي بالحديث المباشر، وكأنه حاضر بين ظهرانيه اليوم، يخاطبه في وضوح وجلاء قائلا: "أيها الأخ التركي، احذر وانتبه، أنت بالذات، فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجا لا يمكن فصلها عن الاسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الاسلام فقد هلكت إذا وانتهى أمرك. ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الاسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى من الوجود قطعا، فلا تمحها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشهوات التي تثيرها شياطين الانس"[17].

ومن المسائل المهمة للحركة الإيجابية التي أكد عليها الأستاذ بديع الزمان النورسي

بكل حساسية هي تأمين وحدة المسلمين العاملين في حقل الخدمة الإسلامية بمناهج مختلفة واتحادهم، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة كثيراً وأكد عليها أيما تأكيد، وسعى ليمنع تحول اختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العداء والتخاصم. وقد ركز في دعوته بشكل كبير على تذويب الخلاف ونبذ التنافر بالنظرة الإيجابية إلى الناس حتى يقطع بذلك دابر الخصومة والشحناء، ويعزز ذلك بما يجمع الإسلام والإنسانية من علاقة، أساسها التعارف والتآلف، وهي العلاقة التي تقتضي التراحم والتواد، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).[18] ويرى الأستاذ النورسي أن الأصل في الإنسانية هو المحبة، وهي الأكثر، وتشكل السواد الأعظم، وتنسجم مع فطرة الانسان التي تساوي مفهوم الإسلام، أما البغضاء فهي نشاز قليل وإن كان لها من التأثير ما يفسد على الانسان حياته ودينه، لكنه إذا رام التخلص منها فإنها عندئذ قليل ماحق وزاهق، سريع الذوبان، لأن ما ينفع الناس هو الذي يمكث في الارض لأنه ثقيل وكثير، أما الزبد المضر فلا يلبث أن يتطاير ويضمحل ويذهب جفاء. ومن أروع ما جادت به فطنة الأستاذ بديع الزمان النورسي أن شبه المحبة بجبل أحد في سوادها، وشبه العداء أو البغضاء بالحصى في ضآلتها، فقال: ''إن الإسلام والإنسانية اللتين تقتضيان المحبة هما كجبل أحد، أما الأسباب المنتجة للعداء فليست إلا كالحصيات الصغيرة، فالذي يجعل العداء يتغلب على المحبة يرتكب في الحقيقة حماقة عظيمة، كمن يبخس من قيمة جبل أحد، ويستصغره إلى أدنى من حصاة.. إن العداء والمحبة كالضياء والظلام، لا يجتمعان أبدا، فإذا تغلب العداء انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنع، أما إذا تغلبت المحبة فالعداء ينقلب إلى تراحم وإشفاق ورقة قلب. إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحبَّ شيء إلي في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء.[19]

خاتمة:

لو استعرضنا حياة الأستاذ بديع الزمان النورسي لما وجدنا محطة واحدة فتر فيها الرجل عن العمل من أجل إحقاق الحق وإثبات دعائم الإيمان في المجتمع الإنساني، فكان يعالج أحوال الناس ويرتقي بها من السلبية إلى الإيجابية التي كانت تحركه طوال حياته غيرة على القرآن الكريم من أن يغيّب من واقع الناس أو يهمّش من سلوكهم،

وخوفا على الإيمان المهدد داخليا وخارجيا لإبعاد المسلمين عن مصدر عزتهم الذي هو القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة. لقد حركه العمل الإيجابي إلى محاربة نقائص السلوك وإزالتها وإثبات حقائق الإيمان محلها، وهذا معنى الإيجابية في مفهومها الصحيح، وهي الوظيفة الأساسية لطلاب النور التي تقوم على العمل الإيجابي البنّاء وتنبذ بتاتاً السعي إلى العمل السلبي الهدام.

لقد حرص الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بهمته العالية على أن يحافظ على البيئة الفكرية من التلوث، لأنه يعتبر الأفكار هي أساس تطور المجتمع، وسلامة الفكر في المجتمع هي التي تتيح له المجال للنهضة والتقدم. أما إذا تلوث الفكر، فإنه سيحمل الجراثيم الناقلة للأمراض الاجتماعية، وتصبح أفكارا هدامة لكيان المجتمع، تعوق نموه كما تعوق الجراثيم نمو الأجسام، وعلى هذا نجد أن أهمية الأفكار في حياة المجتمع تتجلى في صورتين: فهي إما أن تؤثر كعوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك كعوامل ممرضة، بحيث تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا. من هنا لا يمكن للمجتمعات المتخلفة أن تشعر بالتطور الفكري لأنها لا تستطيع أن تقاوم عدوى الأفكار السلبية والمريضة التي تنقلها الحشرات والجراثيم، فتنقل أشكال العدوى من جيل إلى جيل، ولذلك تكونت لديها عقدة تخلف نصبت -كما يقول مالك بن نبي- في طريقها ضربا من الغرام السقيم بمقاييس القوة، أي بالمقاييس القائمة على الأشياء، وهو تخلف يعود إلى القرون ما قبل القرن العشرين، عندما كانت الأمم تقدر قيمتها المركزية بعدد مصانعها ومدافعها وأساطيلها البحرية ورصيدها من الذهب، أما العصر الحالي فقد أعلى من شأن الفكر باعتباره قيمة قومية ودولية.[20]

مراجع:

- جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، بدون طبعة و لا تاريخ.
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام أبي زكرياء محيي بن شرف النووي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، طبعة سنة ١٤١٢ه، مؤسسة الرسالة.
- سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة بمصر، سنة ١٤٢٥/٢٠٠٤، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥/١٩٥٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الشعاعات. تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٤/١٩٩٣، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، سنة 1414، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى سنة1374ه، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- صيقل الإسلام، تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٦/١٩٩٥، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، سنة الطبع 1407هـ، نشر المكتبة السلفية.
- مشكلة الثقافة لمالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي ، بدون طبعة، سنة ١٣٩٩/١٩٧٩، دار الفكر، لبنان.
- المكتوبات لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٣/١٩٩٢، نشر دار سوزلر، فرع القاهرة.
- الملاحق في فقه دعوة النور، تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٦/١٩٩٥، نشر دار سوزلر، فرع القاهرة.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي.

[2] صيقل الإسلام: ٤٢٣-٤٢٤، تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٦/١٩٩٥، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.

[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حديث رقم ١٣٥٧٢، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، سنة الطبع١٤٠٧هـ. والحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

[4] سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: ١/ ٤٢٠، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥/١٩٥٥، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

[5] سيرة ذاتية، ص: ٣٦١، لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة بمصر، سنة ١٤٢٥/٢٠٠٤، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.

[6] الشعاعات، الشعاع الرابع: ص٧٥. تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٤/١٩٩٣، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة.

[7] الشعاعات، الشعاع الرابع: ص٦٩.

[8] الشعاعات، الشعاع الرابع: ص ٧٤.

[9] الشعاعات، الشعاع الرابع: ص٦٩-٧٠.

[10] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حديث رقم ١٦٥٨٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤. والحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وتمامه: ''من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له به طريقا من طرق الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه''.

[11] رواه مسلم، حديث رقم٣٠٨٨، صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ.

[12] سيرة ذاتية: ص٦٢٩.

[13] الملاحق في فقه دعوة النور، ملحق أميرداغ١: ص ٢٩٨، تأليف بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٣/١٩٩٢، نشر دار سوزلر، فرع القاهرة.

[14] متفق عليه رياض الصالحين ٤٤٨/ رقم الحديث ١٧٣٢/٢.

[15] صيقل الإسلام، السانحات، ص ٣٣٩.

[16] المكتوبات لبديع الزمان النورسي: ص٤١٥-٤١٦، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية بمصر، سنة ١٤١٣/١٩٩٢، نشر دار سوزلر، فرع القاهرة.

[17] المكتوبات لبديع الزمان النورسى: ص ٤١٧.

[18] صحيح البخاري، حديث رقم٦٠١١، وصحيح مسلم، حديث رقم ٢٥٨٦، واللفظ له.

[19] صيقل الإسلام: ٤٢٣.

[20] مشكلة الثقافة لمالك بن نبي: ١٢-١٣، ترجمة عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، لبنان، بدون طبعة، سنة ١٣٩٩/١٩٧٩.

الإصدارات

الإصدارات

قراءة في كتاب

عنوان الكتاب: سيرة بديع الزمان: بلسانه وأقلام تلامذته.

تأليف: ثلة من طلاب النور.

الترجمة من التركية إلى العربية: حسين عثمان، وخليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد.

عدد صفحات الكتاب: ٩٦٠

سنة النشر: ٢٠١٦

دار النشر: Envar Neşriyat-İstanbul

العنوان الأصلي للكتاب:

Risale-i Nur Müellifi, Bediüzzaman Said Nursi, Tarihçe-i Hayatı

إن حَصرَ مناقبِ عُظماء الرجال وكتابتَها وبثَّها لهو أمرٌ من أجلِّ الأعمال وأفضلِها، خاصة في هذا الزمان الذي قلَّ فيه العظماء، واحتاج الناس إلى سِيَرِ قُدوات يقتدون بها في أخلاقهم وسلوكهم في خضم بحر هائج متلاطم من المظاهر والثقافات التي حيَّرت الكثير من الشباب المثقَّفين والعاملين في حقل الدعوة الباحثين عن قدوة لهم في هذا الزمان الصعب؛ ومن هنا فإن نَشرَ سِيَرِ العظماء وأخبارِهم بما تَكتنِزُه من خفيِّ مناقبهم وأسرارِ عظمتهم أضحى اليومَ مطلَبًا مُلحًّا وحاجةً ضرورية.

وإنَّ من جملة هؤلاء الذين ضحَّوا وقدموا، جاهدوا ونصحوا، وهان عليهم بذلُ أرواحهم ومُهَجِهم في سبيل نصرة هذا الدِّين، في هذا العصر: **بديعَ الزمان سعيدًا النُّورْسِيَّ**.. وها نحن اليوم أمامَ سِيرتِه التي كَتَبها طُلابه المقرَّبون ونُشِرت باللغة التركية منذ أكثر من نصف قرن.. تُقدَّم لقرَّاء العربية.

والحقيقة أن هذه السيرة سِفرٌ حافلٌ بالمواقف التربوية الصادقة، والمشاهد الوجدانية المؤثِّرة، ونافذةٌ تُطلُّ بالقارئ على أحداث مِفصَليةٍ في تاريخ الأمة القريب، فتوسِّع رؤيتَه، وتصقُل فكرَه، وتُثري معرفتَه؛ ومشكاةُ تزكيةٍ تهذِّب نفسَه وتُنوِّر بصيرتَه.. كتَبَها المُعِدّون بعد مُضيِّ ثُلُث قرنٍ مشحونٍ بالحمَلات الرسمية المتوالية لتشويه

سُمعتِه والنَّيل منه، وصرفِ الناس عن دعوته، وتخويفهم من سلوك نهجه، فجاءت هذه السيرة لِتُعرِّف بالأستاذ ودعوته، وتُبيِّن في جملةِ ما تُبيِّن براءةَ ساحته، ونزاهةَ شخصيته، ونصاعةَ صورته، وسموَّ غايته؛ وربما وجد القارئ في بعض المواطن عباراتٍ تفيض ثناءً وإكبارًا وإجلالًا للأستاذ ورسائل النور، ولا غرْوَ في الأمر، فقد كتبها مَن عَرفوا بالأستاذ حياتَهم المعنوية، وحلَّقوا بصحبته في عوالم عُلويّة، وكانت مؤلَّفاتُه مَنهلَهم ومُرشدَهم ومِرقاتَهم في حياتهم الروحية، وحقيقٌ بهؤلاء أن يحدِّثونا عن الأستاذ ورسائل النور حديثَ مَن عايش وخبَرَ، وذاق وعَرَف، لا حديثَ مَن نقَلَ وسمِع، وأرَّخَ وقيَّد.

ثم إن السياق الزمانيَّ والمكانيَّ الذي تجري فيه أحداثُ هذه السيرة بالغُ الأهمية، وبمراعاته يتجلى لنا جانبٌ آخر منها، فإذا بها قصةُ إنقاذِ الإيمان وخدمة القرآن في بلدٍ احتضنَ آخر حواضِر الخلافة الإسلامية، وشهِد أحد أقسى مشاريع التغريب ومحاربة الدين وطمس الهوية؛ وإذا بها في الوقت نفسه دعوةُ إصلاحٍ وتجديدٍ أصيلةٌ، راسخةُ الجذور بعيدةُ النظر، تنهل من معين الوحي السماوي الخالد، وتتأسى بمنهجِ الأنبياء هُداةِ البشر وبُناةِ الإنسان على مرِّ الزمان.

وتمتاز هذه السيرة بأنها أجمعُ سيرةٍ كُتِبتْ في حياةِ الأستاذ النُّورْسِيّ، ومِن أقدمِها زمانًا وأقربِها صلةً به، إذْ جمَعَها المُعِدّون من مؤلَّفات الأستاذ ورسائله الشخصية ودفاعاته أولًا، ثم أضافوا عليها السَّردَ التاريخي والوصف الشخصي وما يتعلق بذلك من تفاصيل، فكانت وثيقةً مُهمّة، وشهادةً دقيقة، ومرجِعًا أساسيًّا لا يُستغنى عنه؛ فضلًا عن أنها أُدرِجت في ''كليات رسائل النور'' بوصفها جزءًا أساسيًّا منها، وحريٌّ بها أن تكون كذلك، فهي بالإضافة إلى سردِها سيرةَ الأستاذ النُّورْسِيّ على تسلسُلِ مراحلها وتنوُّعِ جوانبها، تمثِّل مَدخَلًا مُهمًّا إلى عالَم رسائل النور، إذْ تُقرِّب الكثير من مضامينِها، وتحوي قطوفًا يانعةً من شتى رياضها.

ومما يلفت النظر في سيرته هذه التي بين أيدينا: أنها تتناول -في معظم نصوصها ومباحثها- الكلامَ على رسائل النور ودورِها وأثرها في حياة الأمة، وبذل الأستاذ ودوره المخلص المضني في سبيل نشرها والانتفاع بها.

وقد حوت نصوصًا وفيرة من رسائل النور ومراسلات الأستاذ بديع الزمان التي تعطي صورةً شاملة عن دعوة النور ومقصَدها وعن منهجية الرسائل وأسلوبها، فليس المراد إذًا من ذكر أحوال الأستاذ النُّوْرْسِيّ ونشاطه وخدمته لَفتَ أنظار التعجُّب إليه أو استجلابَ استحسان الناس إلى شخصه، وإنما المراد بيان ما تقوم به رسائل النور من خدمةٍ بالغةِ التأثير في نشر السعادة والنور، وتسليط الضوء على ما بذل بديع الزمان من

معاناة ومكابدة وما قدَّم من جهاد ثبات في سبيل دعوته الإيمانية والقرآنية، والردُّ على من يريدون تشويهَ صورته والحطَّ من خدمته بافتراءاتٍ وأكاذيب باطلة يبتغون من ورائها إقامة سدٍّ في وجه الخدمة الإيمانية التي تؤديها هذه الرسائل.

كُتِبَتْ هذه السيرة في أواخر حياة الأستاذ النُّورْسِيّ رحمه الله، وتعاوَنَ على إعدادها ثُلةٌ من طلابه الذين تتلمذوا على يديه، وانضَوَوا في سلك دعوته القرآنية، ولازموه وعرفوا أحوالَه عن قرب، وخاضوا معه مِحَنَ السجن والنفي والأذى، وقاموا على خدمته حتى آخر لحظةٍ من حياته[١]؛ وقد شرعوا في تأليفها في حوالي العام (١٩٤٤م)، لكنهم لم يفرغوا منها إلا في العام (١٩٥٨م) بسبب ظروف السجن والنفي والملاحقة؛ وكان الأستاذ لـمّا علِم بعزمهم على الأمر، وجَّههم إلى الاقتصار على سردِ ما يتعلق بالخدمة الإيمانية من سيرته، وبعد أن أُنجِز العمل اطَّلع عليه اطِّلاعًا إجماليًّا، فأقرَّهم على بعضه، وأمرهم بحذف البعض الآخَر أو تعديلِه.

ولقد أقرَّ المُعِدُّون بأن هذا الكتاب رغم ضخامة حجمه والجهدِ المبذول فيه، لم يستوفِ جميعَ جوانبِ سيرة الأستاذ، ولا جميعَ تفاصيلِ أحداثها، ومرَدُّ ذلك إلى طبيعة المحتوى أولًا، والشرطِ الذي التزمه المُعِدّون ثانيًا، لكنه لا يَبخسُ الكتابَ قيمتَه ومكانتَه بالتأكيد، فهو وثيقةٌ بالغة الأهمية، ومرجعٌ عُمدةٌ في بابه.

* * *

تعاونَ على ترجمة هذه السيرة فريقٌ من ثلاثة أشخاص، هم: حسين عثمان، وخليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد؛ وقد تولَّى الأخيرُ صياغةَ الترجمة وتحريرَها، وعُهِدَ بالأشعار خاصَّةً إلى الأستاذ محمد حسين فترجَمَها ونَظَمَها بالعربية، ثم راجع العملَ عددٌ من الإخوة الأفاضل والأساتذة أصحاب الخبرة والاطِّلاع، وتولَّى الأستاذ محمد بسام الحجازي المراجعةَ النهائية، وتخريجَ الآيات والأحاديث، ووضْعَ فهارسَ شاملةٍ بآخر الكتاب؛ واللهَ تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل مرضيًّا عنده، مقبولًا بين عباده، يَعظُمُ نفعُه ويَعُمّ، وأن يجزيَ كلَّ مَن ساهم فيه خيرَ الجزاء، إنه سبحانه خيرُ مسؤول وأكرمُ مأمول؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد بسام الحجازي

* * *

١ أبرزُهم اثنان، هما: "زبير كوندوز ألب"، و "مصطفى صونغور"، اللذان اقتبسا نصوصها، وصاغا محتواها، ورتَّبا موادَّها، وكان للآخرين جهودٌ إضافيةٌ متمِّمة.

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: .....٢٠ ليرة تركية

الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: .....١٥ دولار أمريكي

الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ....٣٠ دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

- Mustafa Adardawr: Notable Events in Contemporary History and Their Influence on Nursi's Life and His School of Thought 9
- Dr. 'Abd al-Razzaq Bal'aqruz: Moral Perfectedness and its Positive Effects in the Building of Progressive Personalities: The Characteristic Traits of the Mature Human Being 29
- Şükran Vahide: Jihad in the Modern Age: Bediuzzaman Said Nursi's Interpretation 49
- Dr. Khalid Zahri: Nursi, al-Farabi, and al-Tirmidhi on Justice and Happiness as the Ethos of the Virtuous Society 79

Dossier: Positivism and Positive Action in the Risale-i Nur

- Dr. Ma'mun Fariz Jarrar: The Shar'ī Principles Underlying Positive Action 101
- Prof. Dr. Najib 'Ali 'Abdullah al-Sudi: An Analytical Study of the Term 'Positivism' in the Risale-i Nur 115
- Dr. Yusuf Fawazi: Positivism and the Aims of Worship and its Role in Building a Virtuous World According to Bediuzzaman Said Nursi's Risale-i Nur 135
- Dr. 'Ali Mustafa: The Positive Approach to Prophetic Hadiths in the Risale-i Nur151
- Dr. 'Abd al-Hadi Dahani: Ustad Nursi's Views on the Importance of the Positive Outlook in Upholding His Cause 167

Studies

- A reading in Bediuzzaman's Biography prepared by his students 189
- Information on Publishing Papers in al-Nur 192
- Contents / Annual Subscriptions 193

Only papers conforming to academic standards will be considered for publication